بعض الایات من اواخر سورة ال عمران ۱

سورة النسا ۱۱۰

بعض الایات من اول سورة المائدة ۳۴۶

تفسیر شریف قطعه سی در

۲

خامس

MİLLET CENEL KÜTÜPHANESİ
Kısı H. Alip
ESKİ ...Yı ... 110
YENİ KAYIT No.
TASNİF No

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت ٥

تفسير قول الله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس قال

المفسرون انزل الله عز وجل هذه الاية في عبد الله بن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم
مولى ابي حذيفة رضي الله عنهم وذلك ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا ان
ديننا خير من دينكم ونحن خير وافضل منكم فنزلت فيهم واختلف العلماء في لفظة كان فقيل
هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل كان هنا ناقصة
وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض ولا يدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا
رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين في الامم
الماضية بانكم خير امة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير امة وقيل معناه كنتم
منذ انتم خير امة وقيل ان قوله تعالى خير امة تابع لقوله فاما الذين اسودت وجوههم والتقدير
انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير امة فلهذا استحققتم ما انتم فيه من بياض الوجوه
والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى انتم وقيل يحتمل ان تكون كان بمعنى صار فقوله كنتم اي صرتم
خير امة فاما المخاطبون بهذا منهم ففيه خلاف فقال ابن عباس في قوله تعالى كنتم خير امة
هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لو شاء الله لقال انتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
صنع مثل ما صنعتم كانوا خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال
الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل
المسلمين باتباعهم وطاعتهم ويدل على ذلك ما روى الائمة عن عمران بن حصين رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران
فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما تشهدون ولا تستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وفي رواية ويحلفون ولا تستحلفون
وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته وقوله

خير الناس قرنى يعنى اصحابه والقرن اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران فكانه الزمان
الذى يقترن فيه اهل ذلك الزمان فى اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل
ثمانون سنة وقيل مائة سنة والله اعلم وروى البخارى ومسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فلو ان احدا انفق مثل احد
ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه والنصيف هو النصف قال القاضى عياض رحمه الله ومن
توقير النبى صلى الله عليه وسلم وبره توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتدا بهم وحسن الثنا
عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار
المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة فى احد منهم وان يلتمس لهم
فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويصوب لهم اصوب المخارج اذ هم
رضى الله عنهم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل نذكر حسناتهم وفضايلهم
ونحمد سيرهم ونسكت عما وراء ذلك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابى فامسكوا قال
الله عز وجل محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الآية وقال تعالى لقد رضى الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وروى عن حذيفة ابن اليمان رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اصحابى
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى لا
تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد
آذانى ومن اذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان ياخذه وقال صلى الله عليه وسلم من سب
اصحابى فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال فى حديث
جابر ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم اربعة ابا بكر وعمر
وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابى وفى اصحابى كلهم خير وقال صلى الله عليه وسلم من احب عمر فقد
احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى وقال الامام مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم

فليس له في فيء المسلمين حظ • اي حق • ونزع باية الحشر • والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الآية • وقال رضي الله عنه من غاضبه اصحاب محمد فهو كافر • قال الله تعالى
ليغيظ بهم الكفار • وقال عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق
وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم • وقال ايوب السختياني رحمة الله عليه من احب ابا بكر فقد
اقام الدين • ومن احب عمر فقد اوضح السبيل • ومن احب عثمان فقد استضا بنور الله • ومن احب عليا
فقد اخذ بالعروة الوثقى • ومن احسن الثنا على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برى من النفاق •
ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح • واخاف ان لا يصعد له عمل الى
السما حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما • وفي حديث خالد بن سعيد رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك • ايها الناس اني راض عن عمر •
وعن عثمن • وعن علي • وعن طلحة • والزبير • وسعيد • وعبد الرحمن بن عوف • فاعرفوا لهم ذلك • ايها الناس
ان الله تعالى غفر لاهل بدر والحديبية • ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني
لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة • فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا • وقال رجل للمعافى بن عمران
اين عمر بن عبد العزيز من معاوية • فغضب • وقال لا يقاس باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احد •
معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله • واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل
فلم يصل عليه • وقال كان يبغض عثمان • فابغضه الله • وقال صلى الله عليه وسلم في الانصار اعفوا عن
مسيهم واقبلوا من محسنهم • وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني في اصحابي واصهاري • فانه من حفظني
فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة • ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه • ومن تخلى الله منه يوشك ان
ياخذه • وقال صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيامة • وقال صلى الله
عليه وسلم من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض • ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني
الا من بعيد • قال الامام مالك رحمه الله هذا حديث مودب الخلق الذي هدانا الله به وجعله
رحمة للعالمين يخرج من جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم • وبذلك امره الله
عز وجل • وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم • وموالاتهم • ومعاداة من عاداهم • وروي عن ابي بن
كعب رضي الله عنه انه قال ليس احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيامة •

الاخبار

وطلب

وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيامة • وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله
لم يومن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعزر اوامره • والكلام في هذا المعنى كثير • سنذكره في سوره
الفتح ان شاء الله تعالى • وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطا في قول الله تعالى كنتم خير امة •
هم امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم • وقال الزجاج في قوله كنتم خير امة الخطاب فيه مع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولكنه عام في كل الامة • ونظيره قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم • وقوله كتب عليكم القصاص • فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ • ولكنه عام
في حق الكل فكذا هنا • وعن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده رضي الله عنهم انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها
على الله تعالى اخرجه الترمذي • وقال حديث حسن • واصل الامة الجماعة المجتمعة على الشيء • وامة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان بالله عز وجل وبنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم • وروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي
يدخلون الجنة الا من ابى • قالوا ومن يابى • قال من اطاعني دخل الجنة • ومن عصاني فقد ابى • وعن
ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع امتي او لا يجمع امة محمد على
ضلالة • ويد الله على الجماعة • ومن شذ شذ في النار • اخرجه الترمذي رحمه الله • وعن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في
الآخرة • عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل • اخرجه ابو داود رحمه الله • وعن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي كمثل المطر لا يدرى آخره خير ام اوله • اخرجه الترمذي
رحمه الله • وعن بريدة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف •
مائون منها من هذه الامة • واربعون من سائر الامم • رواه الترمذي ايضا • وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع
المجد ثلاثا • ثم انهم لتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول • رواه الترمذي • وزاد غيره وهم
شركاء الناس في سائر الابواب • وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من امتي من يشفع في الفيام من الناس • ومنهم من يشفع في القبيلة • ومنهم من يشفع للعصبة •

ومنهم من يشفع للواحد اخرجه الترمذى ٥ وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتى سبعون الفا او سبعمائة الف متماسكين آخذ بعضهم
ببعض حتى يدخل اولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر رواه البخارى ٥ وعن
ابى امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى عز وجل ان يدخل
من امتى الجنة سبعون الفا لاحساب عليهم ولا عذاب ٥ ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات
من حثيات ربى ٥ اخرجه الترمذى ٥ وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الجنة حرمت على الانبيآء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتى ٥
رواه البغوى ٥ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امة الا وبعضها
فى النار وبعضها فى الجنة وامتى كلها فى الجنة ٥ وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال اتى النبى صلى الله
عليه وسلم اسقف فذكر انه راى فى منامه الامم كانهم يمضون على الصراط بينها فتون حتى رايت امة محمد
غرا محجلين عليهم اثر الطهر فقلت من هولآء انبيآء فقالوا لا ٥ فقلت مرسلون قالوا لا ٥ فقلت ملائكة قالوا
لا ٥ فقلت من هولآء ٥ فقالوا امة محمد غر محجلون عليهم اثر الطهر ٥ فلما اصبح الاسقف اسلم ٥ وعن ابى
موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل الى كل
مسلم يهوديا او نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار ٥ رواه مسلم ٥ وروى ايضا عن ابى بردة عن ابيه
رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يجى يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب امثال
الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى ٥ وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال خرجت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بصوت يجى من شعب ٥ فقال يا انس انطلق فانظر ما هذا الصوت ٥
قال فانطلقت فاذا برجل يصلى الى شجرة يقول اللهم اجعلنى من امة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب
لها المثاب عليها ٥ فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته ذلك ٥ فقال انطلق فقل له ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول من انت ٥ فاتيته فاعلمته ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥
فقال اقره منى السلام وقل اخوك الخضر يقول ادع الله ان يجعلنى من امتك المرحومة المغفور لها المستجاب
لها المثاب عليها ٥ وقل لعيسى بن مريم عليه السلام يا روح الله هل بعد هذه الامة امة ٥ قال نعم ٥
قيل واكثر امة ٥ قال امة احمد ٥ قيل يا روح الله وما امة احمد ٥ قال علما حكما حلما ابرارا اتقيا ٥

كانهم

كانهم من العفه انبيآ • يرضون من الله باليسير من الرزق • ويرضى الله منهم باليسير من العمل • يدخلهم
الجنة بشهادة ان لآ اله الا الله • وروى ان كعبا الاحبار قيل له لِمَ لم تسلم على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابى بكر واسلمت على عهد عمر • فقال لان ابى دفع الىّ كتابا مختوما وقال لا تفك
ختمه • فرايت فى المنام فى ايام عمر قائلا يقول لى ان اباك خانك فى تلك الصحيفة ففكها • قال ففككتها
فاذا فيها نعت امة محمد صلى الله عليه وسلم • سآلوما • وعالوما • وحالوما • وصافوحا • وخاروجا •
فسالوه تفسيرها • فقال هو ان شعارهم ان يسلم بعضهم على بعض • وعلمآؤهم مثل انبيآ بنى اسرآيل • وحكم
الله لهم بالجنة • وتتصافحون فتغفر لهم ذنوبهم • ويخرجون من ذنوبهم كيوم ولدتهم امهاتهم •
وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه هذه الآية مدحة لامة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم • ولم يكن الله ليمدح قوما ثم يعذبهم • فاذا ثبت ان هذه الامة خير الامم مما ذكرنا من الآيات والاحاديث •
فنقول ان حديث عمران بن حصين الذى قدمنا ذكره وفيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الناس
قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث • يدل على ان اول هذه الامة افضل ممن بعدها •
والى هذا ذهب معظم العلمآ • وان من صحب النبى صلى الله عليه وسلم ولو آه ولو مرة من عمره افضل من
كل من ياتى بعده • وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل • وذهب بعضهم الى انه قد يكون ممن ياتى
بعد الصحابة من له فضل كما لهم • وافضل • وذلك بواسطة فساد الزمان وغيره • ويدل على ذلك ما
روى ابو امامة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآنى وآمن بى • وطوبى
سبع مرات لمن لم يرنى وآمن بى • وروى ابو داود الطيالسى فى مسنده عن محمد بن ابى حميد
عن رند بن اسلم عن اسه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اتدرون اى الخلق افضل ايمانا • قلنا الملايكة • قال وحق لهم • بل غيرهم • قلنا الانبيآ •
قال وحق لهم بل غيرهم • ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم فى اصلاب
الرجال يومنون به ولم يروه يجدون ورقا معلقا فيها فهم افضل الخلق ايمانا • وروى
صالح بن جبير عن ابى جمعة رضى الله عنه قال قلنا يا رسول الله هل احد خير منا • قال نعم قوم يجيئون
من بعدكم يجدون كتابا بين لوحين يومنون بما فيه ويومنون بى ولم يروني • قال ابن عبد
البر ابو جمعة له صحبة • واسمه حبيب بن سباع • وصالح بن جبير من ثقات التابعين • وروى

ابو ثعلبة الخشنی رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال ان امامکم ایاما الصابر فیهن
علی دینه کالقابض علی الجمر للعامل فیها اجر خمسین رجلا یعمل مثل عمله • قیل یا رسول الله منهم •
قال بل منکم • قال ابن عبد البر هذه اللفظة بل منکم • قد سالت عنها بعض المحدثین فلم یذکرها •
وقال عمر بن الخطاب رضی الله عنه فی تاویل قوله تعالی کنتم خیر امة اخرجت للناس قال من فعل مثل
فعلهم کان مثلهم • فلا تعارض بین الاحادیث • لان الاول علی الخصوص • والله تعالی هو الموفق • وقد
قیل فی توجیه احادیث هذا الباب ان قرن النبی صلی الله علیه وسلم انما فضل لانهم رضی الله عنهم
کانوا غربا فی ایمانهم لکثرة الکفار • وصبرهم علی اذاهم • وتمسکهم بدینهم • وان آخر هذه الامة اذا
اقاموا الدین وتمسکوا به وصبروا علی طاعة ربهم فی حین ظهور الشر والفسق والهرج والمعاصی
والکبایر کانوا ایضا غربا وزکت اعمالهم فی ذلک الوقت کما زکت اعمال اوایلهم • ومما یشهد لهذا
قول النبی صلی الله علیه وسلم بدا الاسلام غریبا وسیعود کما بدا فطوبی للغربا • ویشهد له ایضا
حدیث ابی ثعلبة • ویشهد له ایضا قوله صلی الله علیه وسلم امتی کالمطر لا یدری اوله خیر ام آخره •
رواه ابو داود الطیالسی وابو عیسی الترمذی • ورواه ایضا هشام بن عبد الله الرزاز عن مالک عن
الزهری عن انس رضی الله عنه • قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم مثل امتی کمثل المطر لا یدری
اوله خیر ام آخره • ذکره الدارقطنی فی مسند حدیث مالک • قال ابن عبد البر هشام بن عبید الله الرزاز
ثقة لا یختلفون فی ذلک • وروی ان عمر بن عبد العزیز لما ولی الخلافة کتب الی سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
رضی الله عنهم یقول له اکتب لی سیرة عمر رضی الله عنه لاعمل بها فکتب الیه سالم نقول ان عملت سیرة
عمر فانت افضل من عمر • لان زمانک لیس کزمان عمر • ولا رجالک کرجال عمر • قال وکتب الی فقهاء
زمانه فکلهم کتب له بمثل قول سالم • قال ابن عبد البر فهذه الاحادیث تقتضی مع تواتر طرقها وحسنها
التسویة بین اول هذه الامة وآخرها • والمعنی فی ذلک ما قد ذکره من الایمان والعمل الصالح فی
الزمان الفاسد الذی یرفع فیه من اهله العلم والدین • ویکثر فیه الفسق والهرج • ویذل المومن •
ویعز الفاجر • ویعود الدین غریبا کما بدا غریبا • ویکون القائم فیه کالقابض علی الجمر • فیستوی
حینئذ اول هذه الامة بآخرها فی فضل العمل الا اهل بدر والحدیبیة رضی الله عنهم • والصحیح ما
ذهب الیه الجمهور والله اعلم • ومن تدبر آثار هذا الباب بان له الصواب • والله یوفق فضله من یشاء •

ثم ان الله تعالى لما ذكر فضايل هذه الامة شرع يذكر مناقبهم فقال عز من قائل تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وهذا مدح لهذه الامة ما اقاموا ذلك وتصفوا به. فاذا تركوا التغيير وتواطؤا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سببا لهلاكهم والله اعلم وقوله تعالى تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر كلام مستانف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى يامرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك وقد تقدم الكلام في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اول السورة والله اعلم وقوله وتؤمنون بالله اي وتصدقون بالله وتخلصون له التوحيد والعبادة فان قيل لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قيل له الايمان بالله امر مشترك فيه جميع الامم المومنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان الموثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله تعالى فهو شرط في هذا الحكم لانه متى وجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلما ثبت هذا السبب حسن ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان والله اعلم وقوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعني ولو امن اليهود والنصارى بسيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به لكان خيرا لهم يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واتباع العوام ولو امنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة وهو دخول الجنة ثم قال عز وجل منهم المومنون يعني من اهل الكتاب المومنون كعبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه الذين اسلموا من النصارى واكثرهم الفاسقون اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهو لا مع كفرهم هم فاسقون قوله تعالى لن يضروكم الا اذى قال العلماء سبب نزول هذه الآية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من امن منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه فآذوهم لاجل اسلامهم فانزل الله عز وجل هذه الآية لن يضروكم الا

تقدم ٥

اذى يعنى لن يضروكم ايها المومنون هولاء اليهود الا اذى يعنى باللسان من طعن فى دينكم او تهديد
او الفاشبهة وتشكيك فى القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم وهذه الاية وعد من الله
عزوجل لرسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين بان اهل الكتاب لا يغلبونهم وانهم منصورون
عليهم لانهم منهم اصطلام الا ايذا بالبحث والتحريف واما العاقبة فكون للمومنين فعلى هذا
المعنى يكون الاستثناء متصلا وهو قول الحسن وقتادة وقيل هو منقطع والمعنى لن يضروكم البتة
لكن يؤذونكم بما يسمعونكم والمقاتلة بينهم وبين اليهود كعبدة بنى النضير فانهم كانوا
وكانت بنو قريظة يعاهدون النبى صلى الله عليه وسلم فنقضوا عهده وكان ابن صوريا يحرض
بنى قينقاع والى مومنيهم عبد الله بن سلام واصحابه فاذوهم لاسلامهم فانزل الله عزوجل
لن يضروكم الا اذى يعنى باللسان وتم الكلام ثم قال تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار يعنى
منهزمين لن يخذلوا قال العلماء وفى هذه الآية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبر
قبل وقوعه ثم لا ينصرون اى لا يكون لهم النصر عليكم بل ينصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم
من اهل الكتاب لانهم كانوا يوذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون
ان يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر ثم وعدهم بمعاقبة الغلبة والاستعلاء منهم وان عاقبتهم
الخذلان والذلة فقال عزوجل ضربت عليهم الذلة يعنى جعلت الذلة ملصقة بهم كما تضرب
على الشى وتلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وضعة احوالهم وقيل الذلة ضرب الجزية
عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى فى الاسلام احدا اذل ولا اسوا حالا منهم
مستخصصين فى جميع البلاد اينما ثقفوا اى حيث ما وجدوا وصودفوا الا بحبل من الله يعنى الا
بعهد من الله وهو ان يسلموا فتزول عنهم الذلة وحبل من الناس يعنى الموضعين بذل الجزية والمعنى
ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا فى حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده
وذمة المسلمين وعهدهم لانهم لا منعة لهم الا هذه الواحدة وهى التجاوهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية
قال العلماء وانما سمى العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف وباءوا بغضب من الله
اى رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل باءوا من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا
فى غضب من الله وحلوا فيه وضربت عليهم المسكنة يعنى كما تضرب الخيمة على اهلها فهم ساكنون فى
المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هى الجزية وذلك لان الله تعالى اخرج المسكنة عن

الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل ان المسكنة هي الجزية
وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا ثم اخبر الله عز
لم فعل ذلك بهم فقال ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوآ بالغضب بانهم اى
بسبب انهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيآء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اى ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل واعتدآءهم لحدوده فنزل بهم ما نزل وقد
مضى نفسيرها في سورة البقرة والله اعلم قوله عز وجل ليسوا سوآء قال ابن عباس رضي الله عنهما
لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما امن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا
ولولا ذلك ما تركوا دين آبائهم فانزل الله عز وجل هذه الاية وفي قوله ليسوا سوآء قولان
احدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المومنون والاكثرهم
الفاسقون ليسوا سوآء وقيل معناه لا يستوي اليهود وامة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم القائمة
بامر الله الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا سوآء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه
وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قآئمة فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سوآء من
اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفآء بذكر احد
الفريقين وهذا على مذهب العرب ان احد الضدين يغني عن ذكر الآخر كقول ابي ذؤيب
ذكرهم
دعاني اليها القلب اني لامرها مطيع فلا ادري ارشد طلابها
اراد ارشد ام غير رشد فاكتفى باحد الرشد بن دون الآخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار
الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيآء
بغير حق فاعلم الله تعالى ان منهم امة قائمة فلا حاجة بنا ان نقول وامة غير قآئمة وانما ابتدا
بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سوآء
من اهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس رضي الله عنهما قائمة اى مهدية قآئمة على امر الله تعالى
لم يضيعوه ولم يتركوه كما تركه الاخرون وضيعوه وقال مجاهد قائمة اى عادلة وقال
السدي قائمة اى مطيعة قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده وقيل قائمة في الصلاة
وقيل الامة الطريقة والمعنى ذو طريقة مستقيمة وقوله يتلون ايات الله اى يقرأون كتاب الله

عزوجل آنآء الليل اى ساعاته وهم يسجدون اى يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة
لا تكون فى السجود واختلفوا فى معنى الاية فقال بعضهم هى صلاة التهجد بالليل وقيل هى صلاة
العشآء لان اليهود لا يصلونها عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال اخر رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلاة العشآء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال انه ليس من اهل هذه الاديان
من يذكر الله عزوجل هذه الساعة غيركم فنزلت ليسوا سوآء من اهل الكتاب امة قائمة حتى بلغ والله
عليم بالمتقين وقيل نزلت فى قوم كانوا يصلون ما بين المغرب والعشآء وقال عطآء اراد بهذه
الامة اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على
دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وكان عدة نفر من الانصار
منهم اسعد بن زرارة والبرآء بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة وابو قيس صرمة بن الاسلت
كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويوحدون الله ويقومون بما عرفوا من شرائع
الحنيفية حتى جآءهم الله عزوجل بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه ثم وصفهم تعالى
بصفات ما كانت فى اليهود فقال تعالى يومنون بالله واليوم الآخر وذلك ان ايمان اهل الكتاب
فيه شرك ويصفون اليوم الآخر بغير ما يصفه المومنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان
بجميع انبيآيه ورسله واليهود يومنون ببعض الانبيآء ويكفرون ببعض والايمان باليوم الاخر يستلزم
الحذر من فعل المعاصى واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص بالله واليوم الآخر
ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعنى غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا
وقيل يامرون بالمعروف يعنى بتوحيد الله تعالى والايمان بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وينهون
عن المنكر يعنى عن الشرك وعن كتم صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويسارعون فى الخيرات اى
يبادرون اليها خوف الفوت وذلك لان من رغب فى امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل
يسارعون فى الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى واولئك اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به من
الصالحين اى من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله تعالى ورضى عنهم واستحقوا ثناءه
عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد حصل له اعلا الدرجات
واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يريد بالصالحين المسلمين والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من

جملة المسلمين والله اعلم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فلن تكفروه وقرا الاعشى وابن
وثاب وحمزه والكسائى وحفص وخلف بالياء فيهما اخبارا عن الامة القائمة وهى قراءة ابن عباس
واختيار ابى عبيد لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مومنى اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا
لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذى دخلتم فيه فاخبر الله تعالى انهم فازوا
بالدرجات العلى وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل
فيه كل فاعل للخير والله اعلم وقرا الباقون بالتاء فيهما على الخطاب لجميع المومنين ويدخل
فيه مومنو اهل الكتاب ايضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير ايها المومنون فلن تكفروه اى فلن
تعدموا ثوابه ولن تحرموه او تمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به والله عليم بالمتقين وتقدم
الكلام على التقوى والمتقين وفى هذه الاية اشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده
الا اهل الايمان والتقوى قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا قال مقاتل لما ذكر الله عز وجل مومنى اهل الكتاب ذكر فى هذه الاية كفارهم وقال ابن
عباس رضى الله عنه اراد بهذه الاية بنى قريظة والنضير وذلك لان روساء اليهود مالوا الى تحصيل
الاموال فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل الرياسة
والاموال فقال الله عز وجل لن تغنى عنهم اموالهم وقيل نزلت فى مشركى قريش وذلك انا جهل
كان كثير الافتخار بالاموال وانفق ابو سفيان مالا كثيرا على جيش المشركين حين خرجوا الى قتال بدر
واحد وقيل ان الاية عامة فى حق جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب
اجراء اللفظ على عمومه ومعنى الاية على هذا ان الذين كفروا لن تغنى اى لن تدفع عنهم اموالهم بالفدية
لو افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصرة قال العلماء وانما خص الله سبحانه الاموال
والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد
فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شئ من ذلك فى الآخرة ولا مخلص له من عذاب الله وهو قوله
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى لا يخرجون منها ولا يفارقونها وقد تقدم تفسير ذلك كله
قوله تعالى مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح قال بعض المفسرين اراد تعالى
بهذه الاية نفقة ابى سفيان واصحابه ببدر واحد فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل

اراد نفقه اليهود على علمايهم ورؤسايهم • وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا •
وقيل اراد نفقة المرآي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله • وذلك لان انفاقهم المال اما ان يكون
لمنافع الدنيا أو لمنافع الاخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يستحق له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن حق
الكافر • وان كان لمنافع الاخرة كمن يتصدق ويجعل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر يحبط
لجميع اعمال البر فلا ينتفع بنفقته في الاخرة • ثم انه تعالى ضرب لذلك الانفاق مثلا • فقال سبحانه
كمثل ريح فيها صر اختلف المفسرون في هذا على قولين • احدهما وهو قول اكثرهم واكثر اهل اللغة
ان الصر هو البرد الشديد • وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد • القول الثاني
ان الصر هو السموم الحارة التي تقتل • وهو رواية عن ابن عباس ايضا • وبه قال ابن الانباري من
اهل اللغة • وعلى كلا الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل • لانه سواء كان فيه برد فهو
مهلك • او حر فهو مهلك ايضا • وقال الزجاج الصر صوت لهب النار التي كانت في تلك الريح • وقد
تقدم هذا المعنى في سورة البقرة • وقال ابن كيسان الصر ريح فيها صوت ونار • والله اعلم • وقوله
اصابت حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه فاهلكته
يعني فاهلكت الريح الزرع • ومعنى الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع
اصابته ريح باردة فاهلكته • او نار فاحرقته • فلم ينتفع به اصحابه بعد ما كانوا يرجون عايدته
ونفعه • فان قيل انما الغرض في تشبيه ما انفقوا وابطال ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث
الذي هلك بالريح • فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث • قيل له هو من التشبيه المركب • وهو ما
حصلت فيه المشابهة بين الجملتين ما هو المقصود من الجملتين • وان لم تحصل المشابهة بين الجملتين •
فعلى هذا زال الاشكال • ومن التشبيه ايضا ما حصلت المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين
اجزاء كل واحدة منهما • فان جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان • احدهما ان يكون
التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث • الوجه الثاني مثل ما ينفقون
كمثل مهلك الريح وهو الحرث • والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون شيئا بالكلية
ولا يبقى منه شيء • ثم قال عز وجل وما ظلمهم الله يعني بان لم يقبل نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون يعني
انهم عصوا الله تعالى فاستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم واهلك حرثهم • وقيل ظلموا انفسهم حيث

لم ياتوا بنفقاتهم مستحقه للقبول والله اعلم بمراده. قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا
تتخذوا بطانة من دونكم قال المفسرون اكد الله تعالى في الزجر عن الركون الى الكفار وهو
متصل بما سبق من قوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية وسبب
نزول هذه الاية على ما قاله ابن عباس وغيره ان رجالا من المسلمين كانوا يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة
والصداقة والحلف والجوار والرضاع فنزلت فيهم هذه الاية ونهاهم الله عز وجل عن مباطنتهم
خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول ان الايات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه
الاية كذلك وقال مجاهد كان قوم من المومنين يصافون المنافقين ويفشون اليهم الاسرار
ويطلعونهم على الاحوال الخفية فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وحجة هذا القول ان الله تعالى ذكر في
سياق هذه الاية قوله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة
المنافقين لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول
معنى الاية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع سبحانه جميع المومنين ان يتخذوا
بطانة غير المومنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والله اعلم والبطانة مصدر يسمى بها
الواحد والجمع وبطانة الرجل خاصته الذين يستبطنون امره ويطلعون على سره واصل
البطانة من البطن الذي هو خلاف الظهر ومنه يقال بطن فلان يبطن بطونا وبطانة اذا كان
خاصا به قال الشاعر

اولئك خلصاني وبطانتي ... وهم عيبتي من دون كل قريب

وقال بعضهم اشتقاق البطانة من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اختصصته
ويقال فلان شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة ومنه الحديث
الناس دثار والانصار شعار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار فالحاصل من هذا ان الذي
يخصه الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه
غيره والله اعلم وقال بعض المفسرين ايضا في معنى الاية نهى الله تعالى المومنين بهذه الاية ان يتخذوا
من الكفار واليهود والمنافقين والروافض والشيعة واهل البدع والاهوا ادخلا وولجا
يفاوضونهم في الارا ويسندون اليهم امورهم ويقال كل من كان على خلاف مذهبك ودينك

عباس صح

بفلان صح

لا ينبغي لك ان تخادنه • قال الشاعر •

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه • فكل قرين بالمقارى مقتدى •

وروى ابو داود في سننه عن ابي هريره رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرء على دين خليله • فلينظر احدكم من يخالل • وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اعتبروا الناس باخدانهم اي بصدقاتهم واخلايهم • وقوله تعالى من دونكم قيل من صله زايده والتقدير لا تتخذوا بطانه دونكم • وقيل من للتبيين اي لا تتخذوا بطانه من دون اهل ملتكم • والمعنى لا تتخذوا اوليا واصفيا من غير اهل ملتكم • ثم بين سبحانه علة النهي عن مباطنتهم • فقال تعالى لا يالونكم خبالا يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال • واصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل • وقال بعضهم ايضا • لا يالونكم خبالا اي فسادا يعني لا يتركون الجهد في فسادكم • يعني انهم وان لم يقاتلوكم في الظاهر فانهم لا يتركون الجهد في المكر والخديعه على ما نبينه ان شا الله • وعن ابي امامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانه من دونكم لا يالونكم خبالا • قال هم الخوارج • وروى ان ابا موسى الاشعري قدم من الغزو على امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحساب • فرفعه الى عمر فاعجبه • اي اعجبه خطه وعبارته • فقال لابي موسى اين كاتبك حتى يقراه على الناس • فقال انه لا يدخل المسجد يا امير المومنين • فقال لم اجنب هو • قال لا انه نصراني • قال فانتهره عمر رضي الله عنه • وقال لا تدنوهم وقد اقصاهم الله • ولا تكرموهم وقد اهانهم الله • ولا تامنوهم وقد خونهم الله • وفي روايه قال له يا امير المومنين انه لا يصلح امر البصرة الا به • قال مات النصراني والسلام • وروى عن عمر ايضا انه قال لا تستعملوا اهل الكتاب فانهم يستحلون الرشا • واستعينوا على اموركم ورعيتكم بالذين يخشون الله تعالى • وقيل لعمر رضي الله عنه يا امير المومنين ان هاهنا رجلا من نصارى الحيره لا احد اكتب منه ولا اخط بقلم • افلا يكتب عنك • فقال اذا اتخذ بطانه من دون المومنين • قال العلما فلا يجوز استكتاب اهل الذمة ولا غير ذلك من تصرفاتهم في البيع والشرا والاستنابة اليهم • وقد انقلبت الاحوال في هذه الازمان باتخاذ اليهود والنصارى كتبه ودواوين وامنا ويراسوا بذلك عند الجهلة

خ الربا

الاغنيا

الاغبيآء من الولاة والامرآء وفي صحيح البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان
بطانة تامره بالخير وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه
الله وروى انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار
المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا فسره الحسن بن ابي الحسن فقال اراد صلى الله عليه وسلم
لا تستشيروا المشركين في شيء من اموركم ولا تنقشوا في خواتيمكم محمدا قال الحسن ونحن نصدق تو ذلك في كتاب
الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه
واذا اراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه رواه ابو داود والنساي
ولفظه ولفظه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي منكم عملا فاراد الله به خيرا جعل له
وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه وله ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من وال الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتنهاه عن المنكر
وبطانة لا تالوه الاخبالا الا من وقي شرها فقد وقي وهو الى من يغلب منهما والله اعلم ۞
وقوله تعالى وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ اي يودون عنتكم وهو ما شق عليكم من الضر والشر والهلاك ۞
والعنت المشقة قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ اي ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة
والوقيعة في المسلمين قال العلما والبغضا هو البغض وهو ضد الحب وخص الله تعالى الافواه
بالذكر دون الالسنة اشارة الى تشدقهم وثرثرتهم في افواههم هذه فهم فوق المتستر الذي
تبدو البغضا في عينيه ومن هذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يشجى الرجل فاه في عرض
اخيه معناه ان يفتح فاه في انتهاك عرض اخيه يقال شجى الحمار فاه بالنهيق وشجا اللجام فم الفرس
شجيا وجات الخيل شواحي اي فاتحات افواهها ولا يفهم من هذا الحديث دليل خطاب على الجواز
فيأخذ احد في عرض احد فان ذلك محرم بالاتفاق العلما قال الله عز وجل ولا يغتب بعضكم بعضا
الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام فذكر الشحوا انما هو
اشارة الى التشدق والانبساط في اعراض الناس فافهم ذلك وقال جمهور العلما في هذه الآية دليل

على ان شهادة العدو على عدوه لا تجوز. وبهذا قال اهل المدينة واهل الحجاز. وجوز بعض اهل
العراق ذلك. واجماع العلماء على انه لا تجوز شهادة العدو على العدو في شئ وان كان عدلا. فان
العداوة تزيل العدالة. والله اعلم. ثم قال عز وجل وما تخفي صدورهم اكبر يعني من العداوة
والغيظ. اعظم مما يظهرونه. وهذا اخبار واعلام بانهم يبطنون من البغضاء اكثر مما يظهرون
بافواههم قد بينا لكم الايات يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين من موالاة المومنين
ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون يعني ما يبين لكم فتعملون به. قوله تعالى ها انتم اولاء
تحبونهم ولا يحبونكم قال العلماء الها في قوله ها انتم ها تنبيه. وانتم كناية للمخاطبين من الذكور
واولاء اسم للمشار اليهم في قوله تحبونهم. والمعنى انتم ايها المومنون تحبون هولاء اليهود الذين بينكم
وبينهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف. وقيل المراد
بهم المنافقون. بدليل قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا. وهذا قول ابي العالية. ومقاتل. والمحبة
هنا بمعنى المصافاة. اي انتم ايها المسلمون تصافونهم ولا يصافونكم لنفاقهم. وقيل معناه تريدون
لهم الاسلام وهم يريدون لكم الكفر. وفي رواية تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون
لكم الكفر وهو ابغض الاشياء وشرها. لان فيه هلاك الابد وتومنون بالكتاب كله يعني وهم لا يومنون
قال العلماء انما ذكر الله الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به الى الجنس. كقولهم كثر
الدرهم في ايدي الناس اي الدراهم. والمعنى انكم يا معشر المومنين تومنون بالكتب كلها وهم لا يومنون
بشئ من كتابكم. كما قال تعالى في اية اخرى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نومن بما انزل علينا
ويكفرون بما وراءه واذا لقوكم قالوا آمنا يعني اذا لقي الذين وصفهم الله عز وجل في هذه الآية بهذه
الصفات اذا لقوا المومنين قالوا آمنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم. وهذه صفة المنافقين. وقيل
هم اليهود. ومعنى قولهم امنا اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله واذا خلوا اي خلا بعضهم بعض
عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال العلماء الانامل جمع انملة. وهي طرف الاصبع. والمعنى انه اذا
خلا بعضهم الى بعض اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المومنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم
وصلاح ذات بينهم. ويقول بعضهم لبعض الا ترون الى هولاء قد ظهروا وكثروا وعزوا. قال العلماء
وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ. وهذا من مجاز الامثال. وان لم يكن هناك عض. كما يقال عض

يده من الغيظ والغضب • وافتخر ابو طالب في قصيدته التي يعوذ فيها بحرم الله وعلى الطاعنين
عليه من قومه وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ قال

لما رأت القوم لا وُدّ فيهم ∴ وقد قطعوا كل العرى والوسائل ∴
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ∴ وقد طاوعوا أمر العدو المزايل ∴
وقد حالفوا قوما علينا أظنّة ∴ يعضّون غيظا خلفنا بالأنامل ∴
صبرت لهم نفسي بسمر أسنّة ∴ وابيض عضب من تراث المقاول ∴
واحضرت عند البيت رهطي واخوتي ∴ وامسكت من اثوابه بالوصائل ∴

وهي قصيده طويله • والله اعلم • واما العُضّ بعم العين فهو علف اهل الامصار مثل الكُسْب والنوى
المرضوخ • وما اشبه ذلك • ومنه يقال اعضّ القوم اذا اكلت ابلهم العُضّ • ويقال بعير عِضاضي
اى سمين كانه منسوب الى ذلك • واما العِضّ بالكسر فهو الداهي من الرجال • والبليغ المكر والحيل
قال العلماء وعضّ الانامل من فعل المغضب الذي فاته ما لا يقدر عليه او نزل به ما لا يقدر على
تغييره • وهذا العضّ الاسنان كعضّ اليد على اليد على فائت قريب الفوت • وكقرع السن النادمة
الى عنز ذلك من عدّ الحصى • والخط في الارض للمهموم • ويكتب هذا المعنى بالضاد الساقطة •
واما الذي بمعنى عظ الزمان فيكتب بالظاء المشالة • اى القامة • كما قال الشاعر ٥

وعظّ زمانٌ يا ابن مروان لم يدَع ∴ من المال الا مسحتا او مجلف ∴

وواحد الانامل انمله كما قدمنا • وهي بفتح الميم وضمها • والضم اشهر • والله اعلم • وكان ابو الجوزا
اذا تلى قول الله تعالى وادخلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال هم الاباضيه • قال ابن عطيه وهذه
الصفة قد تتوتت في اهل بدع من الناس الى يوم القيامة • والله اعلم بمراده • قال الله عز وجل
قل موتوا بغيظكم وهذا دعاء عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا • وذلك لما يرون من قوة الاسلام
وعزة اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي • والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم • فان قيل كيف
لم يموتوا • والله تعالى اذا قال لشيء كن كان • قيل له اجاب العلماء عنه من وجهين احدهما انه دعا
عليهم • ومعناه قل لهم يا محمد ادام الله غيظكم الى ان تموتوا • فعلى هذا يجوز ان يدعى عليهم بهذا
مواجهة وغير مواجهة • الثاني ان المعنى اخبرهم يا محمد انهم لا يدركون ما يأملون فان الموت

دون املهم ومرادهم. فعلى هذا زال معنى الدعا وبقي معنى التقريع والاغاظة ٥ ويجري هذا
المعنى مع قول مسافر بن ابي عمرو حين انشد ٥

وننمي في ارومتنا ٭ ونفقا عين من حسدا ٭

وينظر الى هذا المعنى ايضا قول الله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد
بسبب اي يحبل الى السما ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ. والله اعلم بمراده. ٥
ومن يتمه قول ابي الجوزا الذي رويناه آنفا انه ذكر عنده اهل البدع والاهوا من القدرية
والرافضة وغيرهم. فقال والذي نفس ابي الجوزا بيده لان يمتلي داري قردة وخنازير احب
الي من ان يجاورني رجل منهم. قال ولقد دخلوا كلهم في هذه الآية. وقوله تعالى ان الله عليم
بذات الصدور يعني به الخواطر القايمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي
لكونها حالة في القلب منتسبة اليه كنى سبحانه عنها بذات الصدور. والمعنى انه تعالى عالم
بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر. فاخبرهم انه عليم بما يسرونه من عض الانامل غيظا اذا خلوا.
وانه عليم بما هو اخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم. والله اعلم بمراده. ثم انه تعالى شرع
يذكر قصة احد ويسلي المومنين عما نالهم من القتل والجراح. فقال عز من قايل ان تمسسكم
حسنة تسوهم اي ان تمسسكم اي تصبكم ايها المومنون. وقرا السلمي ان يمسسكم باليا. وقراه الجمهور
هي المشهورة. واصل المس باليد. ثم يسمى كل ما يصل الى شي ماسا له على سبيل التشبيه. كما يقال
مسه نصب وتعب اي اصابه. والمراد بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهور على عدو واصابة
غنيمة منهم. وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب في معايشكم تسوهم اي تحزنهم وتغمهم
والسو ضد الحسنى. وقال بعضهم اللفظ عام في كل ما يحسن ويسو. وما ذكره المفسرون من الخصب
والجدب واجتماع المومنين ودخول الفرقة بينهم الى غير ذلك من الاقوال انما هي امثلة وليس
باختلاف. والمعنى ان من كانت هذه صفته من شدة العداوة والحقد والفرح بنزول الشدايد
بالمومنين لم يكن اهلا لان يتخذ بطانة لا سيما في هذا الامر الجسيم من الجهاد الذي هو ملاك الدنيا
والاخرة. ولقد احسن القايل حين قال ٥

كل العداوة ترجى افاقتها ٭ الا عداوة من عاداك من حسد ٭ ٥

مودتها

وان

وان تصبكم سنة اى مسآة من اخفاق سرية لكم او اصابة عدو منكم او اختلاف يقع بينكم
او حذر ونكبة ومكروه يصبكم يفرحوا بها اى بما اصابكم من ذلك المكروه وان تصبروا يعنى على
اذاهم وقل وان تصبروا على طاعة الله وما نالكم فيها من شدة وتتقوا اى تخافوا ربكم وقل
وسقوا ما نهاكم عنه وتوكلوا عليه لا يضركم كيدهم شيا اى لا ينقصكم عداوتهم ومكرهم
شيا لانكم فى عناية الله وحفظه فشرط الله تعالى نفى ضررهم بالصبر والتقوى فكان ذلك بقوية
لنفوس المومنين وتسلية لهم وقرا الحرميان وابو عمرو لا يضركم بكسر الضاد وسكون الرا
من ضاره يضيره ومنه قوله تعالى قالوا لا ضير وحذفت الياء لالتقا الساكنين لانك لما حذفت
الضمة من الرا بقيت الرا ساكنة والياء ساكنة لان الاصل لا يضيركم فكان الحذف اولى والله اعلم
وقرا الكوفيون لا يضركم بضم الضاد وتشديد الرا من ضرّ يضرّ ويجوز ان يكون مرفوعا
على اضمار الفا والمعنى فلا يضرّكم ومنه قول الشاعر ٥

من يفعل الحسنات الله شكرها ٥

وهذا قول الكسايى والفرا ويكون مرفوعا على نيه التقديم ٥ وانشد سيبويه ٥

ان يصرع اخوك تصرع ٥ والمعنى لا ضرّكم ان تصبروا وتتقوا والله بما يعملون
محيط قرى بالياء على الغيبة والمعنى انه تعالى عالم بما يعملون فى عداوتكم واذكم فيجازيهم عليه
وقرى بالتا على خطاب الحاضر والمعنى انه تعالى عالم بما تعملون ايها المومنون من الصبر والتقوى
فيجازيكم عليه وهو عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه منه شى ثم قال تعالى لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال وهذا اول غزوة احد
وفيها نزلت هذه الايات الى انتهاء قصتها قال جمهور المفسرون ان هذا كان فى يوم احد وهو قول
عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم وبه قال الزهرى وقتادة والسدى والربيع
وابن اسحق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن ايضا انه يوم بدر
والقول الاول هو الصحيح لقول الله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا وقد اتفق العلما ان ذلك كان
يوم احد وروى مجاهد والكلبى والواقدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا من منزل
عايشة فمشى على رجليه الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح وروى محمد بن اسحق

والسدى عن رجالهما انه لما قتل الله من قتل من كفار قريش يوم بدر ورجع فلهم الى مكه ورجع
ابو سفيان بن حرب بعيرهم مشى عبد الله بن ابى ربيعة وعكرمة بن ابى جهل وصفوان بن امية فى
رجال ممن قتل آباؤهم وابناؤهم واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا سفين ومن كانت له فى تلك العير كاربا
من قريش تجارة وقالوا لهم ان محمدا وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا
ندرك منه ثارا بمن اصاب منا فاعطوهم الاموال وفيهم يقال انزل الله عز وجل ان الذين كفروا
ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم يكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين
كفروا الى جهنم يحشرون فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك ابو
سفيان واصحاب العير وحركوا لذلك من اطاعهم من القبايل وحرضوهم عليه وخرجوا بحدهم
وجدهم واحابيشهم ومن تابعهم من بنى كنانه واهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن اى بالنسا
التماس الحفيظة وان لا يفروا فخرج ابو سفيان وكان قايد جيش المشركين ومعه زوجته
هند بنت عتبه وكذلك ساير اشراف قريش وكبراؤهم خرجوا معهم بنسايهم وكان جبير بن
مطعم قد امر غلامه وحشيا الحبشى بالخروج مع الناس وقال له ان قتلت حمزة عم محمد بعمى
طعيمه بن عدى فانت عتيق فكانت هند بنت عتبه كلما مرت بوحشى او مر بها قالت ويها
ابا دسيمه وهى كنيته اشف واستشف فاقبلوا يسيرون من مكه حتى بلغوا المدينه فنزلوا
بعينين جبل ببطن السبخة من وادى قناة على سفير الوادى مقابل المدينه وهم ثلاثة الاف
ومعهم مايتا فرس قد جنبوها فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار اصحابه
رضى الله عنهم ودعا عبد الله بن ابى بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره ثم قال لهم صلى
الله عليه وسلم انى قد رأيت والله خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فاما البقر
فهى ناس من اصحابى يقتلون واما الثلم الذى فى ذباب سيفى فهو رجل من اهل بيتى يقتل ورأيت
انى ادخلت يدى فى درع حصينه فاولتها المدينه فان رأيتم ان تقيموا بالمدينه وتدعوهم حيث
نزلوا فان اقاموا اقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكره الخروج وكان عبد الله بن ابى برى راى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك
فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا

دسمه خ

ويعجبه ان يدخلوا عليه المدينه فيقاتلهم فى الازقة صح

لا

لايرون انا جبنا عنهم فقال عبد الله بن ابى ابن سلول واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه
فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلناهم الرجال
فى وجوههم ورماهم النسا والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خايبين فاعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الراى فلم ينزل برسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الذين كان
من امرهم حب لقا العدو حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته وذلك يوم
الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار يقال له مالك بن عمرو احد
بنى النجار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم فلما راوه قد لبس السلاح ندموا
وقالوا بيس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى ياتيه فقاموا واعتذروا
اليه وقالوا يا رسول الله استكرهناك ولم يكن ذلك لنا فان شئت فاقعد صلى الله عليك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغى للنبى اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل ثم خرج
بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت وكان خروجه بعد صلاة
الجمعة وذلك للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وقد كان نزوله فى جانب الوادى وجعل
ظهره واصحابه الى احد وقال لا نقاتل احدا حتى يامره بالقتال وقد سرحت قريش ظهرهم
وكراهم فى زروع كانت للمسلمين فقال رجل من الانصار ترعى زروع بنى قيلة ولما نضارب
ونخبا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو فى سبعمائة رجل من اصحابه وكان لما خرج من المدينة
خرج فى الف ولكن عبد الله بن ابى رجع بثلث الناس وذلك ان عبد الله لما اشار على رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالمقام بالمدينة وخالف رايه شق ذلك عليه وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصانى
ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد وعدا صحابه ان عداهم اذا عاينوهم انهزموا
فاذا رايتم اعداهم فانهزموا انتم فسيتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما قاله محمد لاصحابه
فلما التقى الجمعان وكان عسكر المشركين بلاثة الاف وعسكر المسلمين الفا فانخذل عبد الله بن
ابى بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة من اصحابه
فقواهم الله عز وجل وثبتهم حتى هزموا المشركين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر على

على الرماة عبد الله بن جبير وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا ماتونا من ورائنا ان كانت لنا او علينا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلا يطلبط المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام فلما التقى المسلمون والمشركون قوى الله المسلمين وشبههم حتى هزموا المشركين فلما ابصر الرماة عبد الله بن جبير واصحابه انهزام المشركين وان الله قد فتح لاخوانهم طمعوا في ان تكون هذه الوقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرون وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا وفشلوا واوجفت خيل المشركين فيهم قتلا ولم تكن قبل تنضحها ووجدت مدخلا عليهم فكان ذلك سبب الهزيمة على المسلمين بعد ان كانت لهم فاراد الله سبحانه ان يقطعهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله في مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم ببدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله ثم ان الله تعالى نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه وكان من امر غزوة احد ما كان على ما سنبينه في موضعه ان شا الله فذلك قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم واذ غدوت من اهلك يعني من منزل عائشة رضوان الله عليها قال العلما وفي هذا منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقول الله تعالى من اهلك فنص سبحانه على انها من اهله وقوله تبوئ المومنين اي تنزل المومنين مقاعد للقتال اي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكرا للقتال واصل التبوئ اتخاذ المنزل تقول بواته منزلا اذا اسكنته اياه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار اي ليتخذ فيها منزلا ومعنى تبوئ المومنين اي تتخذ لهم مصاف وروى البيهقي من حديث انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت فيما يرى النايم كاني مردف كبشا وكان ظبة سيفي انكسر فاولت اني اقتل كبش القوم واولت ظبة سيفي قتل رجل من عترتي وقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلحة اخا بني عبد الدار وكان صاحب لوا المشركين وروى موسى بن عقبة عن ابن شهاب ان الذي كان حامل لوا المهاجرين رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا عاصم ان شا الله لما مضى فقال له طلحة بن عثمان اخو شيبة بن عثمان الحجبي صاحب لوا المشركين

هل لك يا عاصم في المبارزة قال نعم فبدره ذلك الرجل فضرب بالسيف على راس طلحة حتى وقع السيف في لحيته فقتله • فكان قتل صاحب لوا المشركين تصديقا لرويا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اني رايت اني مردف كبشا • وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد دفع اللوا الى مصعب بن عمير اخي بني عبد الدار • وكان المشركون بلاثة الاف • ومعهم ماسا فرس قد جنبوها كما تقدم • وجعلوا على ميمنة خيلهم خالد بن الوليد • وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل • وقد كان ابو عامر عبد بن عمرو بن صيفي من الاوس خرج عن قومه مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يعد قريشا ان لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان • فلما التقى الناس كان اول من لقيهم ابو عامر في الاحابيش وعبدان اهل مكة • فنادى يا معشر الاوس انا ابو عامر • قالوا فلا انعم الله بك عينا يا فاسق • وبدلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق • فلما سمع رد قومه عليه قال لقد اصاب قومي بعدي شر • ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم راضخهم بالحجارة • وقال ابو سفين بن حرب لاصحاب اللوا من بني عبد الدار كرضهم بذلك يا بني عبد الدار انكم وليتم لوا نا يوم بدر فاصابنا ما قد رايتم • وانما يوتى الناس من قبل رايتهم اذا زالت زالوا • فاما ان تكفونا لوا نا واما ان تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه • قال فهموا به وتواعدوه • وقالوا الخن نسلم اليك لوا نا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع • وذلك الذي اراد ابو سفيان • فاقتتل الناس حتى حميت الحرب • وقاتل ابو دجانة سماك بن خرشة اخو بني ساعدة حتى امعن في الناس • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسيف عنده من ياخذ مني هذا السيف • فقام اليه رجال • فقال من ياخذه بحقه فاحجم القوم • فقال ابو دجانة وما حقه يا رسول الله • قال ان يضرب به في العدو حتى ينحني • قال انا آخذه يا رسول الله بحقه • فاعطاه اياه • وكان ابو دجانة رضي الله عنه شجاعا بطلا يختال في مشيته عند الحرب • وكان اذا اعلم بعصابة له حمرا فاعتصب بها علم الناس انه سيقاتل • فلما اخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج عصابته تلك فعصب بها راسه • ثم جعل يتبختر بين الصفين • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راآه يتبختر انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن • وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه قد سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك السيف فمنعه اياه • قال الزبير وجدت في نفسي حين سالته اياه فمنعنيه

الى مكة

واعطاه ابادجانة وقلت انا ابن صفيه عمته ومن قريش وقد مت اليه فسالته اياه قبله
فاعطاه اياه وتركنى فوالله لانظرن مايصنع فاتبعته فاخرج عصابة له حمرا فعصب بها راسه
فقالت الانصار اخرج ابودجانه والله عصابة الموت وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها فخرج
وهو يقول ٥

انا الذى عاهدنى خليلى ٭ ونحن بالسفح لدى النخيل ٭
الا اقوم الدهر فى الكيول ٭ اضرب بسيف الله والرسول ٭

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله ٥ قال الزبير وكان رجل فى المشركين لا يدع للمسلمين جريحا
الا دفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله ان يجمع بينهما فالتقيا ٥
فاختلفا ضربتين فضرب المشرك ابادجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه ابودجانه
فقتله ثم راته قد حمل السيف على مفرق امراة وهى هند بنت عتبه ثم عدل السيف عنها قال
الزبير فقلت الله ورسوله اعلم قال ابودجانه راءيت انسانا يحش الناس حشا شديدا فصمدت
اليه فلما حملت عليه السيف ولولت فاذا امراة فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اضرب به امراة والله اعلم رجعنا الى التفسير قال الله عز وجل والله سميع يعنى لاقوالكم ٥
عليم يعنى بنياتكم وما فى ضمايركم قوله عز وجل اذ همت طآئفتان منكم ان تفشلا اى تجبنا
وتضعفا عن القتال والطآئفتان بنو سلمه من الخزرج وبنو حارثه من الاوس وكانا جناحى
العسكر وفيهم بنو الحرث بن الخزرج وبنو النبيت والنبيت هو عمرو بن مالك من بنى الاوس وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فى الف رجل كما قدمنا وقيل فى تسعمايه وخمسين رجلا
وكان المشركون ثلاثه الاف فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن ابى بثلث الناس ورجع فى بلهاءه
وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعه ابو جابر السلمى رضى الله عنه وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم
عند ما حضر من عدوهم فقال عبد الله بن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف
مع عبد الله بن ابى فعصمهم الله عز وجل فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن
عباس رضى الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله عظيم نعمته عليهم
فقال سبحانه اذ همت طآئفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اى ناصرهما وحافظهما ومتولى امرهما ٥

بالتوفيق والعصمة • فان قيل الهمّ هو العزم على فعل الشيء والآية تدل على ان الطائفتين عزمتا
على القتل وترك القتال وذلك معصية • فكيف مدحهما الله بقوله والله وليهما • قيل له الهمّ
قد يراد به العزم • وقد يراد به حديث النفس • واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس في هذه
الآية اولى • والله تعالى لا يواخذ بحديث النفس • ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا
فلما عزم الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله تعالى بقوله والله
وليهما • وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال فينا نزلت اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما
قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله وليهما • ٥
ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم آية تاطقه مفصحة بان الله
وليهم وان تلك الهمة التي هموها ما اخرجتهم عن ولاية الله تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون
قال العلما التوكل في اللغة هو اظهار العجز والاعتماد على الغير • وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى
ثقة بحسن تدبيره • فامر الله تعالى عباده المومنين ان لا يسكنوا الا عليه • ولا يفرضوا امرهم الا اليه •
وقال بعضهم اختلف العلما في حقيقة التوكل • فسيل عنه سهل بن عبد الله التستري فقال قالت
فرقة التوكل هو الرضا بالضمان وقطع الطمع من المخلوقين • وقال قوم التوكل ترك الاسباب •
والسكون الى مسبب الاسباب • فاذا شغله السبب عن المسبب زال عنه اسم التوكل • وقال سهل ايضا
من قال ان التوكل يكون بترك السبب فقد طعن في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • لان الله عز وجل
يقول فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا • والغنيمة اكتساب • وقال تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا
منهم كل بنان • وهذا عمل • وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد المحترف • وكان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقترضون على السرية • قال غيره وهذا قول عامة فقهاء الشريعة •
وان التوكل على الله هو الثقة بالله • والايقان بان قضاه ماض • واتباع سنة نبيه صلى الله عليه
وسلم في السعي فيما لا بد منه من الاسباب من مطعم • ومشرب • وتحرز من عدو • واعداد الاسلحة •
واستعمال ما تقتضيه سنة الله المعتادة • والى هذا ذهب محققوا الصوفية لكنه لا
يستحق اسم التوكل عندهم مع الطمانينة الى تلك الاسباب والالتفات اليها بالقلوب • فانها لا تجلب
نفعا ولا تدفع ضرا بل السبب والمسبب فعل الله تعالى • والكل منه ومشيته • ومتى وقع من

المتوكل ركون الى ملك الاسباب فقد انسلخ عن ذلك الاسم ثم المتوكلون على حالين الاول حال
المتمكن في التوكل فلا ملتفت الى شئ من ملك الاسباب بقلبه ولا تتعاطاه الا بحكم الامر الثاني
حال غير المتمكن وهو الذي يقع له الالتفات الى الاسباب احيانا غير انه يدفعها عن نفسه بالطرق
العلمية والبراهين القطعية والادواق الحالية فلا تزال كذلك الى ان يرقيه الله بجوده الى مقام
التوكل ويلحقه بدرجات العارفين قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر قال العلماء
بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل بدر هو ماء هناك وبه سمي الموضع وقال الشعبي
كان ذلك الماء لرجل من جهينة يسمى بدرا فمنه سمي والاول اكثر وستاتي قصة بدر في سورة الانفال
ان شاء الله تعالى فصل في عدد غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه قال العلماء
جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزاة وقيل ستا وعشرين فاول
غزوة غزاها غزوة ودان وهي غزوة الابواء ثم غزوة بواط من ناحية رضوى ثم غزوة العشيرة
من بطن ينبع ثم غزوة بدر الاولى يطلب كرز بن جابر الفهري ثم غزوة بدر الكبرى التي قتل الله
فيها صناديد قريش ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الكدر ثم غزوة السويق يطلب ابا سفيان
ابن حرب ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر ثم غزوة نجران معدن بالحجاز
ثم غزوة احد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع
من نخل ثم غزوة بدر الاخرى ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم
غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان من هذيل ثم غزوة ذي قرد ثم غزوة
بني المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا فصده المشركون عن البيت ثم
غزوة خيبر ثم عمرة القضاء ثم غزوة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين
ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل صلى الله عليه وسلم منها في تسع غزوات
بدر الكبرى وكان يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنين من الهجرة واحد
وكانت في شوال سنة ثلاث والخندق وبني قريظة وكانتا في شوال وبني المطلق وبني لحيان
وذلك في شعبان سنة خمس وفتح مكة وحنين والطائف وذلك في شوال سنة ثمان واول غزاة
غزاها بنفسه فقاتل فيها بدرا واخرها تبوك وفيه خلاف عند بعضهم والله اعلم واما

بعوثه

بعوثه وسراياه فهي ثمان وثلاثون وقيل ست وثلاثون. غزوة عبيدة بن الحرث اسفل ثنية
المرة وهو ما بالحجاز. ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ساحل البحر من ناحية
العيص. وغزوة سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الخرار من ناحية الحجاز. وغزوة عبد الله
بن جحش رضي الله عنه الى نخلة. وغزوة زيد بن حارثة رضي الله عنه الفردة ما من مياه نجد.
وغزوة مرثد بن ابي مرثد الغنوي رضي الله عنه الرجيع. وغزوة محمد بن مسلمة رضي الله عنه
كعب بن الاشرف. وغزوة المنذر بن عمرو بير معونة. وغزوة ابي عبيدة بن الجراح
ذا القصة من طريق العراق. وغزوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تربة من ارض بني عامر.
وغزوة علي بن ابي طالب رضي الله عنه بني عبد الله بن سعد من اهل فدك. وغزوة غالب
ابن عبد الله الكلبي كلب ليث الكديد. وغزوة علي بن ابي طالب رضي الله عنه اليمن. وغزوة
ابن ابي العرجا السلمي ارض بني سليم اصيب بها هو واصحابه جميعا. وغزوة عكاشة بن محصن
الغمرة. وغزوة ابي عبد الله قطنا ما من مياه بني اسد من ناحية نجد. قتل فيها مسعود
ابن عروة. وغزوة محمد بن مسلمة القرطا من هوازن. وغزوة بشير بن سعد الى بني مرة
بفدك. وغزوته ايضا الى جيان بلد من ارض خيبر. وغزوة زيد بن حارثة الجموم من
ارض بني سليم. وغزوته ايضا جذام من ارض حسمى. ويقال من ارض خشين. وغزوته
ايضا وادي القرى لقي فيه بني فزارة فاصيب بها ناس من اصحابه. وارتث زيد من بين القتلى.
فلما قدم زيد الا ان لا يمس راسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة. فلما استبل من جراحه
بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني فزارة في جيش فقتلهم بوادي القرى. واصاب فيهم.
وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين. وغزوة عبد الله بن عتيك الى خيبر فاصاب
منها ابا رافع. وغزوة عبد الله بن انيس سفيان بن نبيح الهذلي بعثه رسول الله صلى الله عليه
وسلم اليه وهو بنخلة او بعرنة يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه فقتله.
ومن البعوث بعث موتة من ارض الشام حيث قتل الامرا زيد بن حارثة. وجعفر
ابن ابي طالب. وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم. وغزوة كعب بن عمير الغفاري ذات اطلاح
من ارض الشام. وغزوة عيينة بن حصن الفزاري بني العنبر من تميم. وغزوة غالب بن عبد الله

خ المروه

سلمة بن صح

فاصيب بها هو واصحابه صح

الكلبى ارض بنى مرة وفيها قتل اسامة بن زيد حليفا لهم يقال له مرداس بن نهيك من الحرقة من
جهينة وهو الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم لاسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله وكيف
تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة • وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من ارض
بنى عذرة • وغزوه ابا بكر ذا خشب واصحابه بطن اضم • وغزوته ايضا الغابة • وغزوة
ابى عبيدة بن الجراح سيف البحر وهى غزوة الخبط • وغزوة عبد الرحمن بن عوف دومة الجندل
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمرى بعد مقتل خبيب واصحابه الى مكة وامره
ان يقتل ابا سفيان بن حرب • وسرية زيد بن حارثه الى مدين • فاصاب سبيا من اهل مينا وهى
السواحل • وغزوة سالم بن عمير ابا عفك احد بنى عمرو بن عوف • وغزوه عمير بن عدى
الخطمى عصما بنت مروان من بنى امية بن زيد • والسرية التى اسرت ثمامة بن اثال الحنفى
سيد اهل اليمامة • وبعث علقمة بن مجزز المدلجى فى نفر من المسلمين الى اهل ذى قرد • وبعث
كرز بن جابر فى طلب الذين اغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ترعى ناحية الجماء
فاتى بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمرهم • وبعث اسامة بن زيد الى الشام • وامره النبى صلى الله
عليه وسلم ان يوطى الخيل البلقا والدارم من ارض فلسطين • وهى جذام من ارض الشام • وهو آخر
بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم • فهذه جملة اسما غزوات رسول الله صلى الله عليه
وبعوثه وسراياه الذى اعز الله بها الدين • ودوخ بها الكافرين • وشد ازره فيها بمن اختاره
لصحبته ونصرته من الانصار والمهاجرين رضى الله عنهم اجمعين • واما تفسير الاية فقوله
تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة جمع ذليل • وهو جمع قلة • واراد به قلة العدد فان
المسلمين كانوا بثلاثمائة وبضعة عشر وفى رواية وبثلاثة عشر رجلا • والمراد بذلتهم ضعف
الحال • وقلة السلاح والمركوب والمال • وعدم القدرة على مقاومة الاعداء • وذلك انهم خرجوا
على نواضح • وكان النفر منهم يعتقبون على البعير الواحد • وكان اكثرهم رجاله • ولم يكن معهم الا فرس
واحد • وكان عدوهم من كفار قريش فى حال الكثرة زهاء الف مقاتل • ومعهم مائة فرس • وكان
معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم • وقال بعضهم ايضا
فى معنى الاية اسم الذل فى هذا الموضع مستعار • ولم يكونوا رضى الله عنهم فى انفسهم الا اعزة • ولكن

نسخهم

نسبتهم الى عدوهم والى جميع الكفار فى اقطار الارض بقتضى عند المتامل ذلتهم وانهم يغلبون
والنصر هو العون فنصرهم الله تعالى يوم بدر وقتل صناديد المشركين وعلى ذلك اليوم
انبنى الاسلام وكان اول قتال قاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى صحيح مسلم عن بريدة
رضى الله عنه قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة قاتل فى ثمان منها وفيه
عن ابى اسحق قال لقيت زيد بن ارقم فقلت له كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسع عشرة
غزوة فقلت كم غزوت انت معه قال سبع عشرة غزوه قال فقلت فما اول غزاه غزاها قال
ذات العشيرة او العسير وهذا كله لما عليه اهل التاريخ والسير قال محمد بن سعد فى كتاب مخالف
الطبقات له ان غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون وسرايا ه ست وخمسون
وفى رواية ست واربعون والتى قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد والمريسيع
والخندق وخيبر وقريظة والفتح وحنين والطائف قال ابن سعد هذا الذى اجتمع لنا عليه
وفى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم قاتل فى غزوه بنى النضير وفى وادى القرى منصرفه
من خيبر وفى الخابة والله اعلم اذا تقرر هذا فنقول ان زيدا وبريدة رضى الله عنهما انما اخبر
كل واحد منهم عما فى علمه او شاهده واما قول زيد ان اول غزوة غزاها ذات العشيره مخالف
ايضا لما ذكره اهل التاريخ والسير قال محمد بن سعد وكان قبل غزوة العشيره بلاث غزوات
غزاهن صلى الله عليه وسلم بنفسه فى صفر وذلك انه وصل الى المدينه لاثنتى عشرة ليله خلت من
ربيع الاول فاقام بها بقيته وباقى العام كله الى صفر من سنة اثنتين من الهجرة ثم خرج
فى صفر المذكور واستعمل على المدينة سعد بن عبادة حتى بلغ ودان فوادع بنى ضمرة ثم رجع
الى المدينه ولم يلق حربا وهى المسماة بغزوه الابواء ثم اقام بالمدينة الى ربيع الآخر من السنة
المذكوره ثم خرج فيها واستعمل على المدينه السايب بن عثمان بن مظعون حتى بلغ بواط من
ناحية رضوى ثم رجع ولم يلق حربا ثم اقام بالمدينه بقيه ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى
ثم خرج غازيا واستعمل على المدينة ابا سلمة بن عبد الاسد واخذ على طريق مكل بالفرش
حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل به الطريق حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فلما نزلها
صلى الله عليه وسلم اقام بها شهرا وصالح بها بنى مدلج وحلفاءهم من بنى ضمرة ووادعهم وقال

عمار بن ياسر رضي الله عنه كنت انا وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه مترافقين في غزوه العشيرة
من بطن ينبع فلما نزلنا بها قال لي علي رضي الله عنه هل لك يا ابا اليقظان ان ناتي هولا نفر من بني
مدلج يعملون في عين لهم فننظر كيف يعملون فاتيناهم فنظرنا اليهم ساعة ثم غشينا النوم
فتمددنا الى اصوار من النخل في دقعا من الارض فنمنا فيه فوالله ما اهبنا الا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقدمه فجلسنا وقد تتربنا من تلك الدقعا ثم اخبرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بما كان من امرنا فقال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله
قال احيمر ثمود الذي عقر الناقه والذي يضربك يا علي هذه ووضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده على راسه حتى يبل منها هذه ووضع يده على لحيته وهذا من علم الغيوب الذي
اخبر به صلى الله عليه وسلم وان عليا رضي الله عنه سيقتل وانه يضرب بالسيف على راسه حتى يسيل الدم
على لحيته فكان كما اخبر الصادق المصدوق وان ابن ملجم لعنه الله ضرب عليا بالسيف والسبب
في ذلك امور تقدمت وحروب وفتن ليس هذا محلها وكان قد اجتمع بمكه جماعة من الخوارج
لعنهم الله فتعاهد ثلاثه منهم وتعاقدوا على قتل علي ومعوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم واتفقوا
ان لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله او يقتل دونه وهم عبد الرحمن بن ملجم
لعنه الله وكان من تجيب وحجاج بن عبد الله الصريمي وزاذويه مولى بني العنبر فقال ابن ملجم
انا اقتل عليا وقال حجاج انا اقتل معويه وقال زاذويه انا اقتل عمرو بن العاص وتواعدوا
ان يكون ذلك ليلة سبع عشره من شهر رمضان وقيل ليله احدى وعشرين فخرج عبد الرحمن
ابن ملجم المرادي ساير الى علي بالكوفه فلما قدمها لقيه رجل من اشجع يقال له شبث بن بجرة من
الخوارج فقال له ابن ملجم هل لك في شرف الدنيا والاخره قال وما ذاك قال تساعدني على قتل علي
قال له ويحك ثكلتك امك لقد جيت شيا ادا قد عرفت غناه في الاسلام وسابقته مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن ملجم ويحك اما تعلم انه قد حكم الرجال في كتاب الله وقتل اخواننا
المصلين فنقتله ببعض اخواننا فوافقه واقبل معه حتى اتيا مجاشع بن وردان فاتفقا معه
واخذوا اسيافهم وجاووا حتى قعدوا لعلي رضي الله عنه عند باب السده التي كان يخرج منها
الى المسجد وذلك في اول الفجر وكان علي رضي الله عنه يخرج كل غداة اول الاذان يوقظ الناس للصلاه

صور خ

فلما

فلما خرج علي من باب السدة ينادي ايها الناس الصلاة الصلاة شد عليه ابن ملجم واصحابه وهم يقولون الحكم لله لا لك. وضربه ابن ملجم على راسه بالسيف فعلق راسه. وجعل الدم يسيل على لحيته. واما شبث فوقعت ضربته في عضادة الباب. واما ابن وردان فهرب. وقال علي رضي الله عنه لا تفوتنكم الرجل. وشد الناس على ابن ملجم يرمونه بالحجارة وشتاولونه ويصيحون. فضربه رجل من همدان بالسيف فقطع رجله بساقه. وضرب المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وجهه فصرعه. واقبل به الى الحسن. ودخل شبث بن الناس فنجا بنفسه. وهرب ابن وردان الى رحله فدخل عليه عبد الله بن بجرة وهو احد بني ابيه فساله عن خبره فاخبره. فاقبل عبد الله الى رحله واخذ السيف واقبل اليه فضربه به حتى قتله. وروى ان عليا رضي الله عنه لم ينم تلك الليلة. وانه لم يزل يمشي بين الباب والحجرة وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت. وانها لليلة التي وعدت بها. فلما خرج صاح بطن في الدار كان لبعض الصبيان فصاح بهن بعض من في الدار فقال علي رضي الله عنه دعهن فانهن نوائح. واحتمل على الى ستة الى ان قبضه الله. وذكر طائفة من العلماء ان عليا رضوان الله عليه اوصى الى ابنيه الحسن والحسين رضي الله عنهما. فقال لهما اوصيكما بتقوى الله وحده ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما. ولا تاسفا على شيء منها. وقولا الحق. وارحما اليتيم. واعينا الضعيف وكونا للظالم خصما. وللمظلوم عونا. ولا تاخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر الى ابن الحنفية فقال له هل سمعت ما اوصيت به اخويك. قال نعم. قال اوصيك بمثله. واوصيك بتوقير اخويك وتزيين امرهما. ولا تقطعن امرا دونهما. ثم قال للحسن والحسين اوصيكما به فانه شقيقكما وابن ابيكما فاكرماه واعرفا حقه. فقال له رجل من الجالسين حوله الا تعهد يا امير المومنين. قال لا. ولكن اتركهم كما تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال فما ذا تقول لربك اذا اتيته. قال اقول اللهم انك ابقيتني فيهم ما شئت ان تبقيني. ثم قبضتني وتركتك فيهم. فان شئت افسدتهم وان شئت اصلحتهم. ثم قال رضي الله عنه اما والله انها لليلة التي ضرب فيها يوشع بن نون عليه السلام ليله سبع عشرة من رمضان. وعاش رضي الله عنه ليلتين وقبض ليله احدى وعشرين. وكانت ليله الاحد. ودفن بالرحبة عند مسجد الكوفة. وقد اختلف الناس في موضع قبره. وهذا احد الاقوال. وتوفي رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنه كسن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر

وليه القدم

وعمر رضي الله عنهم وقيل توفي وهو ابن اثنان وستون وقال ولده الحسن رضي الله عنه والله لقد
قبض الليلة فيكم رجل ما سبقه الاولون ولا يدركه الآخرون الا بفضل النبوة وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع
حتى يفتح الله عليه وكان الذي صلى عليه الحسن ابنه وكبر عليه سبع تكبيرات وقيل غير ذلك
ولم يخلف ذهبا ولا فضة الا سبعمائة درهم بقيت من عطايه اراد ان يشتري بها خادما لاهله
وقال بعضهم ترك مائتين وخمسين درهما ومصحفه وسيفه قال العلماء في رواية لما اراد وا
قتل ابن ملجم قال عبد الله بن جعفر رضي الله عنه دعوني اشفي نفسي منه فقطع يديه ورجليه واحمى
له مسمارا حتى اذا صار جمرة كحله به ثم ان الناس اخذوه وادرجوه في بواري ثم طلوها بالنفط
واشعلوا فيها النار فاحترق لعنه الله ٥ ورثا الناس امير المومنين عليا رضوان الله عليه
بمراثي كثيرة منها ما قاله ابو الاسود الدؤلي رحمة الله عليه

الا ابلغ بني الخوارج طرا ... فلا قرت عيون الشامتينا
اتى شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طرا اجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وذللها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قرأ المثاني والمئينا
اذا استقبلت وجه ابي حسين ... رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بانك خيرهم حسبا ودينا

واما حجاج بن عبد الله الصريمي فانه توجه الى الشام لقتل معويه فطعنه بخنجر في البيته
وهو يصلي فاذكوه فقبضوه واتوا به بين يديه فقال له ويلك ما انت وما خبرك قال فلا تقتلني
واخبره فقال انا نبايعنا على قتلك وقتل علي وعمرو فروى بعض الناس انه قتله وروى بعضهم
انه لم يقتله واما الثالث فانه سار الى عمرو بن العاص بمصر فاتى منزل عمرو بن العاص فوجد
خارجة قاضي مصر يطعم الناس في مجلس عمرو على السرير وقيل بل صلى خلوجه بالناس صلاة
الصبح ذلك اليوم وتخلف عمرو عن الصلاة لعارض عرض له فضربه بالسيف نظنه عمرو فدخلوه
الى منزله فجاء عمرو رضي الله عنه فدخل عليه قبل ان يموت وبه رمق فقال له خارجة والله ما اراد غيرك

قال

فقال عمرو ولكن اراد الله خارجة • ثم انهم قبضوا القاتل واوقفوه بين يدى عمرو • فساله عن خبره • فقص عليه القصه • واخبره ان عليا ومعوية قد قتلا فى هذه الليله • فقال ان قتلا اولم يقتلا فلا بد من هلاك • فبكا • فقال له عمرو اجزعا من الموت مع هذه الجراة والاقدام • فقال لا والله ولكن ابكى غما ان يفوز صاحباى بقتل على ومعويه ولا افوز انا بقتل عمرو • قال فامر به فضربت عنقه وصلب • والله تعالى اعلم • وروى ان على بن ابى طالب رضى الله عنه سمع منه فى الوقت الذى قتل فيه وقد خرج الى المسجد وقد عسر عليه فتح باب داره • وكان من جذوع النخل فاقتلعه وجعله ناحية • وانحل ازاره فشده • وجعل ينشد ابياتا له • وذكر كلاما طويلا فى ذكر ايام معوية ومن بلاه من ابنه يزيد ومروان وبنيه وذكر الحجاج وما يسومهم به من العذاب • فارتفع ضجيج الناس وبكاوهم وشهيقهم • فقام قايم من الناس • فقال لقد وصفت يا امير المومنين امورا عظيمة • آلله ان ذلك كاين • قال على اى والله ان ذلك لكاين • ما كذبت ولا كذبت • فقال آخرون متى ذلك يا امير المومنين • قال اذا خضبت هذه من هذه • ووضع احدى يديه على راسه والاخرى على لحيته • فاكثر الناس من البكآء • فقال رضى الله عنه لا تبكوا فى وقتكم هذا فستبكون فيما بعد كثيرا طويلا • قال فوالله ما مضت الا ايام قلايل حتى كان ما قال رضى الله عنه

فصل

فى ذكر شى من كلامه وزهده فى الدنيا رضى الله عنه • قال العلما ان عليا رضوان الله عليه لم يلبس فى خلافته ثوبا جديدا • ولا اقتنا ضيعة ولا ربحا الا شيا كان له بينبع مما تصدق به وحبسه والذى حفظ الناس عنه فى سايير مقاماته اربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة • تداول الناس ذلك عنه قولا وفعلا • وقيل له من خيار العباد يا امير المومنين قال الذين اذا احسنوا استبشروا • واذا اساووا استغفروا • واذا اعطوا شكروا • واذا ابتلوا صبروا • واذا غضبوا غفروا • وكان رضى الله عنه يقول ان الدنيا دار صدق لمن صدقها • ودار عافية لمن فهم عنها • ودار غنى لمن تزود منها • الدنيا مسجد احبآء الله • ومصلى ملايكته • ومهبط وحيه • ومتجر اولياية • اكتسبوا فيها الرحمة • وارتحوا فيها الجنة • فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها • ونادت بفراقها • ونعت نفسها واهلها • ومثلت لهم ببلآيها البلا • وتوقت بسرورها الى السرور • وراحت بفجيعة • وابتكرت بعافية بتحذيرا وترغيبا وتخويفا ۞

فذمها رجال غداة الندامة • وحمدها آخرون غب المكافاة • ذكرتهم فذكروا نضارتها •
وصدقتهم فصدقوا حدثها • فيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استذمت اليك
الدنيا • بل متى غرتك منى نفسها بمضاجع ابائك من البلى • ام بمصارع امهاتك من الثرى • كم قد
علّلت بكفك • ومرّضت بيدك تبغى لها الشفاء • وتستوصف الاطبآء لم تنفعه شفاءك • ولم تسعف
له بطلبتك • قد مثّلت لك به الدنيا نفسك • وبمصرعه مصرعك • غداة لا سفعك بكآء وك •
ولا يغنى عنك احباؤك • قال العلما ولم يسمح فى مدح الدنيا احسن من هذا • ومما حفظ
ايضا من كلامه فى بعض مقاماته فى صفة الدنيا انه قال الا ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة •
وان الآخرة قد ارتحلت مقبلة • ولهذه ابنآء ولهذه ابنآء • فكونوا من ابنآء الآخرة ولا تكونوا من
ابنآء الدنيا • الا وكونوا من الزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة • الا وان الزاهدين فى الدنيا
قد اتخذوا الارض بساطا • والتراب فراشا • والمآء طيبا • وقوضوا الدنيا تقويضا • الا ومن
اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات • ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات • ومن زهد فى الدنيا
هانت عليه المصيبات • ومن راقب الخير سارع فى الخيرات • الا وان لله عبادا كانهم يرون اهل الجنة
فى الجنة منعمين مخلدين • قلوبهم محزونة • وشرورهم مامونة • انفسهم عفيفة • وحاجتهم خفيفة •
صبروا اياما قليلة • فصارت لهم العقبى راحة طويلة • اما الليل فصافّين اقدامهم تجرى دموعهم
على خدودهم يخرّون الى ربهم • ويسعون فى فكاك رقابهم • واما النهار فحلما احلما • بررة اتقيا •
كانهم القداح قد براهم الخوف والعبادة • ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى • وما بالقوم مرض • او
خولطوا فقد خالطهم امر عظيم من ذكر النار ومن فيها ٥ وقال رضى الله عنه لولده
الحسن رضى الله عنه يا بنى استغن عمن شئت تكن نظيره • وسل من شئت تكن حقيره • واعط من شئت
تكن اميره ٥ وروى انه دخل عليه رجل من اصحابه فقال له كيف اصبحت يا امير المومنين • قال
اصبحت ضعيفا من بقآء رزقى • وانتظر اجلى • قال فما تقول يا امير المومنين فى الدنيا • قال
وما اقول فى دار اولها عنى • وآخرها موت • من استغنى فيها فتن • ومن افتقر فيها حزن • حلالها
حساب • وحرامها عقاب • قال فاى الخلق انعم يا امير المومنين • قال اجساد تحت التراب • قد
امنت العقاب • وهى تنتظر الثواب ٥ ويروى ان ضرار بن ضمرة وكان من خواص على رضوان الله عليه

دخل على معويه وافدا فقال له صف لى عليا. قال اوتعفينى يا امير المومنين. قال معوية لابد
من ذلك. فقال اما اذا كان لابد من ذلك فانه والله كان بعيد المدا. شديد القوى. يقول فصلا.
ويحكم عدلا. يتفجر العلم من جوانبه. وتنطق الحكمة من نواحيه. يعجبه من الطعام ما خشن. ومن
اللباس ما قصر. وكان والله يجيبنا اذا دعوناه. ويعطينا اذا سألناه. وكنا والله على تقربه
لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له. ولا نبتديه لعظمه فى نفوسنا. يتبسم عن ثغر مثل اللولوء
المنظوم. ويعظم اهل الدين. ويرحم المساكين. ويطعم فى المسغبه. يتماذا مقربة او مسكنا ذا مترية
يكسوا العريان. وينصر اللهفان. ويستوحش من الدنيا وزهرتها. ويانس بالليل وظلمته. وكانى
به وقد ارخى الليل سدوله. وغارت نجومه. وهو فى محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم
ويبكى بكآ الحزين. ويقول يا دنيا غرى غيرى. الى تعرضت. ام لى شوقت. هيهات هيهات. لا
حان حينك. قد ابتتك ثلاثا. لا رجعة لى فيك. عمرك قصير. وعيشك حقير. وخطرك يسير.
آه من قلة الزاد. وبعد السفر. ووحشة الطريق. ٥ فقال معوية زدنى شيا من كلامه.
فقال ضرار كان رضى الله عنه يقول اتجب ما فى هذا الانسان قلبه. وله موارد من الحكمة.
واضدادٌ من خلافها. فان سنح له الرجآ اماله الطمع. وان مال به الطمع اهلكه الحرص. وان ملكه
القنوط قتله الاسف. وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ. وان اسعده الرضى نسى التحفظ.
وان اماله الخوف فضحه الجزع. وان افاد مالا اطغاه الغنى. وان عضته فاقه فضحه الفقر.
وان اجهده الجوع اقعده الضعف. وان افرط به الشبع كظته البطنه. فكل تقصير به مضر.
وكل افراط له مفسد. فقال له معوية زدنى كلما وعيته من كلامه. قال هيهات ان آتى
على جميع ما سمعته منه. ثم قال سمعته يوصى كميل بن زياد يوما. يقول يا كميل ربّ من
المومن. فان ظهره حمى الله. ونفسه كرمة على الله. وظالمه خصم الله. واحذركم من ليس له ناصر
الا الله. قال وسمعته يقول ذات يوم ان هذه الدنيا اذا اقبلت على قوم اعارتهم محاسن
غيرهم. واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم. قال وسمعته يقول ينبغى للمومن ان يكون
نظره عبرة. وسكوته فكرة. وكلامه حكمة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان قتل
جعفر بن ابى طالب الطيار بمونة من ارض الشام لا يبعث بعلى رضى الله عنه فى وجه من الوجوه

الا تقول رب لا تذرنی فردا وانت خیر الوارثین • قال وحمل علی رضوان الله علیه علی کردوس
من المشرکین فکشفهم • فقال جبریل یا رسول الله ان هذه لهی المواساة • فقال رسول الله صلی الله
علیه وسلم انه منی • قال جبریل وانا منکما • ووقف یوما علی علی سایل • فقال لابنه
الحسن او الحسین قل لامک تدفع الیه درهما • فقال ما ابت انما عندنا سته دراهم للدقیق • فقال
علی یا بنی لا یکون المومن مومنا حتی یکون بما فی ید الله اوثق منه بما فی یده • ثم امر للسایل بالسته
الدراهم کلها • فما برح علی رضی الله عنه حتی مر به رجل یقود بعیرا • فاشتراه منه بمایة واربعین
درهما • واستاجله ثمانیه ایام • فلم یحل اجله حتی مر به رجل والبعیر محقول • فقال بکم هذا •
فقال بمایتی درهم • فقال قد اخذته • فوزن له الثمن • فدفع علی منه مایة واربعین درهما للذی
ابتاعه منه • ودخل بالستین الباقیة علی فاطمة رضوان الله علیها • فسالته من این هی • فقال هذه
تصدیق لما جاء به ابوک صلی الله علیه وسلم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ○ وروی ان
عبد الله بن عباس رضی الله عنه مر بقوم یتالون من علی ویسبونه • فقال لقایده ادنی منهم • وکان
قد عمی • فادناه منهم • فقال ایکم السابّ لله • فقالوا نعوذ بالله ان نسبّ الله • قال فایکم السابّ رسول
الله صلی الله علیه وسلم • فقالوا نعوذ بالله ان نسب رسول الله صلی الله علیه وسلم • قال فایکم السابّ
علیّ بن ابی طالب • قالوا اما هذا فنعم • قال فاشهد لسمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول من
سبنی فقد سب الله • ومن سب علیا فقد سبنی • فاطرقوا رؤسهم • فلما ولی ابن عباس قال لقایده
کیف رایتهم • فقال نظروا الیک باعین محمرة نظر التیوس الی شفار الجازر ○ ومن کلام علی
ایضا وتزهیده فی الدنیا قوله فی بعض مقاماته وخطبه ان الدنیا قد ادبرت وآذنت بوداع • وان
الآخرة قد اشرفت واقبلت باطلاع • وان المضمار الیوم • والسباق غدا • الا وانکم فی ایام امل •
من ورایه اجل • فمن اخلص فی ایام امله قبل حضور اجله فقد حسن عمله • فاعملوا لله فی الرهبة •
الا وانی لم ار کالجنة نام طالبها • ولا کالنار نام هاربها • الا وانه من لم ینفعه الحق یضره الباطل •
ومن لا یستقیم له الهدی یخربه الضلال • وقد امرتم بالظعن • ودللتم علی الزاد • فان اخوف ما اخاف
علیکم اتباع الهوی وطول الامل ○ وفضایل علی رضوان الله علیه ومقاماته ووصف زهده ونسکه
کثیرة نذکر منها طرفا اخر فی تفسیر سورة الفتح عند ذکر فضل الصحابه رضی الله عنهم • ونرجح

الان الى وصل ما قطعنا من الكلام على الآية. قال ابن عبد البر فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعشيرة من بطن ينبع بقية جمادى الاولى وليالي من جمادى الاخرة. ووادع فيها بني مدلج. ثم
رجع الى المدينة ولم يلق حربا. ثم كانت بعد ذلك غزوة بدر الاولى بايام قلايل. وهذا هو الذي لا
يشك فيه اهل التاريخ والسير. ثم كانت بعد ذلك غزوة بدر الكبرى وهي اعظم المشاهد فضلا
لمن شهدها. وفيها امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بملايكته في قول جمهور العلما.
وعليه يدل ظاهر الآية. لا انه في يوم احد. ومن قال ان الامداد كان في يوم احد جعل قوله تعالى
ولقد نصركم الله ببدر الى قوله تشكرون اعتراضا بين الكلامين. وهذا قول الشعبي. وخالفه جمهور
العلما. وقد تظاهرت الروايات بان الملايكة حضرت يوم بدر وقاتلت. ومن ذلك قول ابي اسيد
مالك بن ربيعة لو كنت معكم الان ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملايكة
لا اشك ولا امترى. وابو اسيد هذا آخر من مات من اهل بدر رضي الله عنه. ومن الدليل ايضا ما
روى مسلم في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا. فاستقبل نبي الله صلى الله
عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني. اللهم اتني ما وعدتني.
اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض. فما زال يهتف بربه مادا يديه
مستقبل القبلة حتى سقط رداوه عن منكبه. فاتاه ابو بكر رضي الله عنه فاخذ رداه فالقاه على
منكبه ثم التزمه من ورايه. وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك. فانه سينجز لك ما وعدك.
فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملايكة مردفين. فايده
الله تعالى بالملايكة. قال ابو زميل فحدثني ابن عباس رضي الله عنه قال بينما رجل من المسلمين يوميذ
يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسيف فوقه. وصوت الفارس يقول
اقدم حيزوم. اذ نظر الى المشرك امامه فخر مستلقيا. فنظر اليه فاذا هو قد خطم انفه وشق
وجهه. فاخضر ذلك اجمع. فجا الانصاري فحدث ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال صدقت
ذلك من مدد السما الثانية. فقتلوا يوميذ سبعين. واسروا سبعين. وذكر الحديث. وسياتي
تمامه في سورة الانفال ان شا الله. وقد تظاهرت السنة والقران على قول الجمهور والحمد لله. وروى

خارجة بن ابو هم عن ابيه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل يوم بدر
من القائل يوم بدر اقدم حيزوم فقال جبريل يا محمد ما كل اهل السما اعرف وعن علي
ابن ابي طالب رضى الله عنه انه خطب الناس فقال بينا انا امتح من قليب بدر جات ريح شديده
لم ار مثلها قط ثم ذهبت ثم جات ريح شديده لم ار مثلها قط الا التي كانت قبلها قال واظنه
ذكر ثم جات ريح شديده فكانت الريح الاولى جبريل نزل في الف من الملايكه مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانيه ميكاييل نزل في الف من الملايكه عن يمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر رضى الله عنه عن يمينه وكانت الريح الثالثه اسرافيل نزل في الف
من الملايكه عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي رضى الله عنه وانا في الميسره وعن
سهل بن حنيف رضى الله عنه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى راس المشرك
فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه وعن الربيع بن انس رضى الله عنه قال كان الناس يوم بدر
يعرفون قتلى الملايكة من قتلى الناس بضرب فوق الاعناق وعلى البنان مثل سمة النار قد احرق
به ذكر هذا كله البيهقي رحمه الله وقال بعضهم ان الملايكه كانوا يقاتلون وكانت علامة ضربهم
في الكفار ظاهرة لان كل موضع اصابت ضربتهم اشتعلت النار في ذلك الموضع حتى ان ابا جهل
لعنه الله قال لابن مسعود رضى الله عنه انت قتلتني انما قتلني الذي لم يصل سناني الى سنبلي
واني اجتهدت قال العلما وانما كانت الفايده بتكثير الملايكه لتسكين قلوب المومنين ولان الله عز
جعل اولئك الملايكه مجاهدين الى يوم القيامة وكل عسكر من عساكر المسلمين صبر واحتسب فانهم
اولئك الملايكه ويقاتلون معهم وقال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملايكه الا في يوم بدر وفيما
سوى ذلك يشهدون ولا يقاتلون انما يكونون عددا ومددا وقال بعضهم انما كانت الفائده
في تكثير الملايكه انهم كانوا يدعون ويسبحون والثواب للذين يقاتلون يومئذ فعلى هذا
لم تقاتل الملايكة يوم بدر وانما حضروا للدعا بالتثبيت والقول الاول اكثر واصح والله اعلم
فاتقوا الله هذا خطاب للمومنين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فاتقوا الله في السات
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تشكرون يعني يقواكم ما انعم به عليكم من نصرته ۞
قوله تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملايكه منزلين

اختلف المفسرون فى ان هذا الوعد بانزال الملائكه هل حصل يوم بدر ام يوم احد على قولين
وقد قدمنا الخلاف فى ذلك ونزيده ايضاحا من طريق آخر القول الاول ان الوعد بانزالهم
كان يوم بدر قال قتادة هذا كان يوم بدر امدهم الله بالف من الملائكه كما قال سبحانه اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكه مردفين ثم صاروا ثلاثه الاف ثم صاروا خمسة الاف
كما ذكرها هنا بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف مسومين
يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يقاتل الملائكه
فى المعركة الا يوم بدر وما سوى ذلك تشهد ون القتال ولا يقاتلون انما يكونون عددا ومددا
وقال الشعبى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر ان كرز بن جابر المحاربى
يريد ان يمد المشركين فشق ذلك عليهم فانزل الله عز وجل الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثه آلاف
الى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله ايضا بالخمسة
الآلاف وكانوا قد امدوا بالف من الملائكه وفى صحيح البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب
وحجة هذا القول ايضا ان الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة
وظاهر هذا يقتضى ان الله تعالى نصرهم حين قال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين الن يكفيكم ان
يمدكم ربكم الاية ولان العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان الاحتياج الى الامداد اكثر
القول الثانى ان هذا الوعد بامداد الملائكه كان يوم احد وهو قول عكرمه ومقاتل
والضحاك هكذا حكاه بعضهم وقيل انه قول الشعبى فقط والله اعلم قال عمر بن اسحق لما كان يوم
احد انجلى القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى سعد بن مالك يرمى وفتى شاب ينتبل له
كلما فنى النبل اتاه به فنثره وقال ارم ابا اسحق ارم ابا اسحق مرتين فلما انجلت المعركه سئل عن
ذلك الرجل فلم يعرف وفى الصحيحين عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بياض يقاتلان عنه كاشد القتال ما
رأيتهما قبل ولا بعد يعنى جبريل ومكائيل واحتج اصحاب هذا القول بان المدد كان يوم بدر
بالف من الملائكه كما نص عليه فى سورة الانفال ولم يكن ثلاثة آلاف وخمسة الاف كما هنا وايضا

فان الكفار كانوا يوم بدر الفا او ما نقرب منه وكان المسلمون على الثلث من ذلك فانهم كانوا بلا عمامة
وبضعة عشر فانزل الله يوم بدر الفا من الملائكة في مقابلة الكفار فوقع النصر يومئذ للمسلمين عدد م
والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم احد الفا وعدد الكفار ثلاثة الاف فناسب ان يكون
المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة الاف من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر ○
واجيب عن الاحتجاج الاول لهذا القول بان الله تعالى لما امدهم يوم بدر بالف كما ذكر في سوره
الانفال ثم لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بامداد كرز لكفار قريش شق عليهم وعدوا
بان يمدوا بثلاثة الاف وخمسة لتقوى قلوبهم بذلك واجيب عن الثاني وهو ان الكفار
كانوا يوم بدر الفا فانزل الله الفا وفي يوم احد ثلاثة الاف فانزل الله ثلاثة الاف بان هذا
تقريب حسن ولله تعالى ان يزيد ما شاء في اي وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله بلى ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم احد فلم يمدوا
ولو امدوا لم يهزموا يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا الا في يوم الاحزاب فامدهم الله تعالى
بالملائكة حين حاصروا قريظة بدليل ما روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت لما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل اتاه جبريل عليه السلام فقال قد
وضعتا السلاح والله ما وضعناه اخرج اليهم قال فالى اين قال هاهنا واشار الى بني قريظة
فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم وروى البخاري عن انس رضي الله عنه قال كاني انظر الى الغبار
ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة ○
وقال عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه كنا محاصرين قريظة والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا
فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل راسه اذ جاءه جبريل عليه السلام
فقال اوضعتم اسلحتكم ولم تضع الملائكة اوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقه فلف
بها راسه الشريف ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى اتينا قريظة والنضير فيومئذ امدنا الله
بثلاثة الاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا قال ابن جرير الطبري رحمه الله واولى الاقوال بالصواب
ان الله تعالى اخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف
من الملائكة فوعدهم بثلاثة الاف من الملائكة مددا لهم ووعدهم بخمسة الاف ان صبروا لاعدائهم

والعواالله

واتقوا الله • ولا دلالة في الاية على انهم امدوا بهم ولا على انهم لم يمدوا بهم فقد يجوز ان الله نصر امدهم • ويجوز ان لا يكونوا امدوهم • ولا ثبت ذلك لا بنص تقوم به الحجة في ذلك • وقد ثبت بنص القرآن انهم أمدوا يوم بدر بالف من الملائكة كما في سورة الانفال • فما يوم احد فالآية دالة على انهم لم يمدوا بين فيها انهم امدوا • وذلك انهم لو أمدوا ولم ينصروا ولم يُنَل منهم ما نيل منهم • فان قيل فما الصنع بحديث سعد بن ابي وقاص المتقدم في يوم احد وانه رأى ملكين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله فقيل له انما كانا يقاتلان عن النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لانه صبر ولم ينهزم كما انهزم اصحابه يوم احد والله اعلم • واعلم ان نزول الملائكة سبب من اسباب النصر لا يحتاج الله اليه تعالى • وانما يحتاج اليه المخلوق • فليعلق العبد قلبه بالله تعالى وليثق به فهو الخالق لكل سبب وغير سبب • انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون • لكن اخبر سبحانه بذلك ليمتثل الخلق ما امروا به من الاسباب التي سنها الله فقد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا • ولا يقدح ذلك في التوكل • وهو رد على من قال ان الاسباب انما سنت في حق الضعفاء لا في حق الاقوياء فان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا الاقوياء وغيرهم هم الضعفاء • وهذا واضح • والله اعلم بمراده • واما تفسير الآية فقوله تعالى اذ تقول للمومنين يعني قول من قال ان هذا كان يوم بدر • قال نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة اذ تقول للمومنين • ومن قال هذا يوم احد تقول نظم الآية ان الله تعالى ذكر قصة احد ثم اتبعه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فكذلك هو قادر على ان ينصركم في سائر المواطن • ثم رجع الى قصة احد • فقال تعالى اذ تقول للمومنين الن يكفيكم • ومعنى الكفاية هو سد الخلة والقيام بالامر مع بلوغ المراد • ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم • قال العلماء الامداد اعانة الجيش • فما كان على جهة القوة والاعانة تقال له امده امدادا • وما كان على جهة الزيادة تقال فيه مده مدا • وقيل المد في الشر والامداد في الخير • وقد مضى الكلام عليه في سورة البقرة • وقوله تعالى منزلين يعني منزلين للنصر • وقرأ ابو حيوة منزلين بكسر الزاي مخففا • وقرأ ابن عامر منزلين بتشديد الزاي مفتوحة على التكثير • ثم قال تعالى بلى وهو تصديق لوعد الله اي بلى يمدكم • وقيل بلى ايجاب لما بعد ان يعني يكفيكم الامداد بهم فاوجب سبحانه الكفاية ان تصبروا اي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة

نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ابتدا
الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال من فورهم من وجههم اراد ابتدا مخرجهم يوم بدر
وهذا قول عكرمة وقتادة والحسن والربيع والسدي وابن زيد ومن قال معناه من غضبهم
اراد ابتدا غضبهم لقتلاهم يوم بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر وهذا
قول مجاهد والضحاك وقال بعضهم ايضا اصل الفور القصد الى الشي والاخذ فيه بجد وهو من
قولهم فارت القدر تفور فورا وفورانا اذا غلت والفور هو الغليان ويقال فار غضب فلان اذا
اذا جاش وتقول فعل كذا من فوره اي قبل ان يسكن ومنه قوله تعالى وفار التنور قال الشاعر
تفور علينا قدرهم فنديمها ٥ ... وقوله يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة
قال العلما لم يرد سبحانه خمسة الاف سوى الثلاثة المتقدمة بل اراد معهم فمن قال ان هذا الامداد
كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين
فشق ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية على
تقدير ان يجي للمشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المومنين بغير الف وتقدم حديث علي بن
ابي طالب رضي الله عنه وقوله بينما انا امتح من قليب بدر جات ريح شديدة لم ار مثلها قط ثم جات
ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي قبلها ثم جات ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي كانت قبلها فكانت
الريح الاولى جبريل نزل في الفين من الملائكة وكان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الريح
الثانية ميكائيل نزل في الفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
الصديق عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف من الملائكة عن يسار
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداه ومن الناس من ضم العدد القليل
الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلاثة الاف وخمسة الاف فيكون
المجموع تسعة آلاف وان حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية الاف لان ليس فيها ذكر
الالف المفردة والله اعلم وقوله مسومين قرى بفتح الواو وكسرها والاولى قراة ابن عامر
وحمزة والكسائي ونافع ومعنى هذه القراة ان الله تعالى سومهم اي معلمين قد سوموا فهم مسومون
والسومة السيما اي العلامة وهذه العلامة يعلمها الفارس يوم اللقا ليعرف بها وانشد عنترة

فتعرفونى اننى انا زلكم ۞ شاكٍ سلاحى فى الحوادث معلَمُ ۞

والقراة الثانيه قراة ابى عمرو وابن كثير وعاصم ۞ فنسبوا الفعل الى الملائكه ۞ والمعنى ان انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة ۞ او اعلموا خيلهم ۞ وقال بعض المفسرين معناه مرسلين خيلهم فى الغارة ۞ وذكر المهدوى هذا المعنى فى قراة الفتح ارسلهم الله على الكفار ۞ وهو قول ابن فورك ايضا ۞ واختلفوا فى سيما الملائكه يوم بدر ۞ فقال عروة بن الزبير رضى الله عنهما كانت الملائكة على خيل بلق وعليهم عمايم صُفر ۞ وقال على بن ابى طالب وابن عباس رضى الله عنهما كان عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم ۞ رواه البيهقى عن ابن عباس ۞ وحكاه المهدوى عن ابن عباس لا جبريل وحده فانه كان بعمامة صفرا على مثال الزبير بن العوام ۞ وقال هشام بن عروة والكلبى نزلت الملائكه فى سيما الزبير عليهم عمايم صفر مرخاة على اكتافهم ۞ وقال عبد الله بن الزبير كانت ملآة صفرا اعتم بها الزبير يوم بدر ۞ وقال قتادة والضحاك كانوا يعنى الملائكه ۞ قد اعلموا بالعهن ۞ يعنى الصوف المصبوغ فى نواصى خيلهم واذنابها ۞ وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوّموا فان الملائكه قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم ۞ رواه البغوى ۞ قال العلما فذلك الاثر والحديث على اتخاذ الشارة والعلامة للقبايل والكتايب جعلها السلطان لهم لتتميز كل كتيبه وقبيلة من غيرها عند الحرب ۞ ودلت ايضا على لباس الصوف ۞ وقد لبسه الانبيا عليهم السلام والصالحون ۞ ويدل عليه ايضا ما روى ابو داود وابن ماجة واللفظ له عن ابى بردة عن ابيه رضى الله عنهما قال قال لى ابى لو شهدتنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اصابتنا السما لحسبت ان ريحنا ريح الضان ۞ ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة رومية من صوف ضيقة الكمين رواه الائمة ۞ وكذلك يونس بن متى عليه السلام لبس جبة صوف ۞ وسياتى لهذا المعنى مزيد بيان فى سورة النحل عند قوله تعالى ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ۞ وقال الربيع رضى الله عنه كانت سيما الملائكه انهم كانوا على خيل بلق ۞ وذكر ذلك البيهقى عن سهيل بن عمرو رضى الله عنه قال رايت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض معلمين يقتلون ويأسرون ۞ فقوله معلمين يدل على ان الخيل البلق ليست السيما والله اعلم ۞ وقال مجاهد كانت خيل الملائكة مجزوزة الاذناب والاعراف ۞ معلمة النواصى والاذناب بالصوف والعهن ۞ قلنا اما ما ذكره

مجاهد فبعيد وذلك لما روى ابو داود فى مصنفه عن عتبة بن عبد السلمى رضى الله عنه انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقصوا الخيل ولا معارفها ولا اذنابها فان اذنابها مذابها
ومعارفها دفاوها ونواصيها معقود فيها الخير فقول مجاهد رحمه الله يحتاج الى توقيف من
ان خيل الملايكه عليهم السلام كانت على تلك الصفة والله اعلم ودلت الاية ايضا على حسن اللون الابيض
والاصفر من بين الالوان لنزول الملايكه عليهم السلام بذلك وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما من
لبس ثوبا اصفر قضيت حاجته وقال النبى صلى الله عليه وسلم البسوا من ثيابكم البياض فانه
من خير ثيابكم وكفنوا فيه موتاكم واما العمائم فهى تيجان العرب ولباسهم وروى فى حديث ركانة
وكان صارع النبى صلى الله عليه وسلم فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم قال ركانة وسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول فرق ما بيننا وبين المشركين العمايم على القلانس اخرجه ابو داود قال
البخارى اسناده مجهول والله اعلم قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم قال بعضهم الهاء
عايده على المدد وهم الملايكه وقيل عايده على الوعد وقيل على الامداد وقيل على التسويم وقيل
على الانزال وقيل على العدد على جهة المعنى لان خمسة الاف عدد ومعنى الاية وما جعل الله هذا
المدد او الوعد او الامداد او التسويم او الانزال الى اخره الا بشرى لكم يعنى بشارة بانكم تنصرون
فتستبشرون به ولتطمين قلوبكم به اى ولتسكن قلوبكم به فلا تجزع من كثره عدوكم وقله عددكم
وما النصر الا من عند الله يعنى لا تحيلوا النصر على الملايكه والجند وكثره العدد والعدد فان
النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض ان تكون توكلهم على الله لا على الملايكة الذين امدوا
بهم وفى هذا تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب الاسباب العزيز الحكيم يعنى
فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز وهو كمال القدرة والقوة والحكم وهو كمال العلم له
سبحانه وتعالى لا يخفى عليه مصالح عباده ليقطع طرفا من الذين كفروا قال بعضهم هذا متعلق بقوله
ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم ببدر ليقطع طرفا اى ليهلك طايفة من الذين
كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم
وساداتهم سبعون واسر سبعون ومن حمل الاية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر
وكان النصر فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع المنهزمين وطلب الغنيمة

او يكبتهم قال العلما اصل الكبت فى اللغة صرع الشئ على وجهه والمعنى انه نصرهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او الاهلاك او اللعن والخزى وقال بعضهم ايضا معنى يكبتهم اى يحزنهم والمكبوت المحزون ومنه الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جا الى ابى طلحة فراى ابنه مكبوتا اى محزونا فقال صلى الله عليه ما شانه فقيل مات نغيرة يا رسول الله والنغير هو العصفور وقال بعض اهل اللغه اصل يكبتهم يكبدهم اى يصيبهم بالحزن والغيظ فى اكبادهم فابدلت الدال تا كما قلبت فى قولهم سبتت راسه وسبدته اى حلقه ويقال كبت الله العدو وكبتا اذا صرفه واذله وكبده اذا اصابه فى كبده ويقال ايضا قد احرق الحزن كبده واحرقت العداوة كبده وتقول العرب للعدو اسود الكبد وانشد الاعشى

فما اجشمت من اتيان قوم ... هم الاعدا والاكباد سود

كان الاكباد لما احترقت بشدة العداوة اسودت وقرا ابو مجلز او يكبدهم بالدال فينقلبوا خائبين اى فينقلبوا بالخيبة لم ينالوا شيا من الذى املوه من الظفر بكم والخايب هو المنقطع الامل قوله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شى او يتوب عليهم او يعذبهم اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الاية فقال انها نزلت فى فى اهل بئر معونة وكانوا سبعين رجلا من القرا بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونه وهى بين مكه وعسفان وارض هذيل وذلك فى شهر صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد وكان من حديثهم ان ابا برا ملاعب الاسنة واسمه عامر بن مالك بن جعفر قدم المدينه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ودعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام وقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اخشى عليهم اهل نجد قال انا لهم جار فابعثهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بنى ساعدة فى سبعين رجلا من اصحابه منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسما بن الصلت السلمى ونافع بن بديل بن ورقا وعامر بن فهيرة فى رجال مسمين من خيار المسلمين فساروا حتى نزلوا بير معونه وهى بين ارض بنى عامر وحرة بنى سليم كلى البلدين منها قريب وهى الى حرة بنى سليم اقرب فلما نزلوها بعثوا حرام بن

وهو بعيد والسياق للسباق

ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل فلما اتاهم لم ينظر فى كتابه
حتى عدا على الرجل فقتله ثم استصرخ عليهم بنى عامر فابوا ان يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء
وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبايل من سليم عصية ورعلا وذكوان
فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم اخذوا اسيوفهم
ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم رحمهم الله ورضى عنهم الا كعب بن زيد اخا بنى دينار بن النجار
رضى الله عنه فانهم تركوه من بين القتلى وبه رمق فارتث فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا
وكان فى سرح القوم عمرو بن امية الضمرى ورجل من الانصار من بنى عمرو بن عوف فلم ينبههما
مصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا ينظران فاذا
القوم فى دمايهم واذا الخيل التى اصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن اميه ما ترى قال
ارى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصارى لكنى ما كنت لارغب
بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ثم قاتل القوم حتى قتل
رضى الله عنه واخذوا عمرو بن امية اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز
ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فخرج عمرو بن اميه حتى قدم المدينه على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابى براء قد كنت لهذا كارها
متخوفا وكان فيمن اصيب يومئذ عامر بن فهيره رضى الله عنه فكان عامر بن الطفيل يقول من رجل
منهم لما قتل رايته رفع بين السما والارض حتى رايت السما دونه قالوا هو عامر بن فهيره وذكر
ابن عقبة انه لم يوجد جسد عامر بن فهيره يومئذ ويرون ان الملايكه هى وارته رحمه الله ورضى عنه
واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا يدعوا فى صلاه الغداه على الذين قتلوا اصحاب بير معونة
يدعوا على رعل وذكوان وعصية الذين عصوا الله ورسوله وانزل فيمن قتل هنالك قران ثم رفع
بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع فى الركعة الآخره من الفجر اللهم العن فلانا وفلانا
بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله عليه ليس من الامر شى الى قوله فانهم ظالمون
وروى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من

الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة المستضعفين
بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف زاد فى رواية اللهم العن
فلانا وفلانا لأحياء من العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر شئ سمّاهم فى رواية يونس اللهم العن
رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من
الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحابه ببئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل ولحيان
وعصية عصت الله ورسوله وقال انزل الله عز وجل فى الذين قتلوا ببئر معونة قرانا قرأناه
حتى نسخ بعد ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه وروى سفير عن
عاصم قال سمعت انسا يقول ما دامت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على سرية ما وجد
على السبعين الذين اصيبوا يوم بئر معونة كانوا يدعون القراء فكنت شهرا يدعو على قتلتهم
والله اعلم وقيل انه لانه نزلت يوم احد واختلفوا فى سببها فقيل انه شج رباعيته
شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته وفى الصحيحين عن انس بن مالك رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته وشج فى رأسه فجعل يسلت الدم عنه
ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل الله ليس لك من
الامر شئ وقيل اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت هذه الآية
وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو على اربعة نفر فانزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ فمدام الله للاسلام
قال العلماء قوله صلى الله عليه وسلم كيف يفلح قوم شجوا نبيهم استبعاد لتوفيق من فعل ذلك به
وقوله ليس لك من الامر شئ تقريب لما استبعده واطماع فى اسلامهم ولما الهم فى ذلك قال
صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون كما فى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه
قال كانى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الانبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم
عن وجهه وهو يقول رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قال العلماء فالحاكى فى حديث ابن مسعود
هو الرسول صلوات الله عليه لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه شقا شديدا

توجه عليه السلام على اصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه فادموه وكسروا رباعيته واثروا جرح وجهه عبد الله بن قمئة ابو ليهب

ابن قمئة الشقى

وجرح شفته السفلى ابن قمئة ابو ليهب

وقالوا له وعوت علينا فقال انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم
لا يعلمون فكانه صلى الله عليه وسلم اوحى اليه بذلك قيل وقوع قصة احد ولم يعين له ذلك
فلما وقع ذلك له تعين انه المعنى بذلك بدليل ما ذكرنا وبينه ايضا قول عمر بن الخطاب رضى
الله عنه فى بعض كلامه بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثل الهلكة من مرة آخرنا فلقد رؤى ظهرك وادمى وجهك
وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وقيل
ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة مقتولا ورأى ما صنع به من المثلة
فاراد ان يدعو عليهم فانزل الله هذه الآية قال العلماء وهذا الاشبه بالحال فلا بعد حمل
الآية فى النزول على كلها ومعنى الآية ليس لك من امور مصالح عبادى شئ الا ما اوحى اليك وان الله تعبر
هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر
وقيل ليس لك مسألة هلاكهم والدعاء عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من شاء منهم وقيل
معناه ليس لك من امر خلقى شئ الا ما وافق امرك انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم
وقيل ان قوله او يتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شئ كلام معترض
بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم
او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ بل الامر امرى فى ذلك كله وقال بعض العلماء انما
والحكمة فى منعه صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار
انه يسلم فيتوب عليهم او يولد منهم ولد مكون مسلما تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله
تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك اهلكوا جميعا
لكن اقتضت حكمة الله وما سبق فى علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية
مؤمنة صالحة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله او يعذبهم ويحتمل ان يكون المراد بعذابهم
فى الدنيا وهو القتل والاسر او فى الآخرة وهو عذاب النار والله اعلم فصل اختلف العلماء
فى القنوت فى صلاة الفجر وغيرها فمنع الكوفيون منه فى الفجر وغيرها واجازوه فى الوتر
وقال الليث بن سعد ويحيى بن يحيى الليثى صاحب الامام مالك ليس فى الصلوات قنوت وانكره الشعبى

وفى الموطا عن ابن عمر رضى الله عنه انه كان لا يقنت فى شئ من الصلاه • وروى النساى عن ابى
مالك الاشجعى عن ابيه قال صليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقنت • وصليت خلف ابى بكر
فلم يقنت • وصليت خلف عمر فلم يقنت • وصليت خلف عثمان فلم يقنت • وصليت خلف على فلم يقنت
ثم قال يا بنى انها بدعة ٥ وقـــل ان سنه القنوت بقنت فى الفجر دآيما • وفى سآير الصلوات
اذا نزلت بالمسلمين نازله • وهو قول الامام الشافعى • وقـــل ان القنوت مستحب فى صلاه الفجر ٥
وهو مروى ايضا عن الامام الشافعى • وقال الحسن وسحنون انه سنه • وهو مقتضى روايه على بن
زياد عن الامام مالك باعاده الصلاه لتارك القنوت عمدا • وحكى الطبرى الاجماع على ان تركه
غير مفسد للصلاة • وقال الحسن يلزم فى تركه سجود السهو • وهو احد قولى الامام الشافعى ٥
وروى الدارقطنى عن سعد بن عبد العزيز فيمن نسى القنوت فى صلاه الصبح هل يسجد سجدتى
السهو ٥ واختار الامام مالك القنوت قبل الركوع • وفى روايه عنه بعد الركوع • وهو مروى
عن الخلفا الاربعة • وهو قول الامام الشافعى • والامام احمد فى روايه واسحق • وروى عن جماعة
من الصحابة التخيير فى ذلك • وروى الدارقطنى باسناد صحيح عن انس رضى الله عنه انه قال ما
زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت فى صلاه الغداة حتى فارق الدنيا • وذكر ابو داود فى ٥
المراسيل عن خالد بن ابى عمران رضى الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا على
مضر اذ جاه جبريل عليه السلام فاومآ اليه ان اسكت • فسكت • فقال يا محمد ان الله لم يبعثك
سبابا ولا لعانا • وانما بعثك رحمة • ولم يبعثك عذابا ليس لك من الامر شى او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون • قال ثم علمه هذا القنوت • اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونومن بك ونخضع
لك • ونخلع ونترك من يكفرك • اللهم اياك نعبد • ولك نصلى ونسجد • واليك نسعى ونحفد • نرجوا
رحمتك ونخاف عذابك الجدّ ان عذابك بالكافرين ملحق ٥ والله اعلم وقوله تعالى
فانهم ظالمون هذا كالتعليل لعذابهم • والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ولله ما فى السموات
وما فى الارض وهذا تاكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شى • والمعنى انما يكون لمن له ما فى
السموات وما فى الارض وليس ذلك الا لله تعالى ٥ وليس لاحد معه امر يغفر لمن يشآ بفضله ورحمته
ويعذب من يشآ بعدله وحكمته يحكم فيهم بما يشآ لا منازع له فى حكمه • ولا معارض له فى فعله •

والله غفور رحيم يعني انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم
عاجلا. وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه
تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة كان ذلك برحمته. ولو ادخل جميع خلقه النار كان ذلك بعدله
لكن جانب الرحمة والمغفرة غالب. والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا
اضعافا مضاعفة قال المفسرون هذا النهي عن اكل الربا اعتراض بين اثنا قصة احد. قال
مجاهد كانوا يبيعون البيع الى اجل. فاذا جا الاجل زادوا في الثمن على ان يؤخروا الى الاجل فانزل
الله عز وجل هذه الاية. لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفه. قال العلما وانما خص الله تعالى الربا بالذكر
من بين ساير المعاصي لانه الذي آذن الله فيه بالحرب في قوله فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله
ورسوله. والحرب يوذن بالقتل. فكانه يقول ان لم تتقوا الربا هزمتم وقتلتم. فامرهم بترك الربا.
لانه كان معمولا به عندهم والله اعلم. وقوله اضعافا مضاعفة منصوب على الحال. وقرى اضعافا
مضعفة. واراد به ما كانت العرب تفعله في الجاهليه عند حلول الدين من زيادة المال وتاخير
الاجل كما قدمنا. وكان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان دين فاذا جا الاجل ولم يكن للمديون
ما يودي قال له صاحب الدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل. فربما فعلوا ذلك مرارا فنصير
الدين اضعافا مضاعفة. فنهى الله عز وجل عن ذلك. وحرم اصل الربا ومضاعفته. وقال بعضهم
كانت العرب في الجاهليه يتعاملون بالربا فياتي المطالب الى غريمه فيقول له اتقضي ام تربي. كما
قدمناه في سوره البقره. وقوله مضاعفة اشارة الى تكرير التضعيف عاما بعد عام كما كانوا
في الجاهليه يصنعون. قلت هذه العباره الموكدة على شنعة فعلهم وقبحه. ولذلك ذكرت حالة
التضعيف خاصة. ثم خوفهم تعالى بقوله العظيم واتقوا الله يعني في اموال الربا فلا تاكلوها
لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا بثوابه في الاخره. وقيل ان الفلاح يتوقف على التقوى. فلو اكل
ولم يتق لم يحصل الفلاح. وفيه دليل على ان الربا من الكباير المهلكه الموجبة للنار. ولهذا عقبه بقوله
واتقوا النار التي اعدت للكافرين يعني واتقوا ايها المومنون ان تستحلوا شيا مما حرم الله. فان
من استحل شيا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع. ويستحق النار بذلك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هذا تهديد للمومنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار. قال

قال بعضهم هذه الآية اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين
ان لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال بعضهم في هذه الآية تقوية لرجا المؤمنين رحمة من الله
تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكفار دون المؤمنين وقال اكثر المفسرين
ان هذا الوعيد لمن استحل الربا ومن استحل الربا فانه يكفر وقيل معنى الآية اتقوا العمل الذي
ينزع منكم الايمان فتستوجبون النار لان من الذنوب ما يستوجب به صاحبه نزع الايمان ويخاف
عليه من ذلك عقوق الوالدين وقد جا في ذلك اثر ان رجلا كان عاقا لوالديه يقال له علقمة فقيل
له عند الموت قل لا اله الا الله فلم يقدر على ذلك حتى جاته امه فرضيت عنه فاطلق لسانه ومن ذلك
قطيعة الرحم يخاف على القاطع سلب الايمان وكذلك اكل الربا والخيانة في الامانات والودايع
وحكى ابو بكر الوراق عن الامام ابي حنيفة انه قال اكثر ما ينزع الايمان من العبد عند الموت
ثم قال ابو بكر فنظرنا في الذنوب التي ينزع الايمان فلم نجد شيا اسرع فيزعا للايمان من ظلم العباد
وفي هذه الآية دليل على ان النار مخلوقة وفيه رد على الجهمية لان المعدوم لا يكون معدا ثم
قال تعالى واطيعوا الله يعني فيما امركم به او نهاكم عنه من اكل الربا وغيره والرسول
اي واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله وقيل اطيعوا الله في الفرايض والرسول في السنن
وقيل اطيعوا الله في تحريم الربا والرسول فيما بلغكم من التحريم قال محمد بن اسحق في هذه الآية
معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لعلكم ترحمون لكي ترحموا ولا
تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قوله
عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي
الاعمال الصالحة قال عطا ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله بنوا اسرايل كانوا
اكرم على الله منا كانوا اذا اذنبوا ذنبا اصبحت كفارة ذنبهم مكتوبة على عتبة ابوابهم اجدع انفك
اجدع اذنك افعل كذا افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الآية
وسارعوا الى مغفرة من ربكم اي سابقوا الى الاعمال التي توجب المغفرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما
سارعوا الى الاسلام وقيل سارعوا الى الهجرة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سارعوا الى ادا الفرايض
وقال عثمان بن عفان سارعوا الى الاخلاص وقال الضحاك سارعوا الى الجهاد وقال عكرمة سارعوا

الى التوبة • وقال مقاتل سارعوا الى الاعمال الصالحة • وقال سهل بن عبد الله سارعوا الى السنة • وقيل سارعوا الى التوبة من اكل الربا • وقيل الى الثبات فى القتال • وروى عن انس بن مالك وسعيد ابن جبير ومكحول انها التكبيرة الاولى يعنى تكبيرة الاحرام • والله اعلم بمراده • قرا نافع وابن عامر سارعوا الى مغفرة من ربكم بغير واو • وكذلك هى فى مصاحف اهل المدينة واهل الشام • وقرا باقى القرا السبعة وسارعوا بثبوت الواو • قال ابو على الفارسى وكلا الامرين سايغ مستقيم فمن قرا بالواو فانه عطف الجملة على الجملة • ومن قرا بغير واو قال ان الجملة الثانية ملتبسة بالاولى مستغنية بذلك عن العطف بالواو • والله اعلم وقوله تعالى وجنة اى وسارعوا الى جنة قال العلما وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب • والجنة هى حصول الثواب • وفيه اشعار بانه لابد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة • وذلك بترك المنهيات • والمسارعة الى الاعمال الصالحة المودية الى الجنة عرضها اى عرض الجنة السموات والارض يعنى كعرض السموات والارض • فحذف المضاف كقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى الا كخلق نفس واحدة وبعثها • قال العلما لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة • والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة لان الطول فى العادة يكون اكثر من العرض • يقول هذا صفة عرضها فكيف بطولها • والمراد وصف الجنة بالسعة والبسطة فشبهت باوسع شى علمه الناس • وذلك انه لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل عرض الجنة • فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى • وقال ابن عباس ايضا تقرن السموات والارض بعضها الى بعض كما تبسط الثياب ويوصل بعضها ببعض فذلك عرض الجنة • قال ولا يعلم طولها الا الله • وهذا هو قول الجمهور وذلك لا ينكر • قال فى حديث ابى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما السموات والارض فى الكرسى الا كدراهم القيت فى فلاة من الارض • وما الكرسى فى العرش الا كحلقة من حديد القيت فى فلاة من الارض فهذه مخلوقات اعظم بكثير جدا من السموات والارض وقدرة الله اعظم من ذلك كله • وقال الكلبى الجنان اربع جنة عدن • وجنة المأوى • وجنة الفردوس • وجنة النعيم • كل جنة منها كعرض السما والارض لو وصل بعضها ببعض • وقال السدى رحمه الله عليه لو كسرت السموات والارض وصرن خردلا فبكل خردلة جنة عرضها السموات والارض •

السبع مر

سبحانه

سبحانه وتعالى مما اعظم ملكه • وفى الصحيح من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان ادنى اهل
الجنة منزله من يتمنى ويتمنى حتى اذا انقطعت به الاماني قال الله تعالى ذلك لك وعشرة امثاله •
رواه مسلم • وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم
آخر اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة دخولا • رجل يخرج من النار حبوا • فيقول الله له
اذهب فادخل الجنة • قال فياتيها فيخيل اليه انها ملآى • فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملآى •
فيرجع فيقول الله له اذهب فادخل الجنة • قال فياتيها فيخيل اليه انها ملآى • فيرجع
فيقول يا رب وجدتها ملآى • فيقول الله عز وجل له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا
وعشره امثالها • او ان لك عشرة امثال الدنيا • فيقول اتسخر بى • او تضحك بى وانت الملك • قال
لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه • قال وكان يقال ذاك ادنى اهل
الجنة منزلة • وفى رواية لك الذى تمنيت وعشرة اضعاف الدنيا • رواه مسلم • وروى ايضا
ان ادنى اهل الجنة منزله من ينظر فى ملكه وقصوره وجناته وخدمه الف سنة • والله اعلم •
وقيل المراد بالعرض السعة • كما تقول العرب بلاد عريضة • اى واسعة عظيمة • قال الشاعر
كان بلاد الله وهى عريضة • على الخائف المطلوب كفة حابل • •
وقال الله عز وجل متكئين على فرش بطائنها من استبرق • فوصف سبحانه البطائن باحسن ما نعلم
من الزينة • اذ معلوم ان الظواهر احسن واتقن من البطائن • والله اعلم • وروى ان هرقل ملك
الروم ارسل الى النبى صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين
النار • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله • فاين الليل اذا جاء النهار • ورواه يعلى بن مرة
قال لقيت التنوخى رسول هرقل الى النبى صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا • فقال لى قدمت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل • فناول الصحيفة رجلا عن يساره • قال فقلت من صاحبكم
الذى يقرا • قال معاوية • فاذا كتاب صاحبى اليه كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض
فاين النار • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله • واين الليل اذا جاء النهار • وروى طارق
ابن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده اصحابه • فقالوا اراسم قولكم
وجنة عرضها السموات والارض فاين النار • فقال عمر ارايتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار •

واذا جآ النهار فاين يكون الليل. فقالوا انه لمثلها فى التوريه. ومعناه حيث شا الله. وقال
بعضهم والله اعلم بذلك انه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب الليل. والليل فى ضد ذلك الجانب.
فكذلك الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل. فان قيل قال الله تعالى وفى السمآ رزقكم
ومآ توعدون. واراد بالذى وعدنا به الجنة. ومذهب اهل السنة انها فى السموات. واذا
كانت الجنة فى السمآ فكيف يكون عرضها السموات والارض. قيل له المراد من قولنا انها فى
السموات انها فوق السموات وتحت العرش. كما سئل انس بن مالك رضى الله عنه عن الجنه افى السمآ هى ام
فى الارض. فقال اى ارض وسمآ تسع الجنة. قيل له فاين هى. فقال فوق السموات تحت العرش.
وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس. فقال وسقفها عرش الرحمن. وفى روايه
وفوقه عرش الرحمن. وقال قتادة كانوا يرون ان الجنه فوق السموات السبع. وان جهنم تحت الارضين
السبع. وقيل ان باب الجنة فى السمآ وعرضها كعرض السموات والارض. وقال قوم من العلمآ
فى تفسير الايه ان الكلام خرج على مقطع العرب من الاستعارة. فلما كانت الجنة من الاتساع
والانفساح فى غاية قصوى حسنت العبارة عنها بعرض السموات والارض. كما تقول لرجل هذا امر
ولشخص كبير من الحيوان هذا جبل. ولم نقصد بالايه تحديد العرض. ولكنه اراد بذلك انهما
اوسع شى رايتموه. والله اعلم. وقد ذهب عامة العلمآ الى ان الجنة موجوده مخلوقه. لقول الله تعالى
اعدت للمتقين. وهو نص حديث الاسرا وغيره فى الصحيحين وغيرهما. وقالت المعتزله انهما غير
مخلوقتين فى وقتنا. وان الله تعالى اذا طوى السمآ والارض ابتدا خلق الجنة والنار حيث شا لانهما
دار جزآ بالثواب والعقاب. فخلقتا بعد التكليف فى وقت الجزآ. ليلا يجتمع دار التكليف ودار الجزا
فى الدنيا. كما لم يجتمعا فى الاخره. وهذا القول مردود باطل. وقال ابن فورك ان الجنه يزاد فيها
يوم القيامة. قال ابن عطيه وفى هذا القول متعلق لبعض المعتزله. قال ابن عطية وقوله يزاد
فيها اشارة الى موجود لكنه يحتاج الى سند يقطع القدر فى الزيادة. وقول ابن عطيه فى غاية
الايضاح. واذا كانت السموات السبع والارضون السبع بالنسبة الى الكرسى كدراهم القيت فى فلاة من
الارض. والكرسى بالنسبة الى العرش كحلقه ملقاة بارض فلاة. فالجنة الآن على ما هى عليه فى
الآخره عرضها كعرض السمآ والارض. اذ العرش سقفها حسب ما ورد فى صحيح الحديث. ومعلوم

ان تحتوى على ما تحته وتزيد لمقدوراته • ولا غاية لسعة مملكته سبحانه • وروى عن ابن عمر رضى
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزله لمن ينظر الى جناته وازواجه
ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة الف سنة • واكرمهم على ربه من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا •
وفى رواية ان ادنا اهل الجنة منزله لينظر فى ملكه الفى سنة • يرى اقصاه كما يرى ادناه ينظر الى
ازواجه وخدمه • وروى عن ابن عمر ايضا قال ان ادنى اهل الجنة منزله لرجل له الف قصر من كل
قصر من مسيرة سنة • يرى اقصاها كما يرى ادناها • فى كل قصر من الحور العين والرياحين والولدان
ما يبد عوا بشى الا اتى به • وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم • واثنتان وسبعون زوجة • وتنصب له قبة
من لولو وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعا • وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اسفل اهل الجنة اجمعين درجة لمن يقوم على راسه عشرة الاف خادم بيد
كل واحد صحفتان • واحده من ذهب والاخرى من فضة • فى كل واحدة لون ليس فى الاخرى مثله •
ياكل من آخرها كما ياكل من اولها • يجد لآخرها من الطيب واللذة مثل الذى يجد لاولها • ثم يكون
ذلك ريح المسك الاذفر • لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون • اخوانا على سرر متقابلين • رواه
ابن ابى الدنيا • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة
منزله وليس فيهم دنى من غدوا عليه كل يوم ويروح خمسة عشر الف خادم • ليس منهم خادم الا
ومعه طرفة ليست مع صاحبه • قال الحافظ رحمه الله ولا منافاة بين هذه الاحاديث • لانه قال
فى حديث ابى سعيد ادنى اهل الجنة الذى له ثمانون الف خادم • وقال فى حديث انس من يقوم على
راسه عشرة الاف خادم • وفى حديث ابى هريرة من يغدوا عليه ويروح خمسة عشر الف خادم • فيجوز
ان يكون له ثمانون الف خادم • يقوم على راسه منهم عشرة الاف • ويغدوا عليه منهم كل يوم خمسة
عشر الفا • والله اعلم • وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الا اخبركم باسفل اهل الجنة درجة • قالوا بلى يا رسول الله • قال رجل يدخل من باب الجنة •
فتستقبله غلمانه • فيقولون مرحبا سيدنا • قد آن لك ان تزورنا • قال فتمد له الزرابى اربعين
سنة • ثم ينظر عن يمينه وعن شماله فيرى الجنان • فيقول لمن ما هاهنا • فيقال لك • حتى اذا انتهى

رفعت له یاقوته حمرا او زبرجده خضرا لها سبعون شعبا. فی کل شعب سبعون غرفه.
فی کل غرفة سبعون بابا. فیقال اقرا وارقه. فیرقا. حتی اذا انتهی الی سریر ملکه اتکا علیه.
سعته میل فی میل. له فیه قصور. فیسعی الیه بسبعین صحفة من ذهب. لیس فیها صحفة من لون
اختها. یجد لذة آخرها کما یجد لذة اولها. ثم یسعی الیه بالوان الاشربة فیشرب منها ما شاء الله
اشتهی. ثم یقول الخلمان اترکوه وازواجه. فینطلق الخلمان. ثم ینظر فاذا حورا من الحور العین
حالسة علی سریر مُلکها. علیها سبعون حُلة. لیس منها حلة یمن لون صاحبتها. فیری مخ ساقها من
وراء اللحم والدم والعظم. والکسوة فوق ذلک. فینظر الیها. فتقول من انت. فتقول انا من الحور العین
من اللاتی خُبئین لک. فینظر اربعین سنة لا یصرف بصره عنها. ثم یرفع بصره الی الغرفة فاذا
اخری اجمل منها. فتقول ما آن لک ان یکون لنا منک نصیب. فیرتقی الیها اربعین سنة لا یصرف
بصره عنها. ثم اذا بلغ النعیم منهم کل مبلغ وظنوا ان لا نعیم افضل منه تجلی لهم الرب تبارک وتعالی.
فینظرون الی وجه الرحمن. فیقول سبحانه یا اهل الجنة هللونی. فیتجاوبون تهلیل الرحمن. ثم یقول
سبحانه یا داود قم فمجدنی کما کنت تمجدنی فی الدنیا. قال فیمجد داود ربه عز وجل. رواه
ابن ابی الدنیا رحمه الله وسیاتی لهذا مزید بیان فی محله ان شاء الله تعالی. وقوله تعالی اُعدت
للمتقین ای هُیئت للمتقین. وفی هذا دلیل علی ان الجنة والنار مخلوقتان الآن. قوله
تعالی الذین ینفقون فی السرا والضرا قال العلما هذا من صفة المتقین الذین اعدت لهم الجنه وما
وصفا فیها. وظاهر الایة انها مدح بفعل المندوب الیه. والسرا الیُسر. والضرا العُسر ای
لا یترکون الانفاق فی کلتی الحالتین فی الغنی والفقر. والرخا والشده. ولا فی حال فرح وسرور. ولا فی
حال محنة وبلا. وسوا کان الواحد منهم فی عرس او فی حبس فانهم لا یدَعون الاحسان الی الناس. فاول
ما ذکر الله عز وجل من اخلاقهم الموجبه للجنة السخا. لانه اشق علی النفس. وکانت الحاجة الی اخراج
المال فی ذلک الوقت اعظم الاحوال للحاجة الیه فی مجاهدة الاعدا. ومواساة الفقرا من المسلمین. وهذا
القول جامع. وقال عبید بن عمیر والضحاک السرا والضرا الرخا والشده. وقیل ینفقون فی حال
الشده والمرض. وقیل ینفقون فی السرا ای فی الحیاة. وفی الضرا یعنی یوصون بعد الموت. وقیل
ینفقون فی السرا ای فی العُرس والولایم. والضرا فی النوایب والمآتم. وقیل فی السرا النفقه

التى تسركم مثل النفقه على الاولاد والقرابات • والضرا النفقه على الاعدا • وقل ولى السرا
ما تضيف به الضنى وتهدى اليه • والضرا ما سفقه على اهل الضر وتصدق به عليهم • والاية
تعم الجميع • والله اعلم • عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخى قريب من الله •
قريب من الناس • قريب من الجنة • بعيد من النار • والبخيل بعيد من الله • بعيد من الناس • بعيد
من الجنة • قريب من النار • ولجاهل سخى احب الى الله من عابد بخيل • اخرجه الترمذى • قال العلما
اول خلق من اخلاقهم الموجبة لهم الجنة السخاوة • وعن عاشة رضى الله عنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الجنة دار الاسخيا • والنار دار البخلا • وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السماح شجرة فى الجنة اغصانها فى الدنيا من تعلق بغصن من
اغصانها قادته الى الجنة • والبخل شجرة فى النار اغصانها فى الدنيا من تعلق بغصن من اغصانها
قادته الى النار • وروى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما • فاما
المنفق فلا ينفق الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو اثره • واما البخيل
فلا يريد ان ينفق شيا الا لزقت كل حلقه مكانها فهو يوسعها فلا تتسع • الجنة هو الدرع من
الحديد • ورويا ايضا عن ابى هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان • فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا • ويقول الآخر
اللهم اعط ممسكا تلفا • وعنه رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تبارك وتعالى انفق ينفق عليك • رواه البخارى ومسلم ايضا • وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنه الجنة كل خزنة باب اى فل هلم • فقال
ابو بكر يا رسول الله ذاك الذى لا توى عليه • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لارجوا ان تكون
منهم • قوله اى فل • اى يا فلان • وليس بترخيم • والتوى هو الهلاك • يعنى ذاك الذى لا هلاك
عليه • والاحاديث فى هذا المعنى كثيره • وقد مناطرفا منها فى سورة البقره على نظير هذه الاية • وفى هذا
كفاية • وقوله تعالى والكاظمين الغيظ يعنى واجار عين الغيظ عند امتلآ نفوسهم • وكظم الغيظ
رده فى الجوف • وقال بعضهم الكظم حبس الشى عند امتلآيه • وكظم الغيظ هو ان يمتلى غيظا فيرده

فى جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل وصبر عليه وسكت عنه • ومعنى الآية انهم يكفون غيظهم على الامضاء ويردون غيظهم فى اجوافهم • وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم • وفى الحديث ما من جرعة احمد عقبا من جرعة غيظ مكظومة • عن سهل بن معاذ بن انس الجهنى عن اسه رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤس الخلايق حتى يخيره من اى الحور شاء • رواه الترمذى وابو داود • وعن ابى هريرة رضى الله عنه • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة • انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب • وروى عن عايشة رضى الله عنها ان خادما لها اغاظها • فقالت لله در التقوى • ما تركت لذى غيظ شفاء • وانشد الشاعر

واذا غضبت فكن وقورا كاظما • للغيظ تبصر ما تقول وتسمع
وكفى بك شرفا تصبر ساعة • يرضى بها عنك الاله وترفع

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه آواه الله فى كنفه • وستر عليه برحمته • وادخله فى محبته • من اذا اعطى شكر • واذا قدر غفر • واذا غضب فتر • رواه الحاكم • وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه • ومن حفظ لسانه ستر الله عورته • رواه الطبرانى • وعن ابى ذر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس • فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع • رواه ابو داود وغيره • وعن ابى وايل القاص قال دخلنا على عروة بن محمد السعدى فكلمه رجل فاغضبه • فقام فتوضا • فقال حدثنى ابى عن جدى عطية • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان • وان الشيطان خلق من النار • وانما تطفى النار بالماء • فاذا غضب احدكم فليتوضا • رواه ابو داود رحمه الله • وقوله تعالى والعافين عن الناس يعنى اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه • والعفو عن الناس من اجل ضروب فعل الخير حيث يجوز للانسان ان يعفو وحيث يتجه حقه • وقال زيد بن اسلم يعفون عمن ظلمهم واساء اليهم • وقال مقاتل بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هؤلاء من امتى قليل الا من عصمه الله • وقال ابو العالية والكلبى والزجاج فى قوله والعافين عن الناس اى عن المماليك • قال ابن عطية وهذا قول حسن على

جمة المثال اذ هم الخدمة فهم مذنبون كثيرا والقدرة عليهم متيسرة وانفاذ العقوبه
لهم سهلة وروى عن ميمون بن مهران رضى الله عنه ان جارية جاءت ذات يوم بصحفة فيها
مرقة حارة وعنده اضياف فعثرت فصبت المرقة عليه فاراد ميمون ان يضربها فقالت الجارية
يا مولاي استعمل قول الله والكاظمين الغيظ قال لها قد فعلت فقالت اعمل ما بعده والعافين
عن الناس قال قد عفوت فقالت الجارية والله يحب المحسنين قال ميمون قد احسنت اليك
فانت حرة لوجه الله تعالى وروى مثل هذه القصة عن الاحنف بن قيس رحمة الله عليه فمدح
الله سبحانه الذين يعفون عند الغضب واثنى عليهم بقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون واثنى في هذه
الآية على الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس واخبر سبحانه انه يحبهم باحسانهم في ذلك وورد
في كظم الغيظ والعفو عن الناس وملك النفس عند الغضب احاديث وذلك من اعظم العبادات
وجهاد النفس فقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه
عند الغضب وتقدم وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة يتجرعها العبد خير له واعظم اجرا
من جرعة غيظ في الله وروى انس رضى الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
ما اشد من كل شئ قال غضب الله قال فما ينجي من غضب الله قال لا تغضب وانشد
عروة بن الزبير رضى الله عنهما في العفو

لن يبلغ المجد اقوام وان شرفوا ... حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مشرقة ... لا عفو ذل ولكن عفو اكرام

وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة نادى
مناد من كان اجره على الله فليدخل الجنة فقال من ذا الذي اجره على الله فيقوم العافون عن
الناس يدخلون الجنة بغير حساب ذكره الماوردي رحمه الله وقال عبد الله بن المبارك كنت
جالسا عند المنصور فامر بقتل رجل فقلت يا امير المومنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيامة نادى مناد بين يدي الله تعالى من كان له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم
الا من عفا عن ذنب فامر باطلاقه وعن ابي هريرة رضى الله عنه ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس فجاء رجل فوقع في ابي بكر وهو ساكت والنبي صلى الله عليه

علیه وسلم تتبسم • ثم رد ابو بکر علیه بعض الذی قال • فغضب النبی صلی الله علیه وسلم وقام • فلحقه
ابو بکر • فقال یا رسول الله شتمنی وانت تبسم ثم رددت علیه بعض ما قال فغضبت وقمت • قال صلی
الله علیه وسلم انک حین کنت ساکتا کان معک ملک یرد عنک • فلما تکلمت وقع الشیطان • فلم اکن
لاقعد فی مقعد فیه الشیطان • یا ابا بکر ثلاثه حق • تعلم انه لیس عبد یظلم بمظلمة فیعفو عنها
الا اعز الله نصره • ولیس عبد یفتح باب مسالة یرید بها کثرة الا زاده الله بها قله • ولیس عبد یفتح علیه
او صلة الا زاده الله بها کثره ۵ وقال صلی الله علیه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا • وما تواضع
احد لله الا رفعه الله • وقال صلی الله علیه وسلم طوبی لمن تواضع فی غیر منقصة • وذل فی نفسه من غیر
مسالة • وانفق مالا جمعه فی غیر معصیة • ورحم اهل الذلة والمسکنه • وخالط اهل الفقه والحکمة ۵
وعن ابی هریرة رضی الله عنه قال سمعت الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة ابا القاسم صلی
الله علیه وسلم یقول لا تنزع الرحمة الا من قلب شقی ۵ رواه ابو داود وغیره • وعن عائشة رضی الله
عنها قالت قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان الله رفیق یحب الرفق • ویعطی علی الرفق ما لا یعطی علی
العنف وما لا یعطی علی ما سواه • وعنها رضی الله عنها عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال ان الرفق
لا یکون فی شی الا زانه • ولا ینزع من شی الا شانه • رواه مسلم • وعن جریر بن عبد الله البجلی رضی الله عنه
ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ان الله عز وجل لیعطی علی الرفق ما لا یعطی علی الخرق • واذا احب الله
عبدا اعطاه الرفق • ما من اهل بیت یحرموا الرفق الا حرموا الخیر • رواه الطبرانی • وعن ابی
الدرداء رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال من اعطی حظه من الرفق فقد اعطی حظه
من الخیر • ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخیر • رواه الترمذی • وقال حدیث حسن صحیح ۵
وعن ابی امامة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان الله یحب الرفق ویرضاه
ویعین علیه ما لا یعین علی العنف • رواه الطبرانی • وعن عائشة رضی الله عنها ان رسول الله صلی
الله علیه وسلم قال لها یا عائشة ارفقی • فان الله اذا اراد باهل بیت خیرا ادخل علیهم الرفق • وعن
ابن عمر رضی الله عنهما ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ما اعطی اهل بیت الرفق الا انفعهم • رواه
الطبرانی ایضا • وعن جابر رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ثلاث من کن فیه
نشر الله علیه کنفه وادخله جنته • رفق بالضعیف • وشفقة علی الوالدین • واحسان الی المملوک ۵

رواه

رواه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قام اعرابي في المسجد
فقام الناس اليه ليقعوا فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه واهريقوا على بوله سجلا
من ماء او ذنوبا من ماء فانما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين رواه البخاري وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم
والاناة رواه مسلم وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وان بعض الرواة فيه جاهد ليكتب جبارا وما يملك
الا اهل بيته وعن انس رضي الله عنه قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت الى صفحة عنق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي
من مال الله الذي عندك فالتفت اليه فضحك ثم امر له بعطاء رواه البخاري وعن ابن مسعود
رضي الله عنه قال كاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الانبياء ضربه قومه فادموه
وهو يمسح الدم عن وجهه وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون رواه البخاري ومسلم ٥
وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وجبت محبة الله
على من اغضب فحلم رواه الاصبهاني وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بما يشرف به البنيان وترفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال
تحلم على من جهل عليك وتعفو عن من ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من
قطعك رواه الطبراني والبزار رحمهما الله ثم قال تعالى والله يحب المحسنين قال العلماء
يحتمل ان يكون اللام للجنس فتشاول كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فيكون اشارة الى المذكورين
في الآية والاحسان الى الغير اما ان يكون ما يصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان
ان تحسن الى من اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه
كل احد كالشمس والمطر والريح وغيرها وقيل الاحسان انما هو وقت الامكان وليس عليك في
كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الآية فمن فعلها فهو محسن
ولما كان هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله

تعالى للعبد اعظم درجات الثواب وقال بعضهم الخطى الاحسان ان تحسن وقت الامكان
وليس كل وقت يمكنك الاحسان وقال الشاعر
ما در بخير اذا ما كنت مقتدرا فليس في كل حين انت مقتدر وقال العباس
ليس في كل ساعة وافاك تنبيا صنايع الاحسان
واذا امكنتك فبادر اليها خوفا من تعذر الامكان
وقد مضى في سورة البقرة القول في الحسن والاحسان والله اعلم قوله عز وجل والذين
اذا فعلوا فاحشة قال المفسرون ان الله تعالى ذكر في هذه الاية صنفا دون الصنف الاول
فالحقهم بهم برحمته ومنه فهولاء هم التوابون وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال المومنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما رسول الله كانت بنو اسرايل اكرم على الله منا
كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل
كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية وجعل عوضا عن قطع
الاعضا الاستغفار شرفا لهذه الامة وروى عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في
تيهان التماز اتته امراة حسنا تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت
اجود منه فهل لك فيه قالت نعم فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله
فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وفي رواية
ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخا بين رجلين احدهما انصاري
والاخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف اخاه الانصاري على اهله فاشترى لهم ذات
يوم لحما فلما ارادت المراة ان تاخذه منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف
ووضع التراب على راسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يسقبله الانصاري فسال امراته
عن حاله فقالت لا كثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري سيح في الجبال تايبا
مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتا به الى ابي بكر رجا ان يجد عنده راحة وفرجا فقال له
الانصاري هلكت قال وما اهلكك فذكر له القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى
يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال

لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة
عما اذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الاقوال والافعال واصل الفحش القبيح
والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا والله اعلم وقوله تعالى او ظلموا انفسهم
قال مقاتل والكلبي ظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل
الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح
وظلم النفس هو اتي ذنب كان ذكروا الله يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسايلهم عن ذلك
يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند
الذنوب وهو قوله تعالى فاستغفروا لذنوبهم يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها
نادمين على فعلها عازمين على ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة قال العلما
الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الاصرار وثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان
فاما من قال بلسانه استغفر الله وقلبه مصر على معصية الله فان استغفاره ذلك يحتاج الى استغفار
وصغيرته لاحقه بالكبايره وروى عن الحسن البصري رحمة الله عليه انه قال استغفارنا يحتاج
الى الاستغفار وهذا قول الحسن في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الانسان مكبا
على الظلم حريصا عليه لا يقلع عنه والمسبحة في يده زاعما انه يستغفر من ذنبه وذلك استهزا
منه واستخفاف فانا لله وانا اليه راجعون قال الله عز وجل ولا تتخذوا ايات الله هزوا وقوله
تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله قال العلما وصف سبحانه نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة
وان التايب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه
وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه لانه القادر على عقاب المذنب
وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه ولسر احد
يغفر المعصية ولا يزيل عقوبتها الا الله وقوله ولم يصروا على ما فعلوا يعني ولم يقيموا على
الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا وقال قتاده اياكم والاصرار فانما
هلك المصرون الماضون قدما قدما في معاصي الله لا ينهاهم مخافة الله عن حرام حرم الله ولا يتوبون
من ذنب اصابوه حتى اتاهم الموت وهم على ذلك وقال الحسن اتيان العبد ذنبا عمدا اصرار حتى يتوب

وقال السدی الاصرار هو السکوت وترک الاستغفار • ویدل علیه ما روی عن ابی بکر الصدیق
رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد فی الیوم سبعین
مرة اخرجه ابو داود وقال حدیث غریب • وعن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی
الله علیه وسلم لیس کبیرة ببکبیرة مع الاستغفار • ولا صغیرة بصغیرة مع الاصرار • وقوله
تعالی وهم یعلمون قال ابن عباس رضی الله عنهما وهم یعلمون انها معصیة • وقیل وهم یعلمون
ان الاصرار ضار • وقیل معناه وهم یعلمون ان الله یملک مغفرة الذنب • وان لهم ربا یغفرها •
وقیل وهم یعلمون ان الله لا یتعاظمه العفو عن الذنوب وان کثرت • وقیل معناه وهم یعلمون
انهم ان استغفروه غفر لهم • قال ثابت البنانی بلغنی ان ابلیس بکی حین نزلت هذه الایة والذین
اذا فعلوا فاحشة الی اخرها • وقال الحسن بن الفضل معنی قوله وهم یعلمون • ای یعلمون ان لهم
ربا یغفر الذنب • وهذا اخذه من حدیث ابی هریرة رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم فیما
یحکی عن ربه عز وجل قال اذنب عبد ذنبا • فقال اللهم اغفر لی ذنبی • فقال تبارک وتعالی اذنب
عبدی ذنبا علم ان له ربا یغفر الذنب ویاخذ بالذنب • ثم عاد فاذنب • فقال ای رب اغفر لی ذنبی •
فقال تبارک وتعالی اذنب عبدی ذنبا فعلم ان له ربا یغفر الذنب ویاخذ بالذنب • ثم عاد فاذنب • فقال
ای رب اغفر لی ذنبی • فقال تبارک وتعالی اذنب عبدی ذنبا فعلم ان له ربا یغفر الذنب ویاخذ
بالذنب • اعمل ما شئت فقد غفرت لک • قال العلماء وفی هذا دلیل علی صحة التوبة بعد نقضها
بمعاودة الذنب • لان التوبة الاولی طاعة قد انقضت وصحت • وهو محتاج بعد مواقعة الذنب
الثانی الی توبة اخری مستانفة • والعود الی الذنب وان کان اقبح من ابتدائه • لانه انضاف الی
الذنب نقض التوبة • فالعود الی التوبة احسن من ابتدائها • لانه انضاف الیها ملازمة الالحاح
بباب الکرم • وانه لا غافر للذنوب سواه • ودلت الایة والحدیث علی عظیم فایدة الاعتراف بالذنب
والاستغفار منه • قال النبی صلی الله علیه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله علیه
قال الشاعر ٥

ستوجب العفو الفتی اذا اعترفا • بما جنا من الذنوب واقترفا • وقال آخر

اقر بذنبک ثم اطلب تجاوزه • ان الجحود بجحود الذنب دانِ •

وفی صحیح مسلم عن ابی هریره رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم والذی نفسی
بیده لو لم تذنبوا لذهب الله بکم ولجاء بقوم یذنبون فیستغفرون الله فیغفر لهم ۵ وهذه
فائدة اسمه تعالی الغفار والتواب ۰ واعلم ان الذنوب التی یتاب منها اما کفرا وغیره ۰ فتوبة الکافر
عبارة عن ایمانه مع ندمه علی سالف کفره ۰ ولیس نفس مجرد الایمان توبه ۰ واما التوبه من غیر
الکفر ۰ فلا تخلوا اما ان یکون الذی یتوب منه حق الله تعالی او حق الغیر ۰ فان کان حق الله فلا یکفی فی
التوبة منه الترک ۰ غیر ان منها ما لم یکتف الشرع فیها بمجرد الترک ۰ بل لابد ان یضاف الی بعضها
قضاء کالصلاة والصوم ۰ ومنها ما یضاف الیها کفارة ۰ کالحنث فی الایمان فی الظهار وغیر ذلک ۵
واما فی حقوق الادمیین فلابد من ایصالها الی مستحقیها ۰ فان لم یوجدوا تصدق عنهم ۰ ومن لم
یجد سبیلا الی اجراح ما علیه لاعسار ۰ فعفو الله مامول ۰ وفضله مبذول ۰ فکم ضمن سبحانه
من التبعات ۰ وبدل من السیئات بالحسنات ۰ وساتی لهذا المعنی زیاده ایضاح ۰ وقال العلماء
ایضا لیس علی الانسان اذا لم یذکر ذنبه ویعلمه ان یتوب منه بعینه ۰ ولکن یعتقد اذا ذکر ذنبا
تاب منه ۰ وتاول کثیر من الناس ان الامام المحاسبی رحمه الله یری ان التوبة من اجناس المعاصی
لا تصح ۰ وان الندم علی جملتها لا یکفی ۰ بل لابد ان یتوب من کل فعل بجارحته ۰ وکل عقد بقلبه ۰
علی التعیین ۰ ظنوا ان هذا من قوله ۰ ولیس هذا مراده ۰ ولا یقتضیه کلامه ۰ بل حکم المکلف اذا
عرف حکم افعاله وعرف المعصیة من غیرها صحت منه التوبة من جملة ما عرف ۰ فانه اذا لم
یعرف ان فعله الماضی معصیة لا یمکنه ان یتوب منه لا علی الجملة ولا علی التفصیل ۰ ومثاله
رجل کان یتعاطی ابوابا من ابواب الربا ولا یعرف انه ربا ۰ فاذا سمع کلام الله عز وجل یا ایها الذین
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقی من الربا ان کنتم مومنین فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله
عظم علیه هذا التهدید ۰ وظن انه سالم من الربا ۰ فاذا علم حقیقة الربا الان ثم یفکر فیما مضی
من ایامه وعلم انه لابس منه شیا کثیرا فی اوقات متقدمة صح ان یندم علیه الآن جملة ۰ ولا
یلزم تعیین اوقاته ۰ وهکذا کل ما واقع من الذنوب والسیئات ۰ کالغیبة والنمیمة وغیر ذلک
من المحرمات التی لم یعرف کونها کونها محرمة او غیر محرمة ۰ فاذا فقه العبد وتفقد ما مضی
من کلامه تاب من ذلک جملة وندم علی ما فرط فیه من حق الله تعالی ۵ فاذا تخلل ممن کان ظلمه

محالة على الجملة وطابت نفسه بترك حقه جاز لانه من باب هبة المجهول هذا مع شح
العبد وحرصه على طلب حقه فكيف باكرم الاكرمين المفضل بالطاعات واسبابها والعفو
عن المعاصي صغيرها وكبيرها وهذا هو مراد الامام المحاسبي والذي يدل عليه كلامه لمن تفقده
وامعن ما ظنه به الظان من انه لا يصح الندم الا على فعل فعل وحركة حركة وسكنة سكنة على
التعيين هو من باب تكليف ما لا يطاق الذي لم يقع شرعا وان جاز عقلا ويلزم عنه
ايضا ان يعرف كم جرعة جرعها في شرب الخمر وكم حركة تحركها في الزنا وكم خطوة مشاها
الى محرم وهذا ما لا يطيقه احد ولا تاتي منه توبة على التفصيل وسياتي لهذا الباب مزيد
بيان من احكام التوبة وشروطها في سورة النسا وغيرها ان شا الله تعالى ٥ قال بعض المحققين
من المفسرين ان في قول الله تعالى ولم يصروا حجة واضحة ودلالة قاطعة لما قاله سيف السنة
ولسان الامة القاضي ابو بكر بن الطيب رحمة الله ان الانسان يواخذ بما وطن عليه ضميره
وعزم عليه قلبه من المعصية ٥ قلت قال الله عز وجل ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم وسنذكره وقال تعالى فاصبحت كالصريم فعوقبوا قبل فعلهم يعني اصحاب الجنة الذين ذكرهم الله
في سورة ن والقلم وسياتي بيان ذلك وفي صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى
المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول
قال انه كان حريصا على قتل صاحبه فعلق صلى الله عليه وسلم الوعيد على الحرص وهو العزم
والنعي اظهار السلاح ٥ وانص من هذا ايضا ما رواه الترمذي من حديث ابي كبشة الانماري
وصححه مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما الدنيا لاربعة نفر رجل آتاه الله
مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل ٥
ورجل آتاه الله علما ولم يوته مالا فهو يقول لو ان لي مالا لعملت فيه عمل فلان فهو بنيته ٥
فاجرهما سوا ورجل آتاه الله مالا ولم يوته علما فهو لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه
ولا يعلم لله فيه حقا فهذا باخبث المنازل ورجل لم يوته الله مالا ولا علما فهو يقول لو
ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سوا ٥ قلت وهذا الذي ذهب اليه القاضي
ابو بكر رحمه الله هو الذي عليه عامة السلف واهل العلم من الفقها والمحدثين والمتكلمين ٥ ولا يلتفت

الى خلاف من ذكر ان ما يهم الانسان به واذ وطن عليه لا يواخذ به ولا حجة له في قول النبي صلى
الله عليه وسلم من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيا فان عملها كتب سيئة واحدة لان قوله
فلم يعملها بمعنى فلم يعزم على عملها بدليل ما ذكرنا ومعنى قوله فان عملها اى اظهرها وعزم
عليها بدليل ما وصفنا وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا وقالوا بواعث التوبة
وحل الاصرار ادامة التفكر في كتاب الله العزيز الغفار وما ذكره الله تعالى من تفاصيل الجنة
وما وعد به المطيعين وما وصفه من عذاب النار وتهدد به العاصين ودام على ذلك حتى قوى
خوفه ورجاوه فدعى الله رغبا ورهبا والرغبة والرهبة ثمرة الخوف والرجاء يخاف
من العقاب ويرجوا الثواب والله الموفق للصواب وقد قيل ان الباعث على ذلك تنبيه الهدى
ينبه من اراد سعادته لقبح الذنوب وضررها اذ هي سموم مهلكه وهذا خلاف في اللفظ لا
في المعنى فان الانسان لا تفكر في وعد الله ووعيده الا بتنبيهه فاذا نظر العبد بتوفيق الله
تعالى الى نفسه فوجدها مشحونه بذنوب اكتسبها وسيات اقترفها وانبعث منه الندم على ما
فرط وزل مثل ما سبق مخافة عقوبة الله صدق عليه انه تاءب فان لم يكن كذلك كان مصرا
على المعصية وملازما لاسباب الهلكه وقال سهل بن عبد الله علامة التاءب ان شغله الذنب
عن الطعام والشراب كالثلاثة الذين خلفوا والله اعلم بمراده فصل في فضل الاستغفار عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني
الله منه بما شاء ان سفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه
حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مومن او
قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم قرا هذه
الآية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى آخر الآية اخرجه ابو داود والترمذي
وقال هذا حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن
عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لاسما الا هذا الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا
ورزقه من حيث لا يحتسب رواه ابو داود وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

علیه وسلم والذی نفسی بیده لو لم تذنبوا لذهب الله بکم ولجاء بقوم یذنبون فیستغفرون
فیغفر لهم رواه مسلم وعن انس رضی الله عنه قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول
قال الله تبارک وتعالی یا ابن آدم انک ما دعوتنی ورجوتنی غفرت لک علی ما کان منک ولا ابالی یا ابن
آدم لو بلغت ذنوبک عنان السماء ثم استغفرتنی غفرت لک ولا ابالی یا ابن آدم لو اتیتنی بقراب
الارض خطایا ثم لقیتنی لا تشرک بی شیئا لاتیتک بقرابها مغفرة رواه الترمذی وقال حدیث حسن
وعن ابن مسعود رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم من قال استغفر الله الذی
لا اله الا هو الحی القیوم واتوب الیه غفرت ذنوبه وان کان قد فر من الزحف اخرجه ابو داود
والترمذی والحاکم وقال حدیث صحیح علی شرط البخاری ومسلم وعن ابی الدرداء رضی الله عنه قال سمعت
رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول کل ذنب عسی الله ان یغفره الا من مات
مشرکا او مومن قتل مومنا متعمدا رواه ابو داود وعن جابر بن عبد الله رضی الله عنهما قال قال
رسول الله صلی الله علیه وسلم مر رجل ممن کان قبلکم من بنی اسرائیل علی حجمة فنظر الیها فقال ای رب
انت انت وانا انا انت العواد بالمغفرة وانا العواد بالذنوب فرفع راسه فغفر له والله اعلم ○
قوله تعالی اولئک هذا اشارة الی من تقدم ذکره فی قوله والذین اذا فعلوا فاحشة الآیة جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجری من تحتها الانهار قال العلماء ان الله تعالی رتب بفضله وکرمه
غفران الذنوب لمن اخلص فی توبته ولم یصر علی ذنبه ویمکن ان تتصل هذا بقصة احد ویکون معناه
من فر ثم تاب ولم یصر فله مغفرة الله وقال بعضهم معنی الآیة ان المطلوب بالتوبة امران
احدهما الامن من العقاب والیه الاشارة بقوله مغفرة من ربهم والثانی ایصال الثواب والیه
الاشارة بقوله وجنات تجری من تحتها الانهار ای ذلک لهم ذخر لا یبخس واجر لا یوکس خالدین
فیها ای فی الجنات ونعم اجر العاملین ای ونعم ثواب المطیعین الجنة ○ قوله عز وجل
قد خلت من قبلکم سنن قال المفسرون هذا تسلیة من الله تعالی للمومنین لما اصابهم یوم احد من الوهن
والجراح والسنن جمع السنة وهی الطریقة المستقیمة فی الدین ومنه یقال فلان علی السنة ای علی
طریق الاستواء لا یمیل الی شیء من الاهواء ○ وانشد الهذلی ○

فلا تجزعن من سنة انت سرتها ∴ فاول راض سنة من یسیرها ∴ ○

والله

والسنة الامام المتبع الموتم به ۞ يقال سَنَّ فلان سُنَّةً حسنة وسيية اذا عمل عملا اقتدى به
فيه من خير او شر ۞ وانشد لبيد ۞
من معشر سَنَّتْ لهم آباؤهم ۞ ولكل قوم سُنة وإمامُها ۞
والسنة ايضا الأُمة ۞ والسُّنَن الامم كما في هذه الاية قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن اى امم ۞ قال الشاعر
ما عاين الناسُ من فضل كفضلهم ۞ ولا رأوا مثلهم في سالف السُّنن ۞
ومعنى الاية قد انقضت من قبلكم سنة الله في الامم الماضية بالهلاك والاستيصال ۞ لانهم خالفوا
الانبيآء والرسول للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقآء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم احد ۞ وقيل
لكل امة سنة ومنهاج اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك ۞ وقيل سنن اى شرائع ۞ وقيل سنن اى امم
كما قد منا ۞ والسنة الامة ۞ ومعنى الاية ايضا قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم
الماضية الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى بلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلته لاهلاكهم ۞
فسيروا في الارض قال العلما هذا على سبيل الندب لا على سبيل الوجوب ۞ بل المقصود تعرفوا
احوال الماضين بقوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فرغب سبحانه امة سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم في تامل احوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله
والاعراض عن الدنيا ولذاتها ۞ وفيه ايضا زجر للكافر عن كفره لانه اذا تامل احوال الكفار واهلاكهم
صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى آثار المتقدمين له اثر في النفس ۞ كما قيل ۞
ان آثارنا تدل علينا ۞ فانظروا بعدنا الى الآثار ۞
وفي هذه الاية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة احد يقول تعالى
فانما امهلت الكفار حتى بلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلت لهم في اهلاكهم ونصر نبيي محمد صلى الله
عليه وسلم واوليآئه واهلاك اعدآئه ۞ ثم قال عز من قايل هذا بيان للناس قال الحسن
وغيره هذا اشارة الى القران ۞ وقيل هو اشارة الى ما تقدم من وعده ووعيده وامره ونهيه ۞
وقوله بيان للناس يعني عامة وهدى يعني من الضلالة وموعظة للمتقين يعني خاصة وقيل
في الفرق بين البيان والهدى والموعظة ۞ لان العطف تقتضي المغايرة ۞ فالبيان هو الدلالة
التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة ۞ والهدى هو طريق الرشد المامور سلوكه دون

طريق الغي. والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين. فالحاصل ان البيان جنس تحته نوعان احدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة. وانما خصص المتقين بالهدى والموعظة لانهم هم المنتفعون بهما دون غيرهم. والله اعلم قوله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا قال المفسرون نزلت هذه الاية بعد يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الاية وحث فيها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد على ما اصابهم من الجراح والقتل. وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير رضي الله عنهما. ومعنى قوله ولا تهنوا اي لا تضعفوا ولا تجبنوا يا اصحاب محمد عن جهاد اعدائكم لما اصابكم. ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لانهم في الجنة. وقيل ولا تحزنوا على ظهور اعدائكم. ولا على ما اصابكم من الهزيمة والمصيبة وانتم الاعلون يعني بالنصر والغلبة عليهم وان العاقبة لكم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فاقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريدان يعلو عليهم الجبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلوه علينا اللهم لا قوة لنا الا بك. اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة سوى هؤلاء النفر. فانزل الله عز وجل هؤلاء الايات. وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل. فذلك قوله تعالى وانتم الاعلون. وقيل وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار. وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل. وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم. قال العلماء كان بعد غزوة احد لم يخرج احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكر الا كان لهم الظفر في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته. ولو لم يكن في العسكر منهم الا رجل واحد. وهذه البلدان والامصار في شرق الارض وغربها انما افتتحت على عهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد انقراضهم ما افتتحت بلدة على الوجه الذي كانوا يفتتحون في زمانهم. وفي هذه الاية بيان فضيلة هذه الامة لان الله تعالى خاطبهم بما خاطب به انبياءه فانه قال لموسى انك انت الاعلى. وقال لهذه الامة في

هذه الاية وانتم الاعلون وهذه اللفظة مشتقة من اسمه الاعلى فهو سبحانه الاعلا وقال للمومنين وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اى اذ كنتم مومنين وقيل معناه ان كنتم مصدقين بان ناصركم هو الله فصدقوا وعده فانه حق وصدق قوله تعالى ان يمسسكم قرح قرح قَرْح بفتح القاف وضمها وهما لغتان ومعناهما واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم الم الجراحة والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكابة تقول تعالى ان يمسسكم ايها المسلمون قرح يوم احد فقد مس القوم قرح مثله يعنى فقد مس الكفار قرح مثله فى يوم بدر وقيل ان الكفار نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم عدة رجال وكثرت الجراحات فيهم وتلك الايام نداولها بين الناس قيل هذا فى الحرب يكون مرة للمومنين لينصر الله عز وجل دينه ويكون مرة للكافرين اذا عصى المومنون ليبتليهم ويمحص ذنوبهم فاما اذا لم يعصوا فان حزب الله هم الغالبون وقيل معنى نداولها بين الناس يعنى من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر والمداولة نقل الشى من واحد الى آخر تقول تداولته الايدى اذا انتقل من واحد الى آخر وتقول الدنيا دول اى تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هى دول بين الناس فيوم لعدونا ويوم لعدونا فكانت الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين وادبر المشركون من المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين وقال بعضهم الدولة الكرة قال الشاعر

فيوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر

قال انس بن مالك اتى يوم احد بعلى بن ابى طالب رضى الله عنه وفى جسده نيف وستون جراحة من طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح تلك الجراحات بيده وهى تلتئم باذن الله تعالى كانه لم يكن وروى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال جعل النبى صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم واوطانا هم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزمهم قال فانا والله رايت النساء شددن قد

بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن. فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اى قوم الغنيمة ظهر اصحابكم. فما تنتظرون. فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالوا والله لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة. فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين. فذلك قوله والرسول يدعوكم فى اخراكم. فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم غير اثنى عشر رجلا. فاصابوا منا سبعين رجلا. وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتلا. فقال ابو سفين فى القوم محمد ثلاث مرات. فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه. ثم قال فى القوم ابن ابى قحافة ثلاث مرات. ثم قال فى القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات. ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا. فما ملك عمر نفسه. فقال كذبت والله ما عدو الله ان الذين عددت لاحيا كلهم. وقد بقى لك ما يسوءك. قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى. ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل. فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه. قالوا يا رسول الله ما نقول. قال قولوا الله اعلا واجل. قال ابو سفين لنا عزى ولا عزى لكم. فقال النبى صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه. قالوا يا رسول الله ما نقول. قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. قال البغوى وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما كان يوم احد صعد ابو سفين الجبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ليس لهم ان يعلونا. قال فمكث ابو سفيان ساعة ثم قال ان امر ابى كبشة. اين ابن ابى قحافة. اين ابن الخطاب. فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا ابو بكر. وها انا عمر. قال ابو سفين يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال. فقال عمر لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار. وقال ابن الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله وان جندنا لهم الغالبون. فكانت يوم احد للكفار على المسلمين لما خالفتهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم. والله تعالى اعلم وقوله وليعلم الله الذين آمنوا يعنى انما جعل سبحانه الدولة للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة وشدة. وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم. اى ليعرفهم باعيانهم. الا ان سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف وهنا. وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشى قبل وجوده لا يحتاج الى سبب حتى يعلم. والمعنى ليقع ما علمه غيبا ومشاهدة

للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف سبحانه علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المومن والمنافق فوضع العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم ويتخذ منكم شهدآء اى وليكرم قوما منكم بالشهادة ممن اراد ان يكرمه بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر فكانوا يتمنون لقآء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة ٥ والشهدآء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف الكفار فى المعركة واختلفوا فى معنى الشهيد فقيل الشهداء احيآء لقوله تعالى بل احيآء عند ربهم فاراحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمى شهيدا لان الله شهد له بالجنة فالشهيد بمعنى مشهود له وقيل سموا شهدآء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبيآء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة وان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية ويكفيك فى فضل الشهدآء قول الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم وقوله يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله الى قوله ذلك هو الفوز العظيم وفى صحيح البستى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجد الشهيد من مس القرصة ٥ وروى النسايى عن راشد بن سعد عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله ما بال المومنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على راسه فتنة وفى صحيح البخارى باب من قتل من المسلمين يوم احد منهم حمزة واليمان والنضر بن انس ومصعب بن عمير قال حدثنى عمر بن على قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثنى ابى عن قتادة قال ما نعلم حيا من احيآء العرب اكثر شهيدا اعز يوم القيامة من الانصار قال قتادة وحدثنا انس بن مالك رضى الله عنه انه قتل منهم يوم احد سبعون ويوم بير معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون قال وكان بير معونة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ويوم اليمامة على عهد ابى بكر يوم مسيلمة الكذاب ٥ قال العلما وفى قول الله تعالى ويتخذ منكم شهدآء دليل على ان الارادة غير الامر كما يقوله اهل السنة فان الله تعالى نهى الكفار عن قتل المومنين حمزة واصحابه واراد تعالى قتلهم ٥ ونهى سبحانه

آدم عن اكل الشجره وارادهُ ٥ فوافقهُ ادم ٥ وعكسهُ انه تعالى امر ابليس بالسجود لادم ولم يُرِدهُ ٥
فامتنع منه ٥ وعن هذا وقعت الاشارة بقوله الحق ولكن كرهَ اللهُ انبعاثهم فثبطهم ٥ وان كان
تعالى قد امر جميعهم بالجهاد ٥ ولكنه خلق الكسل والاسباب القاطعة عن المسير فقعدوا والله اعلم
ناسرار كلامه ٥ عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فقال له خيِّر اصحابك في الاسارى ان شاءوا القتل وان شاءوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل
مثلهم ٥ فقالوا الفداء ويقتل منا ٥ اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ٥ فاخبر الله وعدهُ
بشهادة اوليائه بعد اذ خيرهم سبحانه فاختاروا القتل ٥ ثم قال تعالى والله لا يحب الظالمين
يعني المشركين ٥ وقيل هم الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي ٥ وقيل هم المنافقون الذين يظهرون
الايمان بالسنتهم ويسرون الكفر ٥ والمعنى والله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد ٥
وليمحص الله الذين آمنوا اي وليطهرهم من ذنوبهم وينزلها عنهم ٥ واصل المحص في اللغة التنقية
والازالة ٥ وقال بعضهم في معنى التمحيص بلاثة اقوال ٥ احدها يمحص اي يختبر ٥ الثاني يطهر
اي من ذنوبهم ٥ وهو على حذف مضاف المعنى وليمحص الله ذنوب الذين امنوا الثالث يمحص اي يخلص ٥
وهذا القول اغربها ٥ وقال الخليل بن احمد يقال محص الحبل يمحص محصا اذا انقلع وبرء ٥
ومنه الحديث اللهم محِّص ذنوبنا ٥ اي خلصنا من عقوبتها ٥ وقال الزجاج قرأ علي محمد بن
يزيد عن الخليل ان التمحيص هو التخليص ٥ يقال محصهُ يمحصهُ محصا اذا اخلصه ٥ والمعنى
على هذا ليبتلي المومنين ليثيبهم ويخلصهم من ذنوبهم ويمحق الكافرين اي يفنيهم ويهلكهم ٥ ومعنى
الاية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم ٥ وان قتلتموهم انتم فهو محقهم واستيصالهم ٥
قوله عز وجل ام حسبتم اي بل حسبتم وظننتم ٥ والمراد به الانكار ٥ والمعنى لا تحسبوا
ايها المومنون ان تدخلوا الجنة وتنالوا كرامتي وثوابي ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم قال
الامام فخر الدين الرازي ظاهر الاية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم ٥
والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم ٥ وتقريره ان العلم متعلق
بالمعلوم كما هو عليه ٥ فلما حصلت هذه المطابقة لاجرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام الآخر ٥
وقال الواحدي النفي في الآية واقع على العلم ٥ والمعنى على الجهاد دون العلم ٥ وذلك لما فيه من

الاجاز فى انتفاء جهاد لو كان بعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد الذى اوجب عليكم
فجرى النفى على العلم للاجاز على سبيل التوسع فى الكلام اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال
الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اى ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه
تعالى يعلمه غيبا وانما جازيهم على عملهم وقال الطبرى نقول ولما تتبين لعبادى المومنين المجاهد
منكم مما امرته به ويعلم الصابرين يعنى فى الحرب وعلى ما نالهم فى ذات الله عز وجل من جراح والم
ومكروه وفى هذه الآية معاتبة من انهزم يوم احد والمعنى ام حسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا
الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على الم الجراح والضرب وشبوا
لعدوهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم قوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من
قبل ان تلقوه قال ابن عباس رضى الله عنهما لما اخبر الله عز وجل المومنين على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم بما فعل شهدائهم يوم بدر من الكرامة رغبوا فى ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه
فيلحقون باخوانهم فاراهم الله تعالى يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من شاء الله منهم فانزل الله
تعالى هذه الآية وقال ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا فاراهم
الله يوم احد ومعنى قوله تمنون الموت اى تطلبون اسباب الموت وهو الجهاد والقتال من قبل
ان تلقوه يعنى من قبل ان تلقوا يوم احد وقرا الاعمش من قبل ان تلاقوه اى من قبل القتل
وقيل من قبل ان تلقوا اسباب الموت وذلك ان كثيرا ممن لم يحضر بدرا كانوا يتمنون يوما يكون فيه
قتال فلما كان يوم احد انهزموا وكان فيهم من تجلد حتى قتل ومنهم انس بن النضر عم انس بن مالك
فانه قال لما انكشف المسلمون اللهم انى ابرا اليك مما جاء به هولاء وباشر القتال وقال آها لريح
الجنة انى لاجد ريحها دون احد ومضى حتى استشهد قال انس فما عرفناه الا ببنانه ووجدنا
فيه بضعا وثمانين جراحة وفيه وفى امثاله نزل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالآية عتاب
فى حق من انهزم لاسيما وكان منهم حمل للنبى صلى الله عليه وسلم على الخروج من المدينة وسياتى
ذكره ومعنى الموت ترجح من المومن الى تمنى الشهادة المبنية على الثبات والصبر على الجهاد لا الى
قتل الكفار لهم لانه معصية وكفر ولا يجوز ارادة المعصية وعلى هذا يحمل سوال المسلمين من الله
ان يرزقهم الشهادة فيسالون الصبر على الجهاد وان ادى الى القتل وقوله فقد رايتموه اى

رايتم ما كنتم تتمنون والهاء في رايتموه عايده على الموت اى رايتم اسبابه معاينين له شاهدين قتل
من قتل من اخوانكم بين ايديكم وانتم تنظرون قال بعضهم ذكره تاكيدا وقال الزجاج معناه
فقد رايتموه وانتم بصراء كما تقول رايت كذا وكذا وليس في عينك علة اى رايته روية حقيقة ٥
وقيل معناه وانتم تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم ٥ قوله عز وجل وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل قال اهل التفسير والمغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل
بالشعب من احد في سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وقال اقيموا باصل الجبل وانضحوا
عنا بالنبل حتى لا ياتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل اليكم فانا لن
نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابى
جهل ومعهم النسا يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار ٥ وكانت هند بنت عتبة تقول ٥
نحن بنات طارق ٭ نمشي على النمارق ٭ والمسك في المفارق ٭ ان تقبلوا نعانق ٭
او تدبروا نفارق ٭ فراق غير وامق ٭
فاقتتل المسلمون والمشركون حتى حميت الحرب وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه على
المشركين فهزموهم فلما نظرت الرماة الذين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا عن ظهورهم
بالنبل ان المشركين قد انكشفوا وراوا اصحابهم ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما راى
خالد بن الوليد وهو صاحب ميمنة المشركين ان الرماة قد اشتغلوا هو والمسلمون بالغنيمة وراى
ظهورهم خالية صاح في خيله وحمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمية
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله ذلك وتفرق عنه
اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها فلم يستطع من شدة الجراح وكان قد
ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب
طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم
يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلايد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه
وكان قد قتل يومئذ فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها وكان من حديث مقتل حمزة
يوم احد انه قاتل في ذلك اليوم قتالا عظيما حتى قتل احد النفر الذين كانوا يحملون لوا المشركين من بني عبد

الدار

الدار وكان جبير بن مطعم قد وعد غلامه وحشيا بالعتق ان قتل حمزة بعمه طعيمة بن عدي
المقتول يوم بدر قال وحشي فخرجت مع الناس وكنت حبشيا اقذف بالحربة قذف الحبشة
قل ما اخطي بها شيا فلما التقى الناس خرجت انظر حمزة حتى رايته في عرض الناس مثل الجمل
الاورق يهد الناس بسيفه هدا ما يقوم له شي فوالله اني لاتهيا له اريده واستتر منه بشجرة
او حجر ليدنو مني اذ تقدمني اليه سباع بن عبد العزى الغبشاني فلما راه حمزة قال تالله
هلم الي يا ابن مقطعة البظور وكانت امه ختانة بمكة قال فضربه حمزة ضربة فكانما اخطا
براسه قال وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من
بين رجليه وذهب لينو نحوي فغلب وتركته واياها حتى مات ثم اتيته فاخذت حربتي ورجعت
الى العسكر فقعدت فيه ولم تكن لي بغيره حاجة انما قتلته لاعتق فلما قدمت مكة عتقت ثم
اقمت حتى اذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت الى الطائف فكنت بها فلما خرج وفد
الطائف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا تعيت علي المذاهب فوالله اني لفي ذلك اذ قال لي رجل
ويحك انه والله ما يقتل احدا من الناس دخل في دينه فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم يرعه الا بي قائما على راسه اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد
انك رسول الله فلما راني صلى الله عليه وسلم قال اوحشي قلت نعم يا رسول الله قال اقعد فحدثني
كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب عني وجهك قال فكنت اتنكبه صلى الله
عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله فلما خرج المسلمون الى مسيلمة الكذاب خرجت معهم
واخذت حربتي التي قتلت بها حمزة فلما التقى الناس رايت مسيلمة قائما في يده السيف وما اعرفه
فتهيات له وتهيا له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده فهززت حربتي حتى اذا رضيت
منها دفعتها عليه فوقعت فيه وشد عليه الانصاري فضربه بالسيف فوبك اعلم اينا قتله
وان كنت قتلته فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قتلت شر الناس ٥
وذكر ابن اسحق باسناد له الى عبد الله بن عمر وكان شهد اليمامة قال سمعت يومئذ صارخا يقول
قتله العبد الاسود وقال ابن هشام بلغني ان وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان
فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول قد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل حمزة وقاتل مصعب

ابن عمير رضي الله عنه حتى قتل. وفي رواية واقبل عبد الله بن قميئة لعنه الله يريد قتل النبي صلى الله
عليه وسلم فذبّ عنه مصعب بن عمير فقتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه
وسلم. فرجع وقال اني قتلت محمدا. وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل. وقال ان الصارخ ابليس اللعين
وسلم. فانكفا الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الى عباد الله الى عباد الله. فاجتمع اليه
ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين. ولما قتل مصعب بن عمير اعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الراية علي بن ابي طالب رضي الله عنه. فقاتل على ورجال من المسلمين قتالا شديدا. ولما اشتد
القتال يومئذ جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الانصار. وارسل الى علي ان قدم الراية.
فقال علي انا ابو القاسم ابو سعد بن ابي طلحة هدلكه يا ابا القاسم في البراز من حاجة. قال نعم. فبرز اليه
الصفين فاختلفا ضربتين. فضربه علي فصرعه. ثم انصرف ولم يجهز عليه. فقال له اصحابه الا اجهزت
عليه. فقال انه استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله. ويقال ان ابا سعد
هذا خرج بين الصفين وطلب من يبارزه مرارا فلم يخرج اليه احد. فقال يا اصحاب محمد زعمتم ان قتلاكم
في الجنة وقتلانا في النار كذبتم واللات. لو تعلمون ذلك حقا لخرج الي احدكم. وقال بعضكم فخرج
اليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاختلفا ضربتين فقتله علي. وقد قيل ان سعد بن ابي وقاص هو
الذي قتل ابا سعد هذا. والتقى يوم احد حنظلة بن ابي عامر الغسيل وابو سفيان. فلما استعلاه
حنظلة راه شداد بن الاسود بن شعوب قد علا ابا سفيان فضربه شداد فقتله. فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة. فسألوا اهله ما شانه. فسئلت
زوجته. فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته
الملائكة. ثم انزل الله نصره على المؤمنين وصدقهم وعده. فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر
ونهكوهم قتلا. وقد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلوله
وكانت الهزيمة لا شك فيها حتى كان من الرماة ما كان. كما قدمنا. فلما تركوا منازلهم التي عهد اليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يتركوها وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول. انا وجفت خيل
المشركين فيهم قتلا. ولم تكن قبل نضحها ووجدت مدخلا عليهم فكان ذلك سبب الهزيمة على المسلمين
بعد ان كانت لهم. قال الزبير بن العوام رضي الله عنه والله لقد رايتني انظر الى خدم هند بنت عتبة

وصواحبها منكشفات هوارب ما دون احدهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين
كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل فاتينا من خلفنا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل
فانكفانا وانكفا علينا القوم بعد ان اصبحنا اصحاب اللوا حتى ما يذب عنه احد من القوم وانكشف
المسلمون فاصاب فيهم العدو حتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدرث بالحجارة حتى
وقع لشقه فاصيبت رباعيته وكلمت شفته وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل
صلى الله عليه وسلم يمسحه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل
الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ويقدم بعض هذا في تفسير هذه الاية وكان الذي كسر رباعية
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرح شفته عتبة بن ابي وقاص وشجه عبد الله بن شهاب الزهري
في جبهته وجرح ابن قميئة وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ووقع صلوات
الله عليه في حفرة من الحفر التي عمل ابو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ علي
ابن ابي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة ابن عبيد الله حتى استوى قائما ومص
مالك بن سنان الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مس دمه دمي لم تصبه النار ابدا وقال صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى شهيد يمشي
على الارض فلينظر الى طلحة ونزع ابو عبيدة ابن الجراح احدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى فكان ساقط الثنيتين وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم من يشري لنا نفسه فقام زياد بن السكن في نفر
خمسة من الانصار فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا رجلا يقتلون دونه حتى
كان اخرهم زياد او عمارة فقاتل حتى اثبتته الجراحة ثم جاءت رفقة من المسلمين فاجهضوهم عنه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنوه مني فادنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ام عماره نسيبة بنت كعب المازنية يوم احد قال لي رضي الله
عنها خرجت اول النهار وانا انظر الى ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو في اصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقمت اباشر القتال واذب عنه بالسيف وارمي عن القوس حتى خلصت الجراح الي

قالت ام سعد بنت سعد بن الربيع فرايت على عاتقها جرحا اجوف له غور فقلت من اصابك بهذا
يا ام عمارة قالت ابن قميئة اقماه الله لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل يقول
دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له انا ومصعب بن عمير وانا س ممن ثبت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضربنى هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كانت عليه
درعان ٥ قال وتترس ابو دجانة رضى الله عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم نقع النبل فى
ظهره وهو منحن على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كثر فيه النبل ٥ ورمى سعد بن ابى وقاص رضى الله
عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سعد ولقد رايته ينا ولنى النبل وهو يقول ارم فداك
ابى وامى ٥ وفى رواية ان سعد بن ابى وقاص رمى حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى
الله عليه وسلم كنانته وقال ارم فداك ابى وامى ٥ وكان ابو طلحة رضى الله عنه رجلا راميا شديد النزع
كسر يومئذ قوسين او ثلاثه ٥ وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابى طلحة ٥ وكان
اذا رمى يشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله ٥ ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوسه حتى اندقت سيتها ٥ واصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت احسن عينيه واحدهما ٥ واصيب فم عبد الرحمن بن عوف
فهتم ٥ وجرح عشرين جراحة او اكثر اصابه بعضها فى رجله فعرج ٥ وانتهى انس بن النضر عم انس
ابن مالك الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين والانصار قد القوا بايديهم
فقال ما يجلسكم قالوا قد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم فما تصنعون بالحياة بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه ثم استقبل القوم
فقاتل حتى قتل رحمه الله ورضى عنه ٥ وكان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة
وتحدث بقتله كعب بن مالك الانصارى رضى الله عنه قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر
فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الى ان انصت
فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب معه ابو بكر
الصديق وعمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة
ورهط من المسلمين رضى الله عنهم فلما استند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ادركه ابى بن خلف

الجمحي لعنه الله وهو يقول ان محمدا لا يجوت ان نجا. فقال القوم ما رسول الله الا خطف عليه رجل
منا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه. فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة
من الحرث بن الصمة. يقول بعض القوم فلما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة
تطاير منه تطاير الشعر امن ظهر البعير اذا انتفض بها. ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدادا
منها عن فرسه مرارا. وكان ابي قبل ذلك يلي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فنقول يا محمد ان
عندي للعود فرسا اعلفه كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليه فنقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما رجع الى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير احتقر
الدم. فقال قتلني والله محمد. فقالوا له ذهب والله فؤادك. والله ان بك باس. قال بلى لو كان هذه
الملحنة بوسحة ومضر لقتلهم اليس قال لي انا اقتلك. فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله
بسرف وهم قافلون به الى مكة. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قاله يومئذ اشتد
غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير. ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الشعب خرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه حتى ملا درقته من المهراس فجاء به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه ولم يشرب منه. وغسل عن وجهه الدم وصب على
راسه. وهو يقول اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله. فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشعب معه اولئك النفر من اصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل. فقال اللهم انه لا ينبغي لهم
ان يعلونا. فقاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورهط معه من المهاجرين حتى اهبطوهم من الجبل.
ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع. وقد كان بدن وظاهر
بين درعيه فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها. فقال صلى الله عليه وسلم اوجب
طلحة. وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح التي اصابته. وصلى
المسلمون خلفه قعودا. قالوا وفشا في الناس ان محمدا قد قتل. فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا
الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفين. وجلس بعض الصحابة والقوا ما بايديهم. وقال اناس
من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول. وقال انس بن النضر عم انس بن مالك
يا قوم ان كان محمد صلى الله عليه وسلم قد قتل فان رب محمد لم يقتل. وما تصنعون بالحياة بعد رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك
مما يقول هولاء يعني المسلمين وابرا اليك مما جا به هولاء يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى
قتل وتقدم هذا في الرواية الاولى وتقدم ان اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن
مالك رضي الله عنه وان طائفة من اصحابه انحازوا اليه فلامهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفرار
فقالوا يا نبي الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا
مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فاعلم الله تعالى في
هذه الاية ان الرسل ليست بباقية في قومها ابدا وانه يجب التمسك بما اتت به الرسل وان فقد
الرسول بموت او قتل وقال بعضهم معنى الاية فسيخلوا محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم
لقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم انتم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من
بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه وقوله وما محمد قال
العلما محمد اسم علم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه
بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحموده والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه
وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى
فسماه محمدا واحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه ٥

الم تر ان الله ارسل عبده ∴ ببرهانه والله اعلى وامجد ∴
اغر عليه للنبوة خاتم ∴ من الله مشهور يلوح ويشهد ∴
وشق له من اسمه ليجله ∴ فذو العرش محمود وهذا محمد ∴
نبي اتانا بعد يأس وفترة ∴ من الدين والاوثان في الارض تعبد ∴
فارسله ضوا منيرا وهاديا ∴ يلوح كما لاح الصقيل المهند ∴

وانشد عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه ٥

يا خاتم النبآء انك مرسل ∴ كل هدى السبيل هداكا ∴
ان الاله بنى عليك محبة ∴ في خلقه ومحمدا سماكا ∴

والعرب تقول رجل محمود ومحمد اذا كثرت خصاله المحموده قال الشاعر ٥

الى

الى الفزع الجواد المحمد ۞ وروى البخارى ومسلم عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد ۞ وانا احمد ۞ وانا الماحى الذى يمحوا الله بى الكفر ۞ وانا الحاشر
الذى يحشر الناس على قدمى ۞ وانا العاقب ۞ والعاقب الذى ليس بعده نبى ۞ وسماه الله رؤفا رحيما ۞
وعن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى لنا نفسه اسماء
فقال انا محمد ۞ وانا احمد ۞ والمقفى ونبى التوبة ۞ ونبى الرحمة ۞ قوله المقفى هو اخر الانبيا الذى لا
نبى بعده ۞ والرسول هو المرسل ۞ ويكون معنى الرسالة ۞ والمراد به هنا المرسل بدليل قوله تعالى
وانك لمن المرسلين ۞ وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
سميتم الولد محمدا فاكرموه ۞ واوسعوا له فى المجلس ۞ ولا تقبحوا له وجها ۞ ومامن قوم كانت لهم
مشورة فحضر معهم من اسمه احمد او محمد فادخلوه فى مشورتهم الا خير لهم ۞ ومامن مايدة
وضعت فحضرها من اسمه محمدا واحمد فادخلوه فى مشورتهم الا خير لهم ومامن مايدة وضعت
الا قدس فى كل يوم ذلك المجلس مرتين ۞ وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه
وسلم فى السوق فقال رجل يا ابا القاسم فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل انما
ادعوا ذلك ۞ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى ۞ وعن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجمعوا بين اسمى وكنيتى ۞ انا ابو القاسم ۞ الله
يعطى وانا اقسم ۞ ثم رخص فى ذلك لعلى وابنه رضى الله عنهما ۞ وعن على رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ولد لك غلام نحلته اسمى وكنيتى ۞ وسياتى الكلام على اسمه محمد فى
سوره الاحزاب والفتح ان شا الله تعالى ۞ وهذه الاية من قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل من تتمه العتاب مع المنهزمين يوم احد يعنى لم يكن لهم الانهزام وان قتل نبيهم فان
النبوة لا تدرأ الموت ۞ والاديان لا تزول بموت الانبيا ۞ وقوله تعالى افاين مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم يعنى ستقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول ۞ ويقال
لكل من رجع الى ما كان عليه رجع وراه ونكص على عقبيه ۞ وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان موت
سيد ابا محمد صلى الله عليه وسلم او قتله لا يوجب ضعفا فى دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت سايير
الانبيا قبله ۞ وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم ومن ينقلب على عقبيه يعنى فيرتد عن

عن دينه ويرجع الى الكفر فلن يضر الله شيئا يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه
تعالى غني عن العالمين وانما يضر المرتد والكافر نفسه وسيجزي الله الشاكرين يعني الثابتين على
دينهم الذي لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين
لما فعلوا والمعنى وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم ابا بكر واصحابه وكان
علي رضي الله عنه يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين اخيار الله وكان رضي الله عنه اشكرهم واحبهم الى الله
قال العلماء رضي الله عنهم وفي هذه الاية دليل على شجاعة ابي بكر الصديق وجراته فان الشجاعة
والجراة حدها ثبوت القلب عند حلول المصايب ولا مصيبة اعظم من موت النبي صلى الله عليه
وسلم كما تقدم بيانه في سورة البقرة فظهرت عنده شجاعته وعلمه وذلك انه لما توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وارتفعت الرنة عليه وسجته الملايكة دهش الصحابة رضي الله عنهم كما روي عن غير
واحد منهم وطاشت عقولهم وافحموا فمنهم من خبل ومنهم من اصمت ومنهم من اقعد الى الارض
فكان عمر ممن ذهل فجعل يصيح ويقول ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد توفي وانه والله ما مات ولا كنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه
اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع
موسى فليقطعن ايدي رجال وارجلهم زعموا ان رسول الله مات واما عثمان بن عفان رضي الله عنه
فاخرس حتى جعل يدهب به ويجا ولا يتكلم واقعد علي بن ابي طالب رضي الله عنه فلم يستطع حراكا
واضنى عبد الله بن انيس وكذلك غيرهم من الصحابة افحمتهم هذه المصيبة القاصمة للظهور والرزية
المتجددة على بلى الازمان وتجدد الدهور واضطرب عليهم الامر حتى كشفه ابو بكر الصديق رضي الله
عنه بهذه الآية حين قدومه من منزله بالسنح وذلك انه لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفي اقبل وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره وغصصه ترتفع كقطع الحرة وهو في ذلك
رضوان الله عليه جلد العقل والمقالة حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكب عليه وكشف
الثوب عن وجهه ومسحه وقبل جبينه وجعل يبكي ويقول بابي انت وامي طبت حيا وميتا وانقطع
لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبيا من النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكا وخصصت

حتى

حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس
ولولا انك نهيت عن البكا لانفدنا عليك مآ الشؤن فاما ما لا يستطيع نفيه عنا فكمد وادناف
يتحالفان لا يبرحان اللهم فابلغه عنا اذكرنا يا رسول الله عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما
خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة اللهم ابلغ نبيك عنا واحفظه فينا ثم خرج
رضي الله عنهم الى الناس وهم في غيم عمراتهم وشديد سكراتهم فقام فيهم بخطبة عظيمة جلها الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيها اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله وخاتم انبيايه واشهد ان الكتاب كما نزل وان الدين كما شرع وان الحديث كما حدث
وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين في كلام طويل ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا
قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وان الله تعالى قد تقدم اليكم في امره فلا تدعوه جزعا
قال الله تبارك وتعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وان الله سبحانه قد اختار لنبيه صلى
الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن اخذ
بهما عرف ومن فرق بينهما انكر يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهدآ بالقسط ولا شغلنكم
الشيطان بموت نبيكم ولا يلفتنكم عن دينكم فجاهدوا الشيطان بالخزي تجزوه ولا تستنظروه فيلحق
بكم فلما فرغ من خطبته التفت الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا عمر انت الذي تقول بلغني
عنك انك تقول على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس عمر بيده ما مات نبي الله اما علمت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا وقال يوم كذا كذا وكذا وقال الله تعالى في
كتابه انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكاني لم اسمع بها في كتاب الله تعالى قبل ذلك لما نزل بنا
اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله تبارك وتعالى حي لا يموت صلوات الله على
رسوله وعند الله نحتسبه رسوله وفي بعض مساق هذا الحديث ان ابا بكر رضي الله عنه لما دخل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عايشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى في ناحية البيت
عليه برد حبره اقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عليه فقبله وقال
بابي انت وامي اما الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم لم يصيبك بعدها موته ابدا ثم رد

البرد على وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال يا عمر انصت فابا
الا ان يتكلم فلما ابو بكر لا نصت اقبل يكلم الناس فلما سمع الناس كلام ابى بكر اقبلوا عليه وتركوا
عمر فحمد ابو بكر الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلا هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا وسيجزى الله الشاكرين
قال فوالله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت حتى قالها ابو بكر يومئذ واخذها الناس عن
ابى بكر فانما هى فى افواههم وفى رواية وخرج الناس يتلونها فى سكك المدينة كانها لم تنزل قط
الا ذلك اليوم وقال عمر رضى الله عنه والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر تلاها فعقرت حتى وقعت
الى الارض ما تحملنى رجلاى وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ٥

وانشد عمر فما كان منه يومئذ فقال

لعمرى لقد ايقنت انك ميت ٭ ولاكنما ابدى الذى قلته الجزع ٭
وقلت يغيب الوحى عنا لفقده ٭ كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع ٭
وكان هوى ان تطول حياته ٭ وليس لحى فى بقا ميت طمع ٭
فلما كشفنا البرد عن حر وجهه ٭ اذ الامر بالجدع الموعب قد وقع ٭
فلم تكن لى عند المصيبة حيلة ٭ اردّ بها اهل الشماتة والقذع ٭
سوى اذن الله الذى فى كتابه ٭ وما اذن الله العباد به يقع ٭
وقد قلت من بعد المقالة قولة ٭ لها فى خلوق الشامتين به بشع ٭
الا انما كان النبى محمد ٭ الى اجل وافى به الموت فانقطع ٭
ندين على العلات منا بدينه ٭ ونعطى الذى اعطى ونمنع ما منع ٭
ووليت محزونا بعين سخينة ٥ ٭ الفكف دمعى والفواد قد انصدع ٭
وقلت لعينى كل دمع ذخرته ٭ فجودى به ان الشجى له دفع ٭

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال والله انى لامشى مع عمر رضى الله عنه فى خلافته وهو عامد
الى حاجة له وفى يده الدرة ما معه غيرى وهو يحدث نفسه ويضرب وحشى قدميه بدرته اذ

التفت الىّ فقال يا ابن عباس اتدرى ما حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى الله رسوله صلى الله عليه
وسلم قال قلت لا ادرى يا امير المومنين انت اعلم قال فانه والله ان حملنى على ذلك الا انى
كنت اقرا هذه الآية وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا فوالله ان كنت لاظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى امته حتى يشهد عليها آخرها
اعمالها فهذا الذى حملنى ان قلت ما قلت ٥ وذكر موسى بن عقبة رحمه الله ان المقام الذى
قام به ابو بكر رضى الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد الذى كان من عمر من القول
هو انه خرج سريعا الى المسجد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوطا رقاب الناس حتى جا المنبر
وعمر يكلم الناس ويوعد من زعم ان رسول الله مات فجلس عمر حين راى ابا بكر مقبلا فقام ابو بكر
على المنبر فنادى الناس ان اجلسوا فجلسوا وانصتوا فشهد شهادة الحق ثم قال ان الله تعالى
قد نعى نبيكم نفسه وهى حى بين اظهركم ونعى لكم انفسكم فهو الموت حتى لا يبقى احد الا الله تقول
الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا وسيجزى الله الشاكرين وقال تعالى انك ميت وانهم ميتون
وقال تعالى كل نفس ذائقة الموت وقال تعالى كل شى هالك الا وجهه وقال تعالى كل من عليها فان
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ثم قال ان الله تعالى عمر سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم وابقاه حتى اقام دين الله واظهر امر الله وبلغ رسالة الله وجاهد اعدا الله حتى توفاه الله
صلوات الله عليه وهو على ذلك وتركتم على الطريقة فلا يهلك هالك الا من بعد البينة فمن كان يعبد
ربه فان الله حى لا يموت فليعبده ومن كان يعبد محمدا او براه الها فقد مات الهه فافيقوا
ايها الناس واعتصموا بدينكم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قايم وان وكلمته باقيه وان الله ناصر
من نصره ومعز دينه وان كتاب الله بين اظهرنا هو النور والشفا وبه هدى الله سيدنا ونبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم وفيه حلال الله وحرامه لا والله لا ننبالى من اجلب علينا من خلق الله
ان سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد ولنجاهدن من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا يبقين احد الا على نفسه ثم انصرف وانصرف المهاجرون معه والله اعلم
قال العلما وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين باتفاق العلما فى شهر ربيع الاول قال بعضهم

لاثنتي عشرة خلت منه وقيل لليلتين خلتا منه وقال بعضهم توفي اول يوم من الشهر المذكور والله اعلم
ودفن يوم الثلاثا وقيل ليلة الاربعا وعن عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين سحري ونحري وفي دولتي لم اظلم فيه احدا قال العلما ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
انحاز هذا الحي للانصار الى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة وانحاز المهاجرون الى ابي بكر
رضي الله عنه فاتى آت الى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ان هذا الحي من الانصار مع سعد بن عبادة في
سقيفة بني ساعدة قد انحازوا اليه فان كان لكم بامر الناس حاجة فالحقوا الناس قبل ان يفتاتوا
امرهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم يفرغ من امره قد اغلق دونه الباب اهله قال عمر
فقلت لابي بكر انطلق بنا الى اخواننا هولا من الانصار حتى ننظر ما هم عليه فانطلقنا حتى اتيناهم في
سقيفة بني ساعدة فاذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا فقالوا سعد بن عباده فقلت
ما له فقالوا وجع فلما جلسنا تشهد خطيبهم فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فنحن انصار
الله وكتيبة الاسلام وانتم يا معشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة من قومكم واذا هم يريدون
ان يختزلونا من اصلنا ويغصبونا الامر فلما سكت اردت ان اتكلم وقد زورت في نفسي مقالة قد
اعجبتني اريد ان اقدمها بين يدي ابي بكر وكنت اداري منه بعض الحد فقال ابو بكر على رسلك
يا عمر فكرهت ان اغضبه فتكلم وهو كان اعلم مني واوقر فوالله ما ترك من كلمة اعجبتني من تزويرك
الا قالها في بديهته او مثلها او افضل منها حتى سكت ثم قال اما ما ذكرتم فيكم من خير فانتم له
اهل ولن تعرف العرب هذا الامر الا لهذا الحي من قريش هم اوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت
لكم احد هذين الرجلين فبايعوا ايهما شئتم واخذ بيدي وبيد ابي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا
فقال عمر ولم اكره شيئا مما قال غيرها كان والله ان اقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك الى اثم
احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر فقال قايل من الانصار انا جذيلها المحكك
وعذيقها المرجب منا امير ومنكم امير يا معشر قريش قال فكثر اللغط وارتفعت الاصوات
حتى خفت الاختلاف فقلت ابسط يدك يا ابا بكر فبسط يده فبايعته وبايعت المهاجرون ثم
بايعت الانصار ونزونا على سعد بن عبادة فقال قايل منهم قتلتم سعد بن عباده فقلت قتل الله سعد
ابن عبادة وذكر ابن عقبة انهم لما توجهوا الى سقيفة بني ساعدة واراد عمر ان يتكلم وسبق بالقول

ويمهد لابي بكر وتهدد من هنالك من الانصار. وقال عمر خشيت ان تقصر ابو بكر رضي الله عنه
عن بعض الكلام وعما اجد في نفسي من الشدة على من خالفنا. زجره ابو بكر رضي الله عنه فقال
على رسلك مستكفى الكلام ان شاء الله ثم تقول بعدي ما بدا لك. فتشهد ابو بكر وانصت القوم.
ثم قال ان الله تعالى بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق. فدعا صلى الله عليه
وسلم الى الاسلام. فاخذ الله بقلوبنا ونواصينا الى ما دعانا اليه. فكنا معشر المهاجرين اول
الناس اسلاما. وبحن عشيرته واقاربه وذو ارحمه. فنحن اهل النبوة. واهل الخلافة. واوسط
الناس انسابا في العرب. ولدتنا العرب كلها. فليست منها قبيلة الا لقريش فينا ولادة. ولن تعرف
العرب ولا تصلح الا على رجل من قريش هم اصبح الناس وجوها. وابسطهم السنا. وافضلهم قولا.
فالناس لقريش تبع. فنحن الامرا وانتم الوزرا. وهذا الامر سننا وسنكم قسمة الا بلمه. واسم يا
معشر الانصار اخواننا في كتاب الله. وشركاؤنا في الدين. واحب الناس الينا. وانتم الذين آووا
ونصروا. وانتم احق الناس بالرضا بقضا الله. والتسليم لفضيلة ما اعطى الله اخوانكم من المهاجرين
واحق الناس ان لا تحسدوهم على خير آتاهم الله اياه. فانا ادعوكم الى احد هذين الرجلين. عمر
ابن الخطاب. وابي عبيدة بن الجراح. ووضع يديه عليهما. وكان قاعدا بينهما. فكلاهما قد رضيته
للقيام بهذا الامر ورايته اهلا لذلك. فقال عمر وابو عبيدة ما ينبغي لاحد بحضرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يكون فوقك يا ابا بكر انت صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وثاني اثنين
وامرك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتكى فصليت بالناس. فانت احق الناس بهذا الامر. فقالت
الانصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم. وما خلق الله قوما احب الينا ولا اعز علينا منكم
ولا ارضى عندنا هديا. ولكنا نشفق بعد اليوم. فلو جعلتم اليوم رجلا منكم فاذا مات اخترنا رجلا
من الانصار فجعلناه. فاذا مات اخترنا رجلا من المهاجرين فجعلناه. فكما كذلك ابدا ما بقيت هذه
الامة. بايعناكم ورضينا بذلك من امركم. وكان ذلك اجدر ان يشفق القرشي ان زاغ ان ينقض
عليه الانصاري. او يشفق الانصاري ان زاغ ان ينقض عليه القرشي. فقال عمر رضي الله عنه لا
ينبغي هذا الامر ولا يصلح الا لرجل من قريش. ولن ترضى العرب الا به. ولن تعرف العرب الامارة الا له.
ولن تصلح الا عليه. والله لا يخالفنا احد الا قتلناه. فقام الحباب بن المنذر من بني سلمة فقال منا

امير ومنكم امير يا معشر قريش انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب دفت علينا منكم
دافة اردوا ان يخرجونا من اصلنا ويختصونا من هذا الامر وان شئتم كررناها جذعة
فكثر القول حتى كادت الحرب تقع بينهم واوعد بعضهم بعضا ثم تزاد المسلمون وعصم الله لهم دينهم
فرجعوا بقول حسن وسلموا الامر لله وعصوا الشيطان ووثب عمر فاخذ سدا ابى بكر وقام
اسيد بن الحضير الاشهلى وبشير بن سعد ابو النعمان بن بشير يستبقان ليبايعا ابا بكر فسبقهما
عمر فبايع ثم بايعا معا ووثب اهل السقيفه يتدرون البعة وسعد بن عباده مضطجع
يوعك فازدحم الناس على ابى بكر فقال رجل من الانصار اتقوا سعدا لا تطؤوه فتقتلوه فقال
عمر وهو مغضب قتل الله سعدا فانه صاحب فتنة فلما فرغ ابو بكر رضى الله عنه من البعة رجع
الى المسجد فقعد على المنبر فبايعه الناس حتى امسى واسه اعلم قال ابن اسحق ولما توفى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عظمت مصيبة المسلمين فكانت عاشة فيما بلغنى تقول لما توفى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب واشرابت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق وصار المسلمون
كالغنم المطيرة فى الليله الشاتيه لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على ابى بكر رضى الله عنه قال العلماء ولما
فرغ الناس من بعة ابى بكر وجمعهم الله عليه وصرف عنهم كيد الشيطان اقبلوا على تجهيز نبيهم صلى الله
عليه وسلم والاشتغال به قالت عاشة رضى الله عنها لما ارادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختلفوا فيه فقالوا والله ما ندرى انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا او
نغسله وعليه ثيابه قالت فلما اختلفوا القى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا ذقنه فى صدره
وكلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو ان غسلوا النبى وعليه ثيابه قالت فقاموا الى رسول
الله فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه والقميص دون ايديهم ويروى
عن غير واحد من اهل العلم ان الذين ولوا غسله صلى الله عليه وسلم ابن عمه على بن ابى طالب وعمه
العباس بن عبد المطلب وابناه الفضل وقثم وحبه اسامة بن زيد ومولاه شقران وقال اوس
ابن خولى احد بنى عوف بن الخزرج وكان ممن شهد بدرا لعلى بن ابى طالب يومئذ انشدك الله يا على
وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ادخل فدخل وجلس فحضر غسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم معهم فاسند على رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره وكان العباس والفضل

وقثم يقلبونه معه وكان اسامة وشقران هما اللذان يصبان الماء عليه وعلي يغسله قد اسنده
الى صدره وعليه قميصه يدلكه به من ورائه لا يفضي بيده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلي يقول بابي انت وامي ما اطيبك حيا وميتا ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما
يرى من الميت ولما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب بيض سحولية
من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة واختلف المسلمون في موضع دفنه فقال قايل ندفنه
في مسجده وقال آخر بل ندفنه مع اصحابه وقال ابو بكر رضي الله عنه ادفنوه في الموضع الذي
قبض فيه فان الله لم يقبض روحه الا في مكان طيب فعلموا ان قد صدق وفي رواية انه قال لهم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قبض نبي الا دفن حيث يقبض فرفع فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي توفي عليه فحفر له تحته ولما ارادوا ان يحفروا له وكان ابو عبيدة
ابن الجراح يضرح كحفر اهل مكة وكان ابو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لاهل المدينة
وكان يلحد دعا العباس رضي الله عنه برجلين فقال لاحدهما اذهب الى ابي عبيدة بن الجراح
وللآخر اذهب الى ابي طلحة اللهم خر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الذي توجه الى ابي
طلحة اباطلحة فجاء به فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون
عليه ارسالا حتى اذا فرغ الرجال من
ادخل النساء حتى اذا فرغ النساء ادخل الصبيان ولم يؤمن الناس
على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد ويروى في حديث ان عليا رضي الله عنه قال لقد سمعنا
همهمة ولم نر شخصا فسمعناه يقول ادخلوا رحمكم الله فصلوا على نبيكم ثم دفن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الاربعاء قالت عائشة ما علمنا بدفن رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الاربعاء وكان الذين نزلوا
في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والفضل وقثم ابنا عمه العباس وشقران مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اوس بن خولي من الانصار لعلي بن ابي طالب يا علي انشدك
الله وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له انزل فنزل مع القوم وكانت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قطيفة يلبسها ويفترشها فاخذها شقران مولاه فدفنها في القبر المقدس

وقال والله لا ملبسها احد بعدك ابدا. فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما انصرف
الناس قالت فاطمة لعلي رضوان الله عليهما يا ابا الحسن دفنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قالت
فاطمة كيف طابت انفسكم ان تحثوا التراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم اما كان في صدوركم
لرسول الله الرحمة اما كان معلم الخير قال بلى يا فاطمة ولكن امر الله الذي لا مرد له فجعلت تبكي
وتندب وابتاه اجاب ربا دعاه. وابتاه من جنة الفردوس ماواه. يا ابتاه الى جبريل ننعاه. وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسر اليها في مرضه انه مقبوض منه ولاحق بربه فبكت مشفقة من
فراقه. فاسر اليها ثانية انها اول اهله لحاقا به. فضحكت راضية بالموت مسرورة بوقوعه
في جنب ما تتعجل من لقايه في حضرة القدس ومحلة الرضوان والكرامة. ولما دفن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانصرف المهاجرون والانصار عن دفنه ورجعت فاطمة رضوان الله عليها
الى منها اجتمع اليها نساؤها. فانشدت وهي تقول

اغبرّ افاق السما وكوّرت ❊ شمس النهار واظلم العصران ❊
فالارض من بعد النبي كئيبة ❊ اسفا عليه كثيرة الرجفان ❊
ليبكه شرق البلاد وغربها ❊ وليبكه مضر وكل يمان ❊
وليبكه الطود المعظم جوّه ❊ والبيت ذو الاستار والاركان ❊
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه ❊ صلى عليك منزّل القران ❊

ويروى ايضا ان فاطمة رضوان الله عليها انشدت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم متمثلة
بشعر سميتها فاطمة بنت الاجدم ٥

قد كنت لي جبلا الوذ بظله ❊ فتركتني امشي بجرد ضاحي ❊
قد كنت ذات حمية ما عشت لي ❊ امشي البراز وكنت انت جناحي ❊
فاليوم اخضع للذليل واتقي ❊ مذلة وادفع ظالمي بالراح ❊
واذا دعيت قمرية شجنا لها ❊ ليلا على فنن دعوت صباح ❊
وسمائنس الى علي وفاطمة رضوان الله عليهما ٥
حافظ على من شم تربة احمد ❊ الا يشم مدى الزمان غواليا ❊

صبت علىّ مصآيب لو انها ٭ صبت على الايام عدن لياليا ٭

وجلست ام ايمن رضى الله عنها تبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وهى حاضنته
التى كان يأوى اليها بعد موت امه ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنه لم يرفن بعد فقيل لها ما
يبكيك يا ام ايمن فقد اكرم الله نبيه وادخله جنته واراحه من نصب الدنيا ٭ فقالت انما ابكى على
خبر السما كان ياتينا غضا جديدا كل يوم وليلة فقد انقطع ورفع فعليه ابكى ٭ فعجب الناس من
قولها وبكوا لبكايها ٭ وقال انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان اليوم الذى
دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه اضا منها كل شى ٭ فلما كان اليوم الذى مات فيه اظلم
منها كل شى ٭ وما نفضنا ايدينا من التراب وانا لفى دفنه حتى انكرنا قلوبنا ٭ وقال عبد الله بن
عباس رضى الله عنه ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ٭ ونبئ يوم الاثنين ٭ وخرج مهاجرا من
مكة الى المدينه يوم الاثنين ٭ وقدم المدينه يوم الاثنين ٭ وقبض يوم الاثنين ٭ فيا لهذا اليوم كم
خير تسبب فيه الى اهل الارض ٭ واى مصيبة نزلت فيه بمنية ضاق عنها منفسح الطول والعرض ٭
وقد حدث ابن عباس ايضا انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له فرطان
من امتى ادخله الله بهما الجنة ٭ فقالت عاشة فمن كان له فرط من امتك ٭ قال ومن كان له
فرط يا موفقه ٭ قالت فمن لم يكن له فرط من امتك ٭ قال فانا فرط لامتى لن يصابوا بمثلى ٭
ولله در شاعره حسان بن ثابت اذ يقول ٥

وهل عدلت يوما رزية هالك ٭ رزية يوم مات فيه محمد ٭

وهذا البيت فى قصيدة له يرثى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ ويروى ايضا عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال ليعز المسلمين فى مصايبهم المصيبة بى ٥ فيا لها والله مصيبة احرقت
الاكباد ٭ وغمرت بالاسف والحزن الآماد والآباد ٭ وزرت اثقالا اد كاهل الايمان منه
ما آد ٭ وخطبا جليلا اودى بكل صبر جميل اوكاد ٭ والصبر يحمد فى كل المواطن كلها الا
عليك فانه مذموم ٭ ولولا ان الله سبحانه ربط على القلوب من بعده ٭ بامر من عنده ٭ لاودت
مكانها كمدا ٭ ولما وجدت الى البقا متسلقا ولا عن وحى الفنآء ملتحدا ٭ ولو رجفت الارض
لفقدان احد لاصبحت لفقدانه راجفه ٭ ولو نسفت الجبال المهلك هالك لغدت رواسيها

على حكم الاسف متناسفه • ولو كسفت النيران لمصرع حي لامست دررها منثورة لمصرعه •
ولو تغيرت المشارع المورودة لموت انسان لامر لموته على كل وارد عذب مشرعه • هيهات •
هيهات • ذلك والله الرزؤ الكبار • والنازلة التي يعيا بها الاحتمال والاصطبار • والخطر
الذي تقاصر دونه الاخطار • والخطب الذي شفى بمضاضة مشاهدته المهاجرون والانصار •
والمفقود الذي لا عوض منه ابدا وان تراخت الايام وتطاولت الاعصار • ولو غير الاقدار اصابته
لبدلت دونه اعلاق المهج • او غير المنايا نابته لتعذر على قاصده وجه السبيل المنتهج •
ولكنها السبيل التي لا يتخطاها سالك • وما سبقت به مشيئة الدايم الباقي الذي كل شي الا وجهه
هالك • فلا مجال للدفاع • ولا حيلة في الامتناع • ولا غناء للاعوان والاتباع • ولا شي يضمه حكم
الممكن المستطاع • غير الانقياد لامر الله والانقطاع • ولهفا ثم لهفا عليه • ويا برح شوق
القلوب المشربة نور الايمان به وشدة نزاعها اليه • ويا لدموع اجريت عليه • صلوات الله
وبركاته عليه • لقد وجدت مجرا • واوجبت اجرا • وحرمت نهيا عن اسبالها وزجرا • ولقد
كان من يقدم المدينة بعد ان استاثر به مولاه الذي شرح له صدرا • ورفع له ذكرا وقدرا •
اذا اشرفوا عليها سمعوا لاهلها ضجيجا يصم السميع • وللبكا في جنباتها عجيجا اصحل الحلوق •
ونزف الدموع • حدث ابو ذويب الهذلي رضي الله عنه قال بلغنا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليل • فاستشعرت حزنا • وبت باطول ليلة لا ينجاب دجورها • ولا يطلع نورها •
فظللت اقاسي طولها • حتى اذا كان قرب السحر اغفيت • فهتف بي هاتف يقول ٥

خطب اجل اناخ بالاسلام ∴ بين النخيل ومعقد الاطام ∴
قبض النبي محمد فعيوننا ∴ تذري الدموع عليه بالتسجام ∴

قال ابو ذويب فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السما فلم ار الا سعد الذابح • فتفالت به
ذبحا يقع في العرب • وعلمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض • او هو ميت من علته •
فركبت ناقتي وسرت • فلما اصبحت طلبت شيا ازجر به • فعن لي شيهم • وهو القنفذ • قد
قبض على صل • يعني على الحية • فهي تلتوي عليه • والشيهم يقضمها حتى اكلها • فزجرت ذلك
وقلت شيهم • شي مهم • والتوا الصل التوا الناس على الحق على القايم بعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم • ثم اكل الشيهم اياها غلبة القايم بعده على الامر • فحثثت ناقتي حتى اذا
كانت بالغابة زجرت الطاير • فاخبرني بوفاته • ونعب غراب سانح فنطق بمثل ذلك •
فتعوذت بالله من شر ما عن لي في طريقي وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكا كضجيج الحجيج اذا
اهلوا بالاحرام • فقلت مه • فقالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم • فجيت المسجد فوجدته
خاليا • فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت بابه مرتجا • وقيل هو مسجى قد خلا به اهله •
فقلت اين الناس • فقيل في سقيفة بني ساعدة ساروا الى الانصار • فجيت الى السقيفة فاصبت ابا
بكر وعمر وابا عبيدة بن الجراح وسالما مولى ابي حذيفة وجماعة من قريش • ورايت الانصار فيهم
سعد بن عبادة • وفيهم شعراوهم حسان بن ثابت • وكعب بن مالك • وملا منهم • فاويت الى قريش • وتكلمت
الانصار رضي الله عنهم • فاطالوا الخطاب • واكثروا الصواب • وتكلم ابو بكر رضي الله عنه • فلله دره من رجل •
لا يطيل الكلام • ويعلم مواضع فصل الخطاب • والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا انقاد له ومال
اليه • ثم تكلم عمر رضي الله عنه بعده دون كلامه • ومد يده فبايعه وبايعوه • ورجع ابو بكر ورجعت
معه • قال ابو ذويب فشهدت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت دفنه • ثم انشد
ابو ذويب يبكي النبي صلى الله عليه وسلم يقول ٥

لما رايت الناس في عسلاتهم ❊ ما بين ملحود له ومضرح ❊
متبادرين لشرجع باكفهم ❊ نص الرقاب لفقد ابيض اروح ❊
فهناك صرت الى الهموم ومن يبت ❊ جار الهموم يبيت غير مروح ❊
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها ❊ وتزعزعت آطام بطن الابطح ❊
وتدعدعت اجبال يثرب كلها ❊ ونخيلها لحلول خطب مفدح ❊
ولقد زجرت الطير قبل وفاته بمصابه وزجرت سعد الاذبح ❊

وذكر الزبير بن ابي بكر باسناد له الى هشام بن عروة ان صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم انشدت ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي ٥

الا يا رسول الله كنت رجانا ❊ وكنت بنا برا ولم تك جافيا ❊
وكنت رحيما هاديا ومعلما ❊ ليبك عليك اليوم من كان باكيا ❊

لعمرك ما ابكى النبى لفقده ∴ ولكن لما اخشى من الهرج آتيا ∴
كان على قلبى لذكر محمد ∴ وما خفت من بعد النبى المكاويا ∴
أفاطم صلى الله رب محمد ∴ على جدث امسى شرب ثاويا ∴
فدى لرسول الله امى وخالتى ∴ وعمى وابآى ونفسى وماليا ∴
صدقت وبلغت الرساله صادقا ∴ ومن رطيب العود ابلج صافيا ∴
فلو ان رب الناس ابقى نبينا ∴ سعدنا ولكن امره كان ماضيا ∴
عليك من الله السلام تحية ∴ وادخلت جنات من العدن راضيا ∴
ارى حسنا ايتمته وتركته ∴ يبكى ويدعوا جده اليوم نآييا ∴

وانشد ابو سفين بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥

ارقت فبات ليلى لا يزول ∴ وليل اخى المصيبة فيه طول ∴
واسعدنى البكا وذاك فيما ∴ اصيب المسلمون به قليل ∴
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ∴ عشية قيل قد قبض الرسول ∴
واضحت ارضنا مما عراها ∴ تكاد بنا جوانبها تميل ∴
فقدنا الوحى والتنزيل فينا ∴ يروح به ويغدو جبرئيل ∴
وذاك احق ما سالت عليه ∴ نفوس الناس او كربت تسيل ∴
نبى كان يجلوا الشك عنا ∴ بما يوحى اليه وما يقول ∴
ويهدينا فلا نخشى ضلالا ∴ علينا والرسول لنا دليل ∴
افاطم ان جزعت فذاك عذر ∴ وان لم تجزعى ذاك السبيل ∴
فقبر ابيك سيد كل قبر ∴ وفيه سيد الناس الرسول ∴

وذكر وثيمة بن موسى ان عبد الله بن انيس الجهنى كان غايبا ببعض ضواحى المدينه فلما انتهى اليه الخبر بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اظلمت عليه الارض ثم قال والله لو ان ميتا رده قتل حى نفسه لقتلت نفسى ولكن افزع الى امر الله انا لله وانا اليه راجعون ثم سال الذى اخبره هل استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا بعينه قال لا والله قال الله اكبر لو استخلفه هلكنا

معصيته. فهل اجتمع الناس على رجل. قال امرني الله صلى الله عليه وسلم ابابكر ان يصلي بالناس
قال هي اعلام الامامة. وليس كل من صلى امام. ما فعل علي بن ابي طالب. قال هو في سنة. قال
لا يريدها. يا ابن اخي لها ملاة من قريش. علي. وابو بكر وعمر من ادعى منازلهم فقد ردهم
ما صنعت الانصار. قال اعتزلت. قال كلا طايف من الشيطان. لم يكن الله ليخذلهم مع ما
سبق لهم. بت عندي الليلة فاني عليل. ولا ارى الا ما بي من هذه الصدمة. ولكن ابلغ فتى
قريشا. وانشد يقول ٥

نفا النوم ما لا تبتغيه الاصابح ٥ وخطب جليل للبليه جامح
غداة نعى الناعي الينا محمدا ٥ وتلك التي تنشك منها المسامح
فلو رد نفسا قتل نفس قتلتها ٥ ولكنه لا يدفع الموت دافع
فاليت لا ابكي على هلك هالك ٥ من الناس ما ارسى ثبير وفارع
ولكنني باك عليه ومتبع ٥ مصيبته الى الله راجع
وقد قبض الله النبيين قبله ٥ وعادا اصيبت بالردى والتتابع
فان مات فالاسلام حي وربنا ٥ لذا الدين ممن كاده اليوم مانع
فيا ليت شعري من يقوم بامرنا ٥ وهل لقريش يا امام منازع
ملاثة رهط من قريش هم هم ٥ ازمة هذا الامر والله صانع
علي او الصديق او عمر لها ٥ وليس لها بعد الثلاثة رابع
اولاك خيار الحي فهر بن مالك ٥ واول من تحنى عليه الاصابع
اولئك ان اقاموا به سلكوا بنا ٥ محجتنا العظمى وقل التنازع
وكل قريش والذي انا عبده ٥ على كل حال للثلاثة تابع
فان قال منا قايل غير هذه ٥ ابينا وقلنا الله راء وسامع
فيا ل قريش قلدوا الامر بعضكم ٥ فان ضجيع العجز للسن قارع
ولا تبطئوا عنها فواقا فانها ٥ اذا قطعت لم تسر فيها المطامع

قال فانتهى الرجل الى قريش وقد انطلق المهاجرون الى الانصار وكان من امرهم الذي كان فاخبر

عبد الله بن انيس الخبر ففرح بذلك ٥ ولأبي الهيثم بن التيهان الانصاري في نحو هذا المعنى
شعر قاله وقد مر به ابو بكر الصديق قبل مبايعة الناس اياه فشكا اليه وفاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابو الهيثم قد والله شمتت اليهودية والنصرانية وبلغني عن الناس امر
ساني فرجع ابو الهيثم الى منزله ٥ وانشد يقول ٥

لقد جزعت آذاننا وانوفنا ؛ غداة فجعنا بالنبي محمد ؛
تكلم اهل الشرك من بعد غلظة ؛ لغيبة هاد كان فينا ومهتد ؛
ثلاثة اصناف من الناس كلهم ؛ يروح علينا بالشنان ويغتدي ؛
نصارى يقولون الفرى ومنافق ؛ شبيه بذاك الشامت المتهود ؛
واوعد كذاب اليمامة جهده ؛ فاجلب عودا باللسان وباليد ؛
فان تك هذا اليوم منهم شماتة ؛ فلا يامنوا ما يحدث الله في غد ؛
وما نحن ان لم يجمع الله امرنا ؛ بخير قريش كلها بعد احمد ؛
بامنع من شاء بقفر مطيرة ؛ بقيعة قاع او ضباب بفدفد ؛
واني لارجوا ان يقوم بامرنا ؛ علي او الصديق والمرء من عد ؛
اولاك خيار الحي فهر بن مالك ؛ وانصار هذا الدين من كل معتد ؛

ولما انتهت الى همدان وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم سفهاؤهم بما كرهت حلماؤهم
فقام عبد الله بن مالك الارحبي وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له هجرة
وفضل في دينه فاجتمعت اليه همدان فقال يا معشر همدان انكم لم تعبدوا محمدا انما عبدتم
رب محمد وهي الحي الذي لا يموت غير انكم اطعتم رسولكم بطاعة الله فدعاكم فاجبتموه وهداكم
فاتبعتموه واعلموا انه ولي نعمتكم في دينكم ودنياكم فاما دينكم فاستنقذكم الله به من النار
واما دنياكم فاستنقذكم الله به من الرق ولم يكن الله ليجمع صحابة رسوله على ضلال وقد
وعدهم ان يهديهم عند ما اختلف فيه من الحق باذنه فاطيعوا من اختاروا وقدموا من قدموا
في كلام غير هذا تكلم به على هذا المثال ونهجه على هذا المنوال وفي ذلك يقول ٥

لعمري لئن مات النبي محمد ؛ لما مات يا ابن القيل رب محمد ؛

وما

وما كان الا مرسلا برسالة ۞ ليبلغها والحادثات بمرصد ۞
ولما قضى من ذاك ما كان قاضيا ۞ ولم يبق شئ فيه الحاد مُلحد ۞
دعاه اليه ربه فاجاب به ۞ فيا خير غورى ويا خير منجد ۞
وما نحن الا مثل من كان قبلنا ۞ فريقان شتى كافر ومُوحّد ۞
ونحن على ما كان بالامس بيننا ۞ من الدين نهدى من اراد فمهتدٍ ۞

والاشعار التى تكلم بها الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من ان تحصى وفيما ذكرنا منها كفاية ونرجع الآن الى التفسير قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اى بامر الله وبقضايه وقدره وعلمه وذلك ان يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله تعالى وامره والمراد من الآية تحريض المسلمين على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل لم يندفع الموت بحيلة فلا فايدة فى الخوف والجبن وفى الآية ايضا ذكر حفظ الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره شئ وفى الآية ايضا حض على الجهاد واعلام ان الموت لا بد منه وان كل انسان مقتول او غير مقتول يصيبه الى بلوغ اجله المكتوب له لان معنى قوله موجلا اى الى اجل ومعنى قوله باذن الله اى بقضايه وقدره كما ذكرنا وقوله تعالى كتابا مُوجّلا يعنى موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان الله تعالى كتب لكل نفس اجلا لا يقدر احد على تغييره او تقديمه او تاخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ لان فيه آجال جميع الخلق وقال بعض المفسرين ايضا اجل الموت هو الوقت الذى هو فى معلوم الله سبحانه وتعالى ان روح الحى تفارق جسده ومتى قُتل العبد علمنا ان ذلك اجله ولا يصح ان يقال لو لم يُقتل لعاش والدليل عليه قوله تعالى كتابا موجلا وقوله اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله ان اجل الله لآت وقوله لكل اجل كتاب والمعتزلى يقول يتقدم الاجل ويتاخر وان من قتل فانما يهلك قبل اجله وكذلك كل ما ذبح من الحيوان كان هلاكه قبل اجله لانه يجب على القاتل الضمان والدية هذا قول المعتزلة وقد بين الله سبحانه فى هذه

الاية انه لا تهلك نفس قبل اجلها. وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى. وفيه
دليل على كتب العلم وتدوينه. وسيأتي بيانه في سورة طه عند قوله قال علمها عند ربي في كتاب ان
شاء الله تعالى. وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها يعني من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل
لها نؤته منها ما يكون جزاء العمله. والمعنى نؤته منها ما نشاء مما قدرناه له. وهذه الاية نزلت
في الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها يعني من اراد بعمله
الآخره نؤته ثوابه فيها. وهذه نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد.
واعلم ان هذه الاية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال. وذلك لان الاصل
في ذلك كله يرجع الى نية العبد. فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له جزاء الا فيها. وكذلك من اراد
بعمله الاخرة فجزاوه ايضا فيها. ويدل على ذلك ما روى في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات. وفي رواية بالنية. وانما لكل
امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله. ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها. وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه. وعن انس بن مالك رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع
له شمله واتته الدنيا وهي راغمة. ومن كانت نيته طلب الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له
شمله الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا يأتيه منها الا ما كتب له. وسنجزي
الشاكرين يعني المومنين المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله والدار
الآخرة. قوله عز وجل وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير قال المفسرون وكاي بمعنى
وكم من نبي. قال الخليل وسيبويه كم دخلت عليها كاف التشبيه وثبتت معها فصار الكلام معنى كم
وصورت في المصحف نونا لانها كلمة ثقلت على اصلها فغير لفظها ليعتبر معناها. ثم كثر
استعمالها فتعلقت بها العرب وتصرفت فيها بالقلب والحذف فحدث فيها اربع لغات
قرئ بها. فقرا ابن كثير وكاين من نبي مثل وكاعن على وزن فاعل. واصل وكاين وكيئن
فقلب الياء الفا. كما قلبت في بيأس فقيل يأبس. قال الشاعر

وكاين بالاباطح من صديق ... تراه لو اصبت هو المصابا

وقال آخر

وكاين رددنا عنكم من مذحج ٭ يجي امام الركب يردي مقنعا ٭

وقال آخر ٥

وكاين في المعاشر من اناس ٭ اخوهم فوقهم وهم كرام ٭

وقرا ابن محيصن وكاين مثل وكعن وهو من كاين حذفت الفه وعنه ايضا وكاين مثل وكعين وهو مقلوب كيء المخفف وقرا الباقون وكاي بالتشديد مثل مثل كعين وهو الاصل قال الشاعر

وكاين من اناس لم يزالوا ٭ اخوهم فوقهم وهم كرام ٭

وقال آخر ٥

وكاين ابونا من عدو يعزنا ٭ وكاين اجرنا من ضعيف وخايف ٭

فجمع بين لغتين كاين وكاين ولغة خامسة وكيين مثل كيعن والله اعلم ووقف ابو عمرو وكاي بغير نون لانه تنوين وروى ذلك سورة بن المبارك عن الكساي ووقف الباقون وكاين بالنون اتباعا لخط المصحف وقرى وكاي من نبي قاتل معه ربيون كثير فمن قرا قتل بضم القاف فله اوجه احدها ان يكون القتل راجعا على النبي وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل ومعه ربيون كثير او يكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من الانبيا قتلوا والذين بقوا بعدهم فما وهنوا في دينهم ولا استكانوا بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيون ويكون المراد البعض ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين ومعنى وكاين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال الربيون لا النبي والمعنى وكاين من نبي قتل من كان معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرا قاتل معه ربيون كثير قال المعنى وكاي من نبي قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي

لكم ان تفعلوا كذلك يا امة محمد • وحجة هذه القراءة ما روى عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال • وقوله ربيون كثير • قال ابن عباس اى جموع كثيرة • وقال ابن مسعود الربون الالوف • وقال الضحاك الربية الواحدة الف • وقال الكلبي الربة الواحدة عشرة الاف • وقيل ربون يعني علماء فقهاء • وقيل الربون هم الاتباع • وقيل الربيون الولاة • والربون الرعية • وقيل هم الذين يعبدون الرب • وقيل ربيون اى مطيعون منيبون الى الله تعالى • فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اى فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله لما اصابهم • والوهن انكسار الجد بالخوف • وقرا الحسن وابو السمال فما وَهِنُوا بكسر الهاء وضمها لغتان وما ضَعُفوا يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب وما استكانوا يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم • ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم • وهذا تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين اراد وا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفين • والمقصود من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء واتباعهم لتقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد والله يحب الصابرين يعني في الجهاد • والمعنى ان من صبر على تحمل الشدايد في طلب الاخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه • ومحبة الله العبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب اليه وادخاله الجنة مع اوليايه واصفيايه • ثم قال عز من قايل حاكيا عنهم وما كان قولهم يعني قول الربيون الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا قال العلماء فيدخل فيه جميع الذنوب الصغاير والكباير واسرافنا في امرنا يعني وما اسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب • لان الاسراف هو الافراط في الشي ومجاوزة الحد فيه • فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغاير منها والكباير وثبت اقدامنا يعني لكي لا تزول عند لقاء العدو • وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم وانصرنا على القوم الكافرين لان النصر على الاعدا لا يكون الا من عند الله • بين الله تعالى انهم كانوا مستحقين عند لقاء العدو ما لدعا والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى • والغرض منه ان تقتدي بهم في هذه الطريقة الحسنة امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقول تعالى هلا فعلتم مثل ما فعلوا •

وقلتم مثل ما قالوا فآتاهم الله ثواب الدنيا يعنى النصر والغنيمة وقهر الاعدا والثنا الجميل
وغفران الذنوب والخطايا وحسن ثواب الاخرة يعنى الجنه وما فيها من النعم المقيم قال العلما
انما خص الله تعالى ثواب الاخره بالحسن تنبيها على جلاله وعظمته لانه غير زايل ولم يشب بتنغيص
ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه سريع الزوال مع ما شوبه من التنغيص والله يحب
المحسنين يعنى الذين يفعلون مثل الذى فعل هولآ وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المومنين ان
يقولوا مثل هذا عند لقا العدو وفيه دقيقة لطيفة وهى انهم لما اعترفوا بذنوبهم مسيئين
سماهم الله محسنين رضى الله عنهم اجمعين قوله تعالى يآيها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا
قال العلما لما امر الله تعالى بالاقتدا بمن تقدم من انصار الانبيا حذر من طاعة الكفار يعنى مشركى
قريش ابا سفين واصحابه وقيل المراد بهم اليهود والنصارى وقيل المراد بهم المنافقين وذلك فى
قولهم للمومنين عند الهزيمة يوم احد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وقيل معناه
ان تطيعوهم فيما يامروكم به من ترك الجهاد يردوكم على اعقابكم يعنى يرجعوكم الى امركم الاول
وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان به لان قبول قولهم فى الدعوة الى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين
يعنى مغبونين فى الدنيا والاخرة اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعدا واما
خسار الاخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار بل الله مولاكم اى وليكم وناصركم وحافظكم
فاستعينوا به وهو خير الناصرين يعنى انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما تطيعوا الكفار
لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى
فهو خير الناصرين قوله عز وجل سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وقرا ابن عامر
والكسائى الرُّعْبَ بضم العين وهما لغتان والرعب هو الخوف يقال رَعَبْتُه رَعْبًا ورُعْبا فهو مَرْعوب
والمعنى سنملأ قلوب الكافرين خوفا وفزعا وقرا ابو السختيانى سَيُلْقى بالياء وقراة
الجمهور بنون العظمة قال العلما وذلك ان ابا سفين ومن معه من المشركين لما ارتحلوا يوم احد
متوجهين الى مكة انطلقوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق ندموا وقالوا بئسما صنعنا قتلناهم حتى
اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله فى
قلوبهم الرعب يعنى الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقا

الرعب فى قلوب الكفار مخصوصا بيوم احد. وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقول النبى صلى
الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر. فكانه تعالى قال سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب منكم
حتى تقهروهم ويظهر دينكم على سائر الاديان. وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه حتى صار دين
الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين كله. قال العلماء والالقاء
يستعمل حقيقة ومجازا. اما استعماله حقيقة ففى الاجسام كقوله تعالى حاكيا عن موسى والقى الالواح
فالقى موسى عصاه. فالقوا حبالهم وعصيهم يعنى السحره. وقال الشاعر ۵
فالقت عصاها واستقر بها النوى ۵ واما استعماله مجازا فكما فى هذه الآية. وقوله
والقيت عليك محبة منى وشبه ذلك. وقوله تعالى بما اشركوا بالله يعنى انما كان القاء الرعب فى
قلوبهم بسبب اشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا يعنى حجة وبرهانا. قال العلماء ومن هذا قيل
للوالى سلطانا لانه حجة الله فى الارض. وقال بعضهم ايضا سميت الحجة سلطانا لان السلطان
مشتق من السليط. وهو ما يضاء به السراج. وهو دهن السمسم ۵
قال امرؤ القيس ۵
اهان السليط فى الذبال المفتل ۵
فالسلطان يستضاء به فى اظهار الحق وقمع الباطل. وقيل السليط هو الحديد. والسلاطة
الحدة. والسلاطة ايضا من التسلط وهو القهر. والسلطان من ذلك. والنون زايده. فاصل السلطان
القدرة والقوة فانه يقهر بها كما يقهر بالسلطان. وسميت الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل.
وتسمى المراة الصخابة سليطه. والسليط ايضا هو الرجل الفصيح اللسان. ومعنى هذا انه لم تثبت
عادة الاوثان فى شئ من الملل. ولم يدل عقل على جواز ذلك. قال الله عز وجل وماواهم النار لما
بين سبحانه حال الكفار فى الدنيا وهو القاء الرعب والخوف فى قلوبهم بين حالهم فى الاخرة فقال تعالى
وماواهم النار اى مسكنهم وبيس مثوى الظالمين اى المسكن الذى يستقرون به ويقيمون فيه. وكلمة
بيس تستعمل فى جميع المذام. والمعنى وبيس مقام الظالمين الذين ظلموا انفسهم باكتساب ما اوجب
لهم عذاب النار والاقامة فيها. والمثوى هو المكان الذى يقام فيه يقال ثوى بالمكان يثوى
ثواء. والمأوى كل مكان يرجع اليه ليلا ونهارا. والله اعلم قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده

قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة من احد وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابه من اين اصبنا هذا وقد وعدنا الله النصر فانزل الله عز وجل هذه الاية ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله تعالى وعد المومنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا وقال الله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم يعني اذ تقتلون الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم تستاصلونهم بالقتل ٥ قال الشاعر

حسسناهم بالسيف حسا فاصبحت ٭ بقيتهم قد شردوا وتبددوا ٭

وقال جرير ٥

تحسهم السيوف كما تسامى ٭ حريق النار في حمر الحصيد ٭

وقال ابو عبيد الحس هو الاستيصال بالقتل ٥ ويقال جراد محسوس اذا قتله البرد ٥ ويقال البرد محسة للنبت اي محرقه ذاهبة ٥ ويقال سنة حسوس اي جدبة ياكل كل شي ٥ واصله من الحس الذي هو الادراك بالحاسة فمعنى حسه اي اذهب حسه بالقتل ٥ والله اعلم وقوله باذنه اي بعلم الله وامره ٥ وقيل بقضايه وقدره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم قال الفراء في الكلام تقديم وتاخير بتقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم ٥ وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية ٥ وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف بتقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم الله النصر ٥ قال العلماء ومعنى فشلتم اي ضعفتم ٥ والفشل الضعف مع جبن اي خوف ٥ ومعنى التنازع الاختلاف ٥ وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اي قوم ما نصنع بمقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون ٥ ثم اقبلوا على الغنيمة ٥ وقال بعضهم لا تجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وثبت عبد الله بن جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه ٥ فلما راى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ذلك حملوا بالخيل على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه ٥ واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا وانقضت صفوف المسلمين واختلطوا ٥

فجعلوا يقتتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا وما شعروا بذلك من الدهش ونادى
ابليس اللعين ان محمدا قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله تعالى وعصيتم يعني امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز من بعد ما اراكم ما تحبون يعني من
النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين منكم من يريد الدنيا يعني الذين تركوا المركز واقبلوا
على النهب ومنكم من يريد الآخرة يعني الذين بقوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال
عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما شعرت ان احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا
حتى كان يوم احد ونزلت هذه الآية ثم صرفكم عنهم يعني يا معشر المسلمين عنهم يعني عن المشركين
بالهزيمة ليبتليكم يعني ليمتحنكم وقيل ليتزل عليكم البلاء لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل
معناه ليختبركم وهو اعلم فيتميز المومن من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة ولقد
عفى عنكم يعني ولقد عفى الله عنكم ايها المخالفون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستاصلكم
بعد المخالفة والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون والله ذو فضل على المومنين
اى بالعفو والمغفرة وهذا من تمام نعمه على عباده المومنين لانه نصرهم اولا ثم عفا عن المذنبين
منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان قال العلماء وفي الآية دليل على ان صاحب الكبيرة
مومن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لان الله تعالى سماهم مومنين مع ما ارتكبوه من
مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك وروى عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال ما نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في موطن كما نصر في يوم احد قال
وانكر ذلك فقال ابن عباس بلى وسئل من انكر ذلك كتاب الله عز وجل ان الله تبارك وتعالى
يقول في يوم احد ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه يعني القتل حتى اذا فشلتم وتنازعتم
في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم
عنهم ليبتليكم ولقد عفى عنكم والله ذو فضل على المومنين وانما عنى بهذا الرماة وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقامهم في موضع ثم قال احموا ظهورنا فان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا وان
رايتمونا نغنم فلا تشركونا فلما غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم واباحوا عسكر المشركين اكفات
الرماة جميعا فدخلوا في العسكر ينتهبون وقد التفت صفوف اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم. فهم هكذا. وشبك اصابع يده التبسوا. فلما اخل الرماة تلك الخلة التى كانوا فيها
دخلت الخيل من ذلك الموضع على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم. فضرب بعضهم بعضا والتبسوا
وقتل من المسلمين ناس كبير. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اول النهار حتى قتل انظر م
من اصحابه لوا المشركين سبعة او تسعة. وجال المسلمون نحو الجبل. ولم يبلغوا حيث تقول الناس
الغار. انما كانوا تحت المهراس. وصاح الشيطان قتل محمد. فلم يشك احد فيه انه حق. فما زلنا
كذلك ما نشك انه قتل حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين نعرفه بتكفئيه
اذا مشى. قال ففرحنا حتى كأنا لم نصبنا ما اصابنا. قال فرقى نحونا وهو يقول اشتد غضب الله
على قوم دموا وجه رسوله. وقال كعب بن مالك انا كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المسلمين. عرفته بعينيه من تحت المغفر تزهران. فناديت بأعلا صوتى يا معاشر المسلمين
ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الى ان اسكت. قوله عز وجل اذ تصعدون
قال بعض المفسرين قوله تعالى اذ تصعدون متعلق بما قبله. والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون
لان عفوه عنهم لابد وان يتعلق بامر اقترفوه. وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون
يعنى هاربين فى الجبل. وقال بعضهم ان قوله اذ تصعدون ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله. والمعنى
اذكروا اذ تصعدون. وقراءة الجمهور اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين من الاصعاد. وهو
الذهاب فى الارض والابعاد فيها. وقرأ ابو رجاء العطاردى وابو عبد الرحمن السلمى والحسن
وقتادة اذ تصعدون بفتح التاء والعين من الصعود وهو الارتقاء من اسفل الى اعلا كالصعود
فى الجبل وعلى السلم ونحوه. وللمفسرين فى معنى الآية قولان احدهما انه صعودهم فى الجبل عند
الهزيمة. والثانى انه الابعاد فى الارض فى حال الهزيمة ووقت الهرب. ولا تلوون على احد
اى لا تعرجون ولا تقيمون على احد ولا تلتفت بعضكم الى بعض من شدة الهرب. وقرأ ابن محيصن
وشبل اذ يصعدون ولا يلوون. بالياء فيهما. وقرأ الحسن ولا يلون. بواو واحدة. وروى ابو
بكر بن عياش عن عاصم ولا تلوون. بضم التاء وهى لغة شاذة. قال ابو حاتم تقول اصعدت
اذا مضيت لقاء وجهك. وصعدت اذا ارتقيت فى جبل وغيره. فالاصعاد هو السير فى مستوى
الارض وبطون الاودية والشعاب. والصعود هو الارتفاع على الجبل والسطوح والسلالم والمدرج.

محتمل ان يكون صعودهم فى الجبل بعد اصعادهم فى الوادى فيصح المعنى على قراءة تصعدون وتصعدون
حال قتادة والربيع اصعدوا يوم احد فى الوادى • وقرا ابى بن كعب اذ تصعدون فى الوادى •
وقال ابن عباس صعدوا فى احد فرارا • وكلتا القراءتين صواب • كان قوم من المنهزمين مصعدين
وقوم صاعدين والله اعلم بمراد كلامه العظيم • وقال المبرد يقال اصعد اذا ابعد فى الذهاب
وامعن فيه • وكان الاصعاد ابعاد فى الارض كابعاد الارتفاع • قال الشاعر •

الا ايها ذا السايلى ان اصعدت • فان لها فى اهل يثرب موعدا •

وقال الفراء الاصعاد الابتداء فى السفر والانحدار الرجوع منه • تقول اصعدنا من بغداد
الى مكة والى خراسان وشبه ذلك اذا خرجنا اليها واخذنا فى السير • وانحدرنا اذا رجعنا •
وانشد ابو عبيدة •

قد كنت تبكين على الاصعاد • فاليوم سرحت وصاح الحادى •

وقوله تعالى والرسول يدعوكم فى اخراكم اى فى آخركم ومن ورايكم يقول الى عباد الله انا
رسول الله من كر فله الجنة اى من رجع فله الجنة فاثابكم غما بغم اى فجازاكم بفراركم عن نبيكم
صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم غما بغم • فسمى العقوبة التى عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز
لان لفظ الثواب لا يستعمل فى الاغلب الا فى الخير • وقد يجوز استعماله فى الشر لانه ماخوذ من
ثاب اذا رجع • فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا او شرا فمتى حملنا
لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول
الشاعر •

اخاف زيادا ان يكون عطاوه • اداهم سودا او محذرجة سمرا •

فجعل العطاء مكان العقاب • لان الاداهم السود هى القيود الثقال والمحذرجة هى السياط • ن
والباء فى قوله غما بغم بمعنى مع • او بمعنى على • لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض • وقيل
الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم • واختلفوا فى معنى الغمين • فقيل الغم الاول هو ما فاتهم
من الظفر والغنيمة • والغم الثانى هو ما نالهم من القتل والهزيمة • وقيل الغم الاول ما اصابهم من
القتل والجراح • والغم الثانى هو ما سمعوا بان النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل • فانساهم غمهم الاول •

وقيل الغم الاول هو انهم غمّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة. وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف ابى سفين وخالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم. والغم الثانى حين وقف ابو سفين واصحابه بباب الشعب فلما نظر اليهم المسلمون غمهم ذلك. وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك واسامهم ما نالهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لس لهم ان يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد فى الارض. ثم نزل اصحابه فرموهم بالحجارة حتى انزلوهم فولوا سراعا. وقال الحسن فاثابكم غمّا يوم احد بغم يوم بدر للمشركين لكيلا تحزنوا قال العلماء فى لفظة لا قولان. احدهما انها نافية على اصلها. ومعناها النفى فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم. والمعنى ولقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لان عفوه يذهب كل هم وحزن. وقيل معناه فاثابكم غما اساكم الحزن على ما فاتكم وما اصابكم. وقد روى انهم لما سمعوا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم. والقول الثانى ان لفظة لا صلة ومعنى الكلام لكى تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم. قال ابن عباس رضى الله عنه الذى فاتهم الغنيمة. والذى اصابهم القتل والهزيمة والله خبير بما تعملون اى عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فمجازيكم عليها. قوله تعالى ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغم الذى اصابكم أمنةً نعاسا يعنى امنا. والأمنة والامن واحد. وقيل الامن يكون مع زوال الخوف. والامنه مع بقاء سبب الخوف. وكان سبب الخوف بعد باق. وقرا ابن محيصن امْنَةً بسكون الميم. والنعاس اخف النوم. والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون معه. لان الخائف لا يكاد ينام فامنهم الله بعد خوفهم يغشى طائفة منكم قال ابن عباس رضى الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس تغشاهم. وانما ينعس من يامن. والخائف لا ينام. وروى البخارى عن انس عن ابى طلحة رضى الله عنه قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد حتى سقط سيفى من يدى مرارا يسقط وآخذه يسقط وآخذه. واخرجه ايضا الترمذى عنه قال غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم احد. وذكر نحو رواية البخارى. وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله للحق. وفى رواية اخرى له قال رفعت راسى

يوم احد فجعلت اتهم وما منهم يومئذ احد الا ميد تحت جفنه من النعاس فذلك قوله ثم انزل
عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام رضي الله عنه لقد رايتني مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير
والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا فقوله
تعالى يغشى طائفة منكم يعني المومنين وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين اراد الله سبحانه
ان يميز المومنين من المنافقين فاوقع النعاس على المومنين وعدم النعاس على حتى آمنوا
ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف قال العلماء وفي القاء النعاس على المومنين دون
المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب امن المومنين وعدم النعاس
على المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على
الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعداء كانت حاصلة عندهم يظنون بالله غير الحق
يعني يظنون ان الله لا ينصر سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل يظنون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب
ان نظن به ظن الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية يقولون يعني المنافقين هل لنا اي مالنا من الامر
من شيء وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين في هذه
الواقعة فاشار عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل
من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شيء وهو استفهام
على سبيل الانكار اي مالنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر يعني مالنا من هذا
الذي يجدنا محمد به من النصر والظفر من شيء انما هو للمشركين ثم قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه
وسلم قل يعني قل يا محمد لهولاء المنافقين ان الامر كله لله يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله
لله وبيده يصرفه حيث شاء ويدبره كيف احب وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه
في قوله يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يعني التكذيب بالقدر وذلك انهم تكلموا فيه فقال الله
قل ان الامر كله لله يعني القدر خيره وشره من الله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يعني من الكفر
والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه

هو قوله تعالى حكاية عنهم يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا وذلك ان المنافقين
قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم يقتل رؤسانا وقيل
كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ها هنا. وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى يظنون بالله
غير الحق يعنى التكذيب بالقدر. وهو قولهم لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا. قل ان
الذى قال هل لنا من الامر من شئ هو عبد الله بن ابى بن سلول المنافق. والذى قال لو كان لنا من الامر
شئ هو معتب بن قشير قل اى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل اى قضى عليهم القتل وقدر عليهم الى مضاجعهم يعنى الى مصارعهم التى يصرعون بها وقت
القتل. ومعنى الاية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير. فالذى قدر
عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وان يقتلوا. والمعنى لو جلستم فى بيوتكم لخرج منها
وظهر الذين قضى الله عليهم القتل الى حيث يقتلوا فيه وليبتلى الله ما فى صدوركم اى وليختبر
ما فى صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا. لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة. وقيل
معناه ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لكم. وقيل معناه ليبتلى اولياء الله ما فى صدوركم فاضاف
الابتلاء الله تعظيما لشانهم اولياءه المومنين وليمحص ما فى قلوبكم قال قتادة اى يظهرها
من الشك والارتياب بما ريكم من عجائب صنعه فى القاء الامنة وصرف العدو واظهار سرائر
المنافقين. فعلى هذا يكون الخطاب للمومنين خاصة. وقيل معناه وليبين وليظهر ما فى قلوبكم
يعنى من الاعتقاد لله ولرسوله وللمومنين من العداوة. فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين
خاصة والله عليم بذات الصدور يعنى بالاشياء الموجودة فى الصدور وهى الاسرار والضمائر.
لانه تعالى عالم بجميع المعلومات. قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
اى انهزموا وهربوا. وقوله منكم يعنى يا معشر المسلمين. وهذا خطاب لمن كان مع النبى صلى الله
عليه وسلم من المومنين يوم احد. وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبى صلى الله عليه
وسلم الا بضعة عشر رجلا. وقيل اربعة عشر من المهاجرين سبعة. ومن الانصار سبعة فمن
المهاجرين ابو بكر. وعمر. وعلى. وطلحة بن عبيد الله. وعبد الرحمن بن عوف. والزبير. وسعد بن ابى
وقاص رضى الله عنهم وقوله انما استزلهم الشيطان اى طلب زلتهم. كما يقال استعجلته اى طلبت

عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقا الوسوسة في قلوبهم لا انه امرهم بها
والله اعلم وقوله ببعض ما كسبوا يعني بمعصيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز
وقيل استزلهم الشيطان بتذكير خطايا لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهذا
اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعانده ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا
وانما ذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقا الله الا على حالة يرضاها وقيل لم يكن
انهزامهم معصية لانهم ارادوا التحصن بالمدينة فيقطع العدو طمعه فيهم لما سمعوا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد قتل وقال بعضهم يجوز ان يقال انهم لم يسمعوا دعا رسول الله صلى الله
الله عليه وسلم حين جعل يقول الي عباد الله انا رسول الله للهول الذي كانوا فيه وقال بعضهم يجوز
ان يقال ان عدد العدو زاد على الضعف لان المسلمين كانوا سبعمايه والكفار ثلاثه الاف وعند
هذا يجوز الانهزام ولكن الانهزام عن النبي صلى الله عليه وسلم خطا عظيم لا يجوز ولعلهم رضي الله عنهم
توهموا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انحاز ايضا الى الجبل وعلى الجمله فان حمل الامر على ذنب
مخفف فقد عفا الله عنه وان حمل على انهزام مسوغ فالاية فيمن ابعد في الهزيمة وزاد على القدر
المسوغ ولقد عفى الله عنهم يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقا الجمعان فلم يعاقبهم
بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان رضي الله عنه عوتب في هزيمته يوم احد فقال ان ذلك وان كان
خطا لكن الله قد عفا عنه وقرا هذه وروى ابو الليث السمرقندي قال حدثنا الخليل بن احمد
قال حدثنا السراج قال حدثنا قتيبه قال حدثنا ابو بكر بن غيلان عن جرير ان عثمان رضي الله عنه
كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال له عبد الرحمن اتسبني وقد شهدت بدرا ولم تشهد
وقد بايعت تحت الشجرة ولم تبايع وقد كنت تولى فيمن تولى يوم الجمع يعني يوم احد فرد
عليه عثمان فقال اما قولك انا شهدت بدرا ولم تشهد فاني لم اغب عن شي شهده رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ان بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مريضة وكنت معها امرضها فضرب
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سهما في سهام المسلمين واما بيعة الشجرة فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثني ربيئة على المشركين بمكه والربيئة هو الناظر وضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمينه على شماله فقال هذه لعثمان فيمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وشماله خير لي من

سبقت صح

يمين

يميني وشمالي • واما يوم الجمع فقال الله تعالى ولقد عفا الله عنهم • فخصم عثمان عبد الرحمن •
وروى البخاري قال حدثنا عبدان • قال حدثنا ابو حمزة • عن عثمان بن موهب • قال جاء رجل
حج البيت فرأى قوما جلوسا • فقال من هؤلاء القعود • قالوا هؤلاء قريش • قال من الشيخ • قال ابن
عمر • فاتاه فقال اني سائلك عن شيء أتحدثني • قال فهم • قال انشدك بحرمة هذا البيت اتعلم ان عثمان
فر يوم احد • قال نعم • قال فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها • قال نعم • قال فتعلم انه تخلف عن
بيعة الرضوان فلم يشهدها • قال نعم • فكبر • فقال ابن عمر تعال لاخبرك ولابين لك عما سالتني
عنه • اما فراره يوم احد فاشهد ان الله عفا عنه • واما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة • فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان لك اجر رجل
ممن شهد بدرا وسهمه • واما تغيبه عن بيعة الرضوان فانه لو كان احد اعز ببطن مكة من
عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان • وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة • فقال
النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده • فقال هذه لعثمان اذهب
بها الان معك • ونظير هذه الاية ايضا توبة الله على ادم عليه السلام حين اكل من الشجرة •
وقوله النبي صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى اي غلبه بالحجة • وذلك ان موسى عليه السلام اراد
توبيخ آدم ولومه في اخراج نفسه وذريته من الجنة بسبب اكله من الشجرة • فقال له ادم
اتلومني على امر قدره الله علي قبل ان اخلق باربعين سنة تاب علي منه • ومن تاب عليه لا
ذنب له • ومن لا ذنب له لا يتوجه عليه لوم • وكذلك من عفا عنه • وانما كان هذا لاخباره
تعالى بذلك • وخبره حق وصدق • واما غيرهما من المذنبين التائبين فهم يرجون رحمته
ويخافون عذابه فهم على وجل وخوف ان لا تقبل توبتهم • وان قبلت فالخوف اغلب عليهم اذ لا
علم لهم بذلك • فاعلم • قال الله عز وجل ولقد عفا الله عنهم يعني المنهزمين يوم احد الذين تقدم
ذكرهم ان الله غفور يعني لمن تاب واناب حليم لا يعجل بالعقوبة ولم يستاصلهم بالقتل • قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه •
وقالوا لاخوانهم يعني في النفاق والكفر • وقيل في النسب وكانوا مسلمين اذا ضربوا في الارض
يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وغيرها فماتوا او كانوا غزى جمع غاز اي كانوا غزاة

فقتلوا. قال العلما وفي الكلام حذف ودل المعنى على ذلك الحذف. وهو اذا ضربوا في الارض فماتوا
او كانوا غزا فقتلوا. والغزى جمع منقوص لاسيما لفظها في رفع ولا خفض. وواحد
غزى غاز. كراكع وركع. وصايم وصوم. ونايم ونوم. وشاهد وشهد. وغايب وغيب.
ويجوز في الجمع غزاة مثل قضاة. وغزاء مثل ضراب وصوام. وتقال ايضا غزى
جمع الغزاة. قال الشاعر

قل للقوابل والغزى اذا غزوا

وروى عن الزهري انه قرا اوكانوا غزا بالتخفيف. والغز وقصد الشي. والمغزى
المقصد لوكانوا عندنا يعني مقيمين ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم
وظنهم حسرة في قلوبهم يعني غما وتاسفا. والحسرة هو الاهتمام على فايت لم تقدر بلوغه
قال الشاعر

فواحسرتي لما قضى منها لبانتي ولم اتمتع بالجوار وبالقرب

واللام في قوله ليجعل متعلقه بقوله وقالوا. والمعنى ليجعل ظنهم انهم لو لم يخرجوا ما قتلوا حسرة
في قلوبهم. وقيل اللام متعلقه بمحذوف تقديره لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك القول حسرة
في قلوبهم لانه قد ظهر نفاقهم. وقيل المعنى لا تصدقوهم. ولا تلتفتوا اليهم فكان ذلك حسرة
في قلوبهم. وقيل المعنى ليجعل ذلك حسرة في قلوبهم يوم القيامة لما هم فيه من الخزي والندامة
ولما فاته المسلمون من النعيم والكرامة والله يحيي ويميت قال العلما هذا رد لقول المنافقين لو
كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا. والمعنى ان الامر بيد الله. وان المحيي والمميت هو الله فقد يحيي
المسافر والغازي. ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما شا فكيف يدفع الجلوس في البيت. وهل
يحمي احد من الموت والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون خيرا وشرا فيجازيكم
به فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين. لان مقصودهم تثبيط المومنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا
ما ماتوا وما قتلوا. فان الله تعالى هو المحيي المميت. فمن قدر له البقا لم يقتل في الجهاد. ومن قدر
له الموت لم يبق. وان اقام ببيته عند اهله. فلا تقولوا انتم ايها المومنون لمن يريد الخروج الى
الجهاد لا تخرج فتقتل. فلان يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت في

بيته بلا فايده واليه الاشارة بقوله تعالى ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة
يعنى فى العاقبه ورحمة خير مما تجمعون يعنى من الغنايم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه
من القتل فى سبيل الله او الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل
فى سبيل الله خير مما تحمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
يعنى لا الى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون فى الاخره فيجازيكم
باعمالكم وقد قسم بعضهم مقامات العبوديه ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره آمنه
مما يخاف واليه الاشارة بقوله تعالى لمغفرة من الله ومن عبد الله شوقا الى جنته اناله ما
يرجوا واليه الاشارة بقوله ورحمة لان الرحمة من اسمآ الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه
الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذى يتجلى له الحق سبحانه وتعالى فى دار كرامته
واليه الاشارة بقوله تعالى لا الى الله تحشرون قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم
قال المفسرون ما صلة فيها معنى التاكيد اى فبرحمة من الله وهذا كقوله عما قليل وقوله
فبما نقضهم ميثاقهم وقوله جند ما هنالك وليست بزايده على الاطلاق وانما اطلق عليها سيبويه
معنى الزيادة من حيث زال عملها وقال ابن كسان ما انكرة فى موضع جر بالبآ ورحمة بدل
منها ومعنى الاية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رفق بمن تولى عنه يوم احد ولم يعنفهم بين الرب
سبحانه وتعالى انه انما فعل ذلك بتوفيق الله تعالى اياه وقال بعضهم ان ما استفهام والمعنى
فباى رحمة من الله لنت لهم فيكون على هذا التعجيب وفى هذا القول بعد لانه لو كان كذلك لكان
يكون فبم رحمة بغير الف والله اعلم وقوله لنت لهم ماخوذ من لان يلين ليونا ولينا ولينا بالفتح
ومعنى لنت لهم اى سهلت لهم اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم بعنيف على ما كان منهم يوم احد
ومعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله
تعالى القى فى قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم ولو كنت فظا
يعنى جافيا غليظ القلب يعنى قاسى القلب شئ الخلق قليل الاحتمال لانفضوا من حولك اى لنفروا
عنك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم احد عندك وفى صفة النبى صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ
ولا صخاب فى الاسواق وانشد بعضهم ٥ فى المذكر ٥

ليس يفظ في الادانى والأولى ؛ يومّون جَدْوَاهُ ولكنه سَهلُ ؛
وَفظٌ على اعاديه يحذرُونه ؛ فسطوته حتف ونايله جَزل ؛
وانشد آخر في المونث ٥
امُوت من الضرّ في منزلي ؛ وغيري يمُوت من الكظّه ؛
ودُنيًا تجُود على الجاهلين ؛ وهي على ذِي النُّهَى فَظّه ؛
قال العلما وغلظ القلب عبارة عن تجهّم الوجه وقله الانفعال في الرغايب وقله الاشفاق
والرحمة ومن ذلك قول الشاعر
يُبكَى علينا ولا نبكي على احَد ؛ لنحن اغلظ اكبادا من الابل ؛
ومعنى لانفضوا اى لتفرقوا يقول فضضتهم فانفضوا اى فرقتهم فتفرقوا ومن ذلك قول ابي النجم
يصف ابلا ٥ مستعجلات القميص غير جردٍ ؛ ينفضّ عنهن الحصى بالصّمدِ ؛
واصل الفظ الكسر ومنه قولهم لا يفضض الله فاك ٥ ومعنى الايه يا محمد لولا رفقك لمنعهم
الاحتشام والهيبة من القرب منك بعد ما كان من توليهم فاعف عنهم اى تجاوز عن زلاتهم
وما اتوا يوم احد واستغفر لهم اى واسال الله المغفرة لهم حتى يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم
فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله تعالى وذلك من تمام الشفقه عليهم وشاورهم
في الامر اى استخرج آراهم واعلم ما عندهم واختلف العلما في المعنى الذى من اجله امر الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رايه ونزول الوحي عليه ووجوب
طاعته على كافه الخلق فيما احبوا او كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما ليس
عندك من الله فيه عهد وذلك في امر الحرب ونحوه من امور الدنيا لتستظهر برايهم فيما تشاورهم
فيه وقيل امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف
لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق عليهم ذلك
وقال الحسن قد علم الله تعالى انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده
من امته وقيل انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رايا
وروى عن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما رايت رجلا اكثر استشاره للرجال من رسول الله صلى الله

عليه

علیه وسلم • واتفق العلما علی ان کل ما نزل فیه وحی من الله عز وجل لم یجز لرسول الله صلی الله
علیه وسلم ان یشاور فیه الامة • وانما امر ان یشاور فیما سوی ذلک من امر الدنیا ومصالح
الحرب ونحو ذلک • وقیل امر ان یشاورهم فی امر الدین والدنیا فیما لم ینزل علیه فیه شی لان
النبی صلی الله علیه وسلم شاورهم فی اساری بدر • وهو من امر الدین والله اعلم • وقال ابن عطیه
رحمه الله والشوری من قواعد الشریعة وعزایم الاحکام • ومن لا یستشر اهل العلم والدین فعزله
واجب • وهذا مما لا خلاف فیه • وقد مدح الله سبحانه المومنین بقوله وامرهم شوری بینهم •
وقال اعرابی ما عزیت قط حتی یعزی قومی • قیل له وکیف ذلک • قال لانی افعل شا حتی
اشاور • وقال بعضهم واجب علی الولاة مشاورة العلما فیما لا یعلمون وفیما اشکل علیهم من
امر الدین • ووجوه الجیش فیما یتعلق بالحرب • ووجوه الناس فیما یتعلق بالمصالح • ووجوه
الکتاب والعمال والوزرا فیما یتعلق بمصالح البلاد وعمارتها • وکان یقال ما ندم من استشار •
وکان یقال من اعجب برایه ضل • وقال العلما ان قول الله تعالی لنبیه صلی الله علیه وسلم وشاورهم
فی الامر یدل علی جواز الاجتهاد فی الامور والاخذ بالظنون مع امکان الوحی • فان الله سبحانه
اذن لرسوله فی ذلک • وقال بعض المفسرین ایضا اختلف اهل التاویل فی المعنی الذی امر الله به
نبیه صلی الله علیه وسلم فقالت طایفه ذلک فی مکاید الحرب • وعند لقا العدو تطییبا
لنفوسهم ورفعا لاقدارهم • وتالفا علی دینهم • وان کان الله تعالی قد اغناه عن رایهم بوحیه •
وهذا القول مروی عن قتادة والربیع وابن اسحق والامام الشافعی • قال الامام الشافعی
هو کقوله والبکر تستامر تطییبا لقلبها • لانه واجب • وقال مقاتل وقتاده والربیع کانت
سادات العرب اذا لم یشاوروا فی الامر شق علیهم • فامر الله تعالی نبیه صلی الله علیه وسلم ان یشاورهم
فی الامر فان ذلک اعطف لهم علیه • واذهب لاضغانهم • واطیب لانفسهم • فاذا شاورهم عرفوا
اکرامه لهم • وقال آخرون ذلک اعطف لهم علیه فیما لم یاته فیه وحی • روی ذلک عن الحسن
البصری والضحاک • قالا ما امر الله تعالی نبیه صلی الله علیه وسلم بالمشاورة لحاجة منه الی
رایهم • وانما اراد ان یعلمهم ما فی المشورة من الفضل • ویقتدی به امته من بعده • وقرا
ابن عباس وشاورهم فی بعض الامر • ولقد احسن القایل حین قال ○

مشاورة مو

شاور صد تقد فی الخفی المشکل ۞ واقبل بصیحة ناصح متفضل ۞
فالله قد اوصی بذاک نبیه ۞ فی قوله شاورهم وتوکل ۞
وروی ابو داود عن ابی هریره رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم المستشار مؤتمن
قال العلما وصفة المستشار ان کان فی الاحکام ان یکون عالما دینا وقل ما یکون ذلک الا
فی عاقل قال الحسن ما کمل دین امری مالم یکمل عقله فاذا استشیر من هذه صفته واجتهد
فی الصلاح وبذل جهده فوقعت الاشارة خطا فلا غرامة علیه وهذا قول الخطابی وغیره
وصفة المستشار فی امور الدنیا ان یکون عاقلا مجربا قال الشاعر
شاور صدیقک فی الخفی المشکل ۞ وقد تقدم وقال آخر
وان ناب امر علیک التوی ۞ فشاور لبیبا ولا تعصه ۞ فی ابیات
والشوری برکة قال صلی الله علیه وسلم ما ندم من استشار ولا خاب من استخار وروی
سهل بن سعد الساعدی رضی الله عنه عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه قال ما شقی قط
عبد بمشوره وما سعد باستغنا رای وقال بعضهم شاور من جرب الامور فانه یعطیک
من رایه ما وقع علیه غالیا وانت تاخذه مجانا وقد جعل امیر المومنین عمر بن الخطاب
رضی الله عنه الخلافة وهی اعظم النوازل شوری قال البخاری رحمه الله وکانت الائمة بعد
النبی صلی الله علیه وسلم یستشیرون الامنا من اهل العلم فی الامور المباحة لیاخذوا باسهلها
وقال سفین الثوری لیکن اهل مشورتک اهل التقوی والامانة ومن یخشی الله وقال الحسن
والله ما شاور قوم نبیهم الا هداهم لافضل ما حضرتهم وعن علی بن ابی طالب رضی الله عنه قال
قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ما من قوم کانت لهم مشوره فحضر معهم من اسمه محمد او احمد
فادخلوه فی مشورتهم الا خیر لهم وقال علی بن ابی طالب رضی الله عنه الاستشارة عین الهدایه
وقد خاطر من استغنی برایه والتدبیر قبل العمل یومنک من الندم وقال بعض الحکما ما
استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فواید المشاورة انه قد یعزم الانسان علی امر
فیشاور فیه فیتبین له الصواب فی قول غیره فیعلم بذلک عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح
ومنها انه اذا لم ینجح امره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم یلم نفسه ۞ وانشد

بعضهم ايضا فى مدح المشاورة ٥

وشاور اذا شاورت كل مهذب ٭ لبيب أخا حزم لترشد فى الامر ٭

ولا تكن ممن يستبد برايه ٭ فتجحرا وتستريح من الفكر ٭

الم تر ان الله قال لعبده ٭ وشاورهم فى الامر حتما بلا نكر ٭

وقالوا ايضا الشورى مبنية على اختلاف الآراء والمستشير ينظر فى ذلك الخلاف وينظر اقربها قولا بالكتاب والسنة ان امكنه فاذا ارشده الله تعالى الى ما شاء منه عزم عليه اذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب وبهذا امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم اذا عزم على امر ان يمضى فيه وتوكل على الله لا على مشاورتهم قال الله عز وجل فاذا عزمت فتوكل على الله قال العلماء معناه اذا عزمت على المشاورة فتوكل على الله اى فاستعن بالله فى امورك كلها وثق به ولا تعتمد الا عليه فانه ولى الاعانة والعصمة والتسديد والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شى الا على الله عز وجل فى جميع امورة وان المشاورة لا تنافى التوكل ٥ قال بعضهم والعزم هو الامر المروى المنقح ٥ وليس ركوب الراى دون روية عزما الا على مقطع السحس من قتال العرب كما قال ٥

اذا هم القى بين عينيه عزمة ٭ ونكب عن ذكر العواقب جانبا ٭

ولم يستشر فى امره غير نفسه ٭ ولم يرض الا قايم السيف صاحبا ٭

وقال النقاش العزم والحزم واحد والحا مبدلة من العين ٥ قال ابن عطيه وهذا لا يصح لان الحزم هو جودة النظر فى الامر وتنقيحه والحذر من الخطا فيه والعزم هو قصد الامضاء والله تعالى يقول وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فالمشاورة وما كان فى معناها هو الحزم والعرب تقول من قد احزم لو اعزم وقرا جعفر الصادق وجابر بن زيد فاذا عزمت بضم التا نسب سبحانه العزم الى نفسه اذ هو بهدايته وتوفيقه كما قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ومعنى الكلام اى عزمت لك ووفقتك وارشدتك فتوكل على الله قال المهلب وقد امتثل هذا النبى صلى الله عليه وسلم من امر ربه عز وجل فقال لا ينبغى لنبى يلبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله اى ليس ينبغى له اذا عزم ان ينصرف لانه نقض التوكل الذى شرطه الله مع العزيمة فلبسه لامته صلى الله عليه وسلم حين اشار عليه بالخروج يوم احد من اكرمه الله

بالشهادة فنه وهم صلحا المومنين ممن كان فاته بدر يا رسول الله اخرج بنا الى عدونا. دال
على العزيمة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشار بالقعود. وكذلك عبد الله بن ابي اشار بذلك.
وقال اقم يا رسول الله ولا تخرج اليهم بالناس. فانهم اقاموا اقاموا بشر مجلس. وان جاونا الى
المدينة قاتلناهم في الافنية وافواه السكك. ورماهم النسا والصبيان بالحجارة من الآطام.
فوالله ما حاربنا قط عدو في هذه المدينة الا غلبناه. ولا خرجنا منها الى عدو الا غلبنا. وابى
هذا الراى من ذكرنا وشجعوا الناس ودعوا الى الحرب. فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجمعة ودخل اثر صلاته سته ولبس سلاحه. فندم اولئك القوم. وقالوا اكرهنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم. فلما خرج عليهم في سلاحه قالوا يا رسول الله اقم ان شئت فانا لا نكرهك. فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي اذا لبس سلاحه ان يضعها حتى يقاتل ٥ وقوله
فتوكل على الله التوكل هو الاعتماد على الله مع اظهار العجز. واختلف العلما في التوكل. فقالت
طائفة من الصوفيه لا يستحق الامن لم يخالط قلبه خوف غير الله من سبع او غيره. وحتى يترك
السعي في طلب الرزق لضمان الله تعالى. وقال عامة الفقها ما تقدم ذكره عند قوله وعلى الله فليتوكل
المومنون. وهو الصحيح كما بيناه. وقد خاف موسى وهرون عليهما السلام باخبار الله عنهما في قوله
قالا ربنا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى. قال لا تخافا. وقال تعالى فاوجس في نفسه خيفة
موسى قلنا لا تخف. واخبر سبحانه عن ابرهيم بقوله فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس
منه خيفه قالوا لا تخف. فاذا كان ابرهم الخليل وموسى الكليم قد خافا وحسبك بهما فغيرهما اولى.
وسياتي بيان هذا المعنى ان شا الله تعالى **فصل في فضيله التوكل والمشاورة** عن سهل بن
سعد الساعدي رضي الله عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شقي عبد قط بمشورة. وما
سعد باستغنا راي. بقول الله عز وجل وشاورهم في الامر. فالله تعالى وكتابه ورسوله غني عن
المشاورة. ولكن الله اراد ان تكون سنة. فلا تبرم من امرا الدنيا والدين حتى يشاوروا. وقد اثنى
الله على عباده بالمشاوره فقال سبحانه وامرهم شورى بينهم. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا كان امراوكم خياركم. واغنياوكم سمحاكم. وامركم شورى بينكم. فظهر الارض خير لكم
من بطنها. واذا كان امراوكم شراركم. واغنياوكم بخلاكم. ولم يكن امركم شورى بينكم فبطن الارض

خير لكم من ظهرها ۞ وانشد بعضهم ۞

اذا كنت في حاجة مرسلا ❊ فارسل حكيما ولا توصه ❊

وان باب أمر عليك التوى ❊ فشاور لبيبا ولا تعصه ❊

ونص الحديث الى اهله ❊ فان الوثيقة في نصه ❊

اذا المرء اضمر خوف الاله ❊ تبين ذلك في شخصه ❊

وانشد ابو سلمة المودب ۞

شاور صديقك في الخفي المشكل ۞ وتقدم ذكره وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب ۞ قيل من هم يا رسول الله ۞ قال هم الذين لا يكتوون ۞ ولا يسترقون ۞ ولا يتطيرون ۞ وعلى ربهم يتوكلون ۞ فقال عكاشة ابن محصن يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم ۞ فقال انت منهم ۞ ثم قام آخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم ۞ قال سبقك بها عكاشة ۞ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله ۞ ومن سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله ۞ ومن سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده ۞ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمثل بهذين البيتين ۞

هون عليك فان الامور بامر الاله مقاديرها ❊

فليس يأتيك منصرفها ولا عاجز عنك مقدورها ❊

ثم قال الله عز وجل ان الله يحب المتوكلين يعني المتوكلين عليه في جميع امورهم ۞ وقد تكلم العلماء والمشايخ العارفون بالله في معنى التوكل وحقيقة المتوكل ۞ واختلفت عباراتهم في ذلك ۞ فقال سهل ابن عبد الله اول مقام التوكل ان يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف اراد ۞ لا تكون له حركة ولا تدبير ۞ والمتوكل لا يسأل ۞ ولا يرد ۞ ولا يحبس ۞ وقال ابو تراب النخشبي التوكل الطمانينة الى الله ۞ وقال بشر الحافي التوكل هو الرضا ۞ وسيل ذو النون المصري عن التوكل

الاتكال

فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فقال له السائل زدني فيه حالة اخرى فقال القاء
النفس في العبودية واخراجها من الربوبية وقال ابرهم الخواص حقيقة التوكل اسقاط الخوف
والرجاء ما سوى الله وقال ابرهيم ايضا كنت في طريق مكة فرايت شخصا وحشيا فقلت اجني ام
انسي فقال بل جني فقلت الى اين قال الى مكة قلت بلا زاد قال نعم فينا ايضا من يسافر على التوكل
فقلت له ما التوكل فقال الاخذ من الله وقال سهل ايضا التوكل هو معرفة معطي الزاد والمخلوقين
ولا يصح لاحد التوكل حتى تكون السما عنده كالصدف والارض كالحديد لا ينزل من السما مطر
ولا يخرج من الارض نبات ويعلم ان الله تعالى لا ينسى له ما ضمن من رزقه بين هذين وقال بعضهم
التوكل هو ان لا تعصي الله من اجل رزقك وقال آخر حسبك من التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا
غير الله ولا لرزقك خازنا غيره ولا لعملك شاهدا غيره وقال الجنيد التوكل ان تقبل بكلتك
على ربك وتعرض عن من دونه وقال سفين الثوري التوكل ان تفني تدبيرك في تدبيره وترضى
بالله وكيلا ومدبرا قال الله عز وجل وكفى بالله وكيلا وقيل التوكل هو اكتفا العبد الذليل
بالرب الجليل كاكتفا الخليل بالجليل حين لم ينظر الى عناية جبريل وقيل التوكل هو السكون
عن الحركات اعتمادا على خالق الارض والسموات وقيل لبهلول المجنون متى يكون العبد موكلا
قال اذا كان بالنفس غريبا بين الخلق وبالقلب قريبا الى الحق وقيل لحاتم الاصم على ما بنيت
امرك من التوكل قال على اربعة خلال علمت ان رزقي ليس يا كله غيري فلست اشتغل به
وعلمت ان عملي لا يعمله غيري فانا مشغول به وعلمت ان الموت ياتي بغتة فانا ابادره وعلمت
اني بعين الله في كل حال فانا استحيي منه وروي عن طاوس رحمة الله عليه انه قال راى اعرابيا
قد جا براحلة له يعني الى حرم مكة فابركها على باب المسجد وعقلها ثم رفع راسه الى السما فقال
اللهم ان هذه الراحلة وما عليها في ضمانك حتى اخرج اليها فخرج الاعرابي وقد اخذت الراحله
وما عليها فرفع طرفه الى السما فقال اللهم ما سرق مني شي وما سرق الا منك قال طاوس
فنحن كذلك مع الاعرابي اذ راينا رجلا على راس ابي قبيس يقود الراحله بيده اليسرى ويده
اليمنى مقطوعة معلقة في عنقه حتى جا الى الاعرابي فقال هاك راحلتك وما عليها فقلنا
له ما حالك قال استقبلني فارس على فرس اشهب في راس ابي قبيس وقال لي يا سارق مد يدك

فمددتها فوضعها على حجر ثم اخذ حجرا فبتكها به اى قطعها وعلقها فى عنقى وقال انزل
فرد الراحلة وما عليها الى الاعرابى والكلام فى معنى التوكل كثير والله اعلم قوله تعالى ان
ينصركم الله يعنى ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل يوم بدر فلا غالب لكم يعنى من
الناس لان الله تعالى هو المتولى نصركم وان يخذلكم كما فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى
انفسكم لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذى ينصركم من بعده اى من بعد
خذلانه وقال بعضهم ايضا فى قوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم اى عليه توكلوا فانه ان يعنكم
ويمنعكم من عدوكم لم تغلبوا وان يخذلكم بتركه من معونته فمن ذا الذى ينصركم من بعده
اى لا ينصركم احد من بعده اى من بعد خذلانه اياكم لانه تعالى قال وان يخذلكم والخذلان
ترك العون والمخذول هو المتروك الذى لا يعبأ به ومنه يقال خذلت الوحشية اذا اقامت
على ولدها فى المرعى وتركت صواحباتها فهى خذول وانشد طرفة ٥

خذول تراعى ربربا بخميله ٭ تناول اطراف البرير وترتدى ٭

ثم قال عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضائه
ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل العبد فى كل اموره على الله تعالى لا على غيره وتقدم الكلام على التوكل
فيما سبق والله اعلم قوله عز وجل وما كان لنبى ان يغل اختلف المفسرون فى سبب نزول
هذه الاية فروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآية نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم
بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فانزل الله عز وجل الاية الى اخرها
اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب قال ابن عطيه قل كانت هذه المقالة
من مومنين لم يظنوا ان ذلك جرحا وقل كانت من المنافقين وقد روى ان المفقود كان سيفا
وروى عن الضحاك انه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلايع فغنم النبى صلى الله عليه وسلم فلم
يقسم للطلايع فانزل الله عز وجل وما كان لنبى ان يغل وروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس رضى الله
عنهما فى قوله وما كان لنبى ان يغل يقول ما كان لنبى ان يقسم لطائفة من المسلمين وترك طائفة
ويجور فى القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بامر الله ويحكم فيه بما انزل الله يقول ما كان الله
ليجهل نبيا يغل من اصحابه فاذا فعل ذلك النبى استتابه وقال مقاتل والكلبى نزلت فى

غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ شيا فهوله وان لا نقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر. فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري. قالوا
يا رسول الله تركنا بقية اخواننا وقوفا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل فلا
نقسم فانزل الله عز وجل هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا انها نزلت في طائفة غلت من اصحابه.
وقيل ان الاقوياء اكبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالونه من المغنم. فانزل الله عز وجل وما
كان لنبي ان يغل. يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين. بل عليه ان يقسم بينهم بالسوية. وقال محمد بن
كعب القرظي ومحمد بن اسحق بن يسار هذا في شان الوحي. يقول تعالى وما كان لنبي ان يكتم شيا
من الوحي رغبة او رهبة او مداهنة. والغلول هو الخيانة. واصله اخذ الشيء في خفية. يقال
غل فلان يغل. قرى وما كان لنبي ان يَغُل بفتح الياء وضم الغين. ومعناه وما كان لنبي ان يخون.
لان النبوة والخيانة لا يجتمعان. لان منصب النبوة اعظم المناصب واشرفها واعلاها فلا يليق
به الخيانة. لانها في نهاية الدناءة والخسة. والجمع بين الضدين محال. فثبت بذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يخن امته في شيء لا من الغنائم ولا من الوحي. وقيل المراد به الامة. لانه قد ثبت
برآءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة. فدل ذلك على ان المراد ما الغلول غيره.
وقيل اللام فيه منقولة. معناه ما النبي ليَغُل. على نفي الغلول عن الانبياء عليهم السلام. وقيل
معناه وما كان يحل لنبي الغلول. واذا لم يحل لم يفعله. وحجة هذه القراءة انهم نسبوا النبي صلى
الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات. فبين الله سبحانه بهذه الآية ان هذه الخصلة لا تليق به.
ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يَغُل. وقرى وما كان لنبي ان يُغَل. بضم الياء وفتح الغين
ولها معنيان. احدهما ان يكون من الغلول ايضا. ومعناه وما كان لنبي ان يُخان. اي تخونه امته.
والثاني ان يكون من الاغلال. ومعناه وما كان لنبي ان يُخَوَّن. اي ينسب الى الخيانة. وقال ابن
السكيت ايضا في معنى القراتين. ما كان لنبي ان يَغُل. ويُغَل. قال في معنى يَغُل يخون اي ينسب الى الغلول.
ثم قيل ان كل من غل شيا في خفا فقد غل يَغُل غلولا. قال ابن عرفة سميت غلولا لان
الايدي مغلولة منها. اي ممنوعة. وقال ابو عبيد الغلول من المغنم خاصة. ولا نراه من

الخيانه ولامن الحقد • ومما يبين ذلك انه يقال فى الخيانه اغَلَّ يُغِلُّ • وفى الحقد غَلَّ يَغِلُّ بالكسر وفى الغلول غَلَّ يَغُلُّ بالضم • واغَلَّ الرجل اذا خان • قال الشاعر

جزا الله عَنا حمزةَ بنَ نوفلٍ ❊ جزا مُغِلٍّ بالامانه كاذب ❊ ٥

وفى الحديث لا اِغْلالَ ولا اِسْلالَ • اى لا خيانة ولا سرقه • ويقال لا رشوة • وقال شرح ليس على المستعير غير المُغِلِّ ضمان • وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلبُ مُومن • قال ومَن رواه بالفتح فهو من الغَضَن • وغَلَّ تارة تتعدى وتاره لا تتعدى يقال غَلَّ فلان المفاوزَ اذا دخلها وتوسطها • وغَلَ من المغنم غلولا اذا خان • ويقال غَلَّ الماء بين الاشجار اذا جرى فيها يَغُلُّ بالضم فى جميع ذلك • وقيل الغلول فى اللغة ان ياخذ من المغنم شيا يستره عن اصحابه • ومنه يقال تغلغل الماء فى الشجر اذا تخللها • والغَلَل هو الماء الجارى فى اصول الشجر لانه مُستتر بالاشجار • ومنه ايضا الغلالة • وهو الثوب الذى يلبس تحت الثياب • والغَالُ ارض مطمئنه ذات شجر ومنابت الساج والطلح يقال لها غال • والغَالُ ايضا نبت • والجمع غُلان بالضم • وقال بعضهم معنى يُغَلَّ اى يُوجَد غالّا • كما تقول احمدتُ الرجل اذا وجدته محمودا • فهذه القراءه على هذا التاويل ترجع الى معنى يَغُلُّ بفتح الياء وضم الغين • ومعنى يُغَلَّ عند جمهور اهل العلم اى ليس لاحد ان يَغُلَّه اى يَخُونه فى الغنيمة • فالاية فى معنى نهى الناس عن الغلول فى الغنايم والتوعد عليه • وكما لا يجوز ان يُخانَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم لا يجوز ان يُخان غيره • وانما خصّ الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم بالذكر لان الخيانة معه اشدّ وقعا واعظم وزرا • لان المعاصى تعظم بحضرته لِتَعَيُّنِ توقيره • واما الوُلاة فانما هم على امر النبى صلى الله عليه وسلم فلهم حَظّهم من التوقير • وقيل معنى يَغُلَّ اى ما غَلَ نبى قط • وليس الغرض النهى • والله اعلم بمراده واسرار كلامه • ثم قال عز من قايل

ومن يَغْلُلْ يَاتِ بما غَلَّ يوم القيامة يعنى بالشى الذى غَلَّه بعينه يحمله على ظهره ورقبته • معذبا بثقله • ومرعوبا بصوته • وموبخا باظهار خيانته على رؤس الاشهاد على ما بينه ان شاء الله • قال العلماء وهذه الفضيحة التى يوقعها الله بالغال نظير الفضيحة التى يوقعها بالغادر فى ان ينصب له لواء عند استه بقدر غدرته • وجعل الله سبحانه هذه المعاقبات على حسب ما

يعهده البشر ويفهمونه الا ترى الى قول الشاعر •

أَسُمَى ويحكِ هل سمعتِ بغدرةٍ • رُفِعَ اللّوآءُ لنا بها في المجمَعِ •

وكانت العرب ترفع للغادر لوآ • وكذلك يُطاف بالجاني مع جنايته

وقيل يمثل له ذلك الشي في النار ثم يقال له انزل فخذه • فينزل فيحمله على ظهره • فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشي في النار ثم يقال له انزل فخذه • فينزل فيحمله على ظهره • فاذا بلغ موضعه وقع ذلك الشي في النار • ثم يقال له انزل فخذه • يُفعل به ذلك ما شا الله تعالى • وقيل معناه ان الغالّ يأتِ باثم ما غله فيجازى به يوم القيامة • قال العلما والغلول كبيرة من الكباير • بدليل هذه الاية • ودليل السنة • وهو ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره • حتى قال لآ اُلفِيَنّ احدكم يجي يوم القيامة على رقبته بعيرا له رغا يقول يا رسول الله اغثني • فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك • لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة • فيقول يا رسول الله اغثني • فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك • لا الفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغا • يقول يا رسول الله اغثني • فاقول لا املك لك من الله شيا قد ابلغتك • لا اُلفين احدكم يجي يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح • فيقول يا رسول الله اغثني • فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك • لآ الفينّ احدكم يجي يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق • فيقول يا رسول الله اغثني • فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك • لا الفينّ احدكم يجي يوم القيامة على رقبته صامت • فيقول يا رسول الله اغثني • فاقول لا املك لك شيا قد ابلغتك • رواه مسلم • وغيره الرغا صوت البعير • والثغا صوت الشاة • والرقاع الثياب • والصامت الذهب والفضة • وفي الصحيحين عن ابي هريرة ايضا قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر • ففتح الله علينا • فلم نغنم ذهبا ولا ورقا • غنمنا المتاع والطعام والثياب • ثم انطلقنا الى الوادي • يعني وادي القرى • ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة ابن زيد من بني الضبيب • فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه • فقلنا هنيا له الشهادة يا رسول الله • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفس محمد بيده • ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنايم يوم خيبر لم تصبها

المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال اصبتها يوم خيبر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه
عبد فقال له مدعم اهداه له احد بني الضباب وفيه اذ جاءه سهم عاير ٥ والشراك
هو سير النعل الذي يكون على ظهر القدم ومثله شسع النعل ٥ والسهم العاير هو
السهم الذي لا يدري من رماه وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
قال كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها وعن زيد بن خالد
الجهني رضي الله عنه ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي فذكروه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل
في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين رواه ابو داود
والنسائي وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا
متاعه واضربوه رواه ابو داود والترمذي وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد في روايه ومنعوه
سهمه رواه ابو داود قال العلما رضي الله عنهم فقول النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
وامتناعه من الصلاة على من غل دليل على تعظيم الغلول وتعظيم الذنب فيه وانه من الكبائر وهو
من حقوق الادميين ولا بد فيه من القصاص بالحسنات والسيئات ثم صاحبه في المشيئة وقوله
شراك او شراكان من نار مثل قوله ادوا الخايط والمخيط وهذا يدل على ان القليل والكثير لا
يحل اخذه في الغزو قبل المقاسم الا ما اجمعوا عليه من اكل الطعام في ارض العدو ومن الاحتطاب
والاصطياد وروي عن الزهري انه قال لا يوخذ الطعام في ارض العدو الا باذن الامام وهذا
لا اصل له لان الآثار تخالفه على ما اتى بيانه وقال الحسن كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا افتتحوا المدينة او القطر اكلوا من السوق والدقيق والسمن والعسل وقال ابرهيم
النخعي كانوا ياكلون من الطعام في ارض الحرب ويعلفون قبل ان يخمسوا وقال عطا في الغزاة
يكونون في السريه فيصيبون انحاء السمن والعسل والطعام قال ياكلون وما بقي ردوه الى امامهم

وعلى هذا اجماعة العلماء وفى هذا الحديث دليل على ان الغال لا يحرق متاعه لان النبى صلى
الله عليه وسلم لم يحرق متاع رحل الذى اخذ الشملة ولا متاعه ولا احرق متاع صاحب الخرزات
الذى ترك الصلاة عليه ولو كان تحريق متاعه واجبا لفعله صلى الله عليه وسلم ولو فعله لنقل
ذلك فى الحديث وهذا مذهب طائفة من العلماء قالوا واما الحديث الذى رواه ابو داود والترمذى
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وجدتم الرجل قد غل فاحرقوا
متاعه واضربوه فهو ضعيف لا يحتج به قال الترمذى سالت محمدا يعنى البخارى عن هذا الحديث
فقال انما روى هذا صالح بن محمد وهو ابو واقد الليثى وهو منكر الحديث وروى ابو داود عنه ايضا
قال غزونا مع الوليد بن هشام ومعنا سالم بن عبد الله بن عمر وعمر بن عبد العزيز فغل
رجل متاعا فامر الوليد بمتاعه فاحرق وطيف به ولم يعطه سهمه قال ابو داود وهذا
اصح الحديثين وروى من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه وتقدم ايضا من رواية عبد الله بن عمرو قال ابو داود
وزاد فيه على بن بحر عن الوليد ولم اسمعه منه ومنعوه سهمه وتقدم قال ابن عبد البر
قال بعض رواة هذا الحديث فاضربوا عنقه واحرقوا متاعه وهذا الحديث يدور على محمد
ابن صالح وليس ممن يحتج به وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل دم امرئ مسلم
الا باحدى ثلاث وهو نفى القتل فى الغلول وروى ابن جريج عن ابى الزبير عن جابر رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس على الخائن ولا على المنتهب ولا المختلس قطع وهذا يعارض
حديث صالح بن محمد وهو اقوى من جهة الاسناد والغال خائن فى اللغة والشريعة واذا انتفى عنه
القطع فاحرى ان ينتفى القتل وقال الطحاوى لو صح حديث صالح المذكور لاحتمل ان يكون حين
كانت العقوبات فى الاموال كما قال فى مانع الزكوة انا آخذها وشطر ماله عزمة من عزمات الله
وكما قال ابو هريرة فى ضالة الابل المكتومة فيها غرامتها ومثلها معها وكما روى عبد الله بن عمرو
ابن العاص فى الثمر المعلق غرامة مثليه وجلدات نكال وهذا كله منسوخ فاذا غسل
الرجل فى المغنم ووجد اخذ منه وادب وعوقب بالتعزير عند الامام ابى حنيفة والامام مالك
والامام الشافعى واصحابهم والليث بن سعد ولا يحرق متاعه وقال الامام الشافعى والليث وداود

ان كان عالما بالنهى عوقب • وقال الاوزاعى يحرق متاع الغال كله الا سلاحه وشابه الى عليه وسرجه • ولا تنزع منه دابته • ولا يحرق الشى الذى غل • وهذا قول الامام احمد واسحق وبه قال الحسن الا ان يكون حيوانا او مصحفا • وروى ان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما ضربا الغال واحرقا متاعه • قال ابن عبد البر ومن قال بتحريق رحل الغال ومتاعه مكحول • وسعيد بن عبد العزيز وحجة من ذهب الى هذا حديث صالح المذكور • وهو حديث لا يجب به انتهاك حرمة ولا انفاذ حكم لما يعارضه من الآثار التى هى اقوى منه • وما ذهب اليه الائمة الثلاثة ومن تابعهم فى هذه المسئلة اصح من جهة النظر • وصحيح الاثر • والله اعلم • ولم يختلف مذهب الامام مالك فى العقوبة على البدن • فاما فى المال فقال فى الذمى يبيع الخمر من المسلم يراق الخمر على المسلم وتنتزع الثمن من يد الذمى عقوبة له ليلا يبيع الخمر من المسلمين • فعلى هذا يجوز ان يقال بجواز العقوبة فى المال • وقد اراق عمر رضى الله عنه لبنا شيب بماء • والله اعلم • واجمع العلماء على ان على الغال ان يرد ما غل الى صاحب المقاسم قبل ان تفرق الناس ان وجد السبيل الى ذلك • وانه اذا فعل ذلك فهى توبة له وخروج عن ذنبه • واختلفوا فيما يفعل به اذا افرق العسكر ولم يصل اليه • فقال جماعة من اهل العلم يدفع الى الامام خمسه ويتصدق بالباقى • وهذا مذهب الزهرى • والامام مالك • والاوزاعى • والليث • وسفين الثورى • وهو مروى عن عبادة بن الصامت ومعاوية • والحسن البصرى • وهو شبيه مذهب ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما • لانهما كانا يريان ان يتصدق بالمال الذى لا يعرف صاحبه • وهو مذهب الامام احمد بن حنبل • وقال الامام الشافعى له الصدقة بمال غيره • قال ابن عبد البر وهذا عندى فيما اذا امكن وجود صاحبه والوصول اليه او الى ورثته • واما اذا لم يمكن شى من ذلك فان الامام الشافعى لا يكره الصدقة حينئذ ان شاء الله • وقد اجمعوا فى اللقطة على جواز الصدقة بها بعد التعريف وانقطاع صاحبها • وجعلوه اذا جاء مخيرا بين الاجر وبين الضمان • وكذلك الغصوب • وبالله التوفيق • وفى تحريم الغلول دليل على اشتراك الغانمين فى الغنيمة • فلا يحل لاحد ان يستاثر بشى منها دون الاخر • ممن غصب منها شيأ ادب اتفاقا على ما تقدم • ومن الغلول ايضا هدايا العمال • وحكمه فى الفضيحة فى الاخرة حكم الغال • ويدل على ذلك ما روى ابو داود فى سننه • ومسلم فى صحيحه عن ابى

حميد الساعدي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من الاسد يقال
له ابن اللتبية • قال ابن السراج ابن الأتبية على الصدقة • فجآ فقال هذا لكم وهذا اهدي لي •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا جلس في بيت امه وابيه فينظر ايهدى اليه ام لا • لا ياتي
احد منكم بشيء من ذلك الا جآ به يوم القيامة • ان كان بعيرا فله رغآ • وان كان بقرة فلها خوار • او
شاة تيعر • ثم رفع يديه حتى راينا عفرة ابطيه • ثم قال اللهم هل بلغت • اللهم هل بلغت •
وروى ابو داود عن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من استعملناه على
عمل فرزقناه رزقا فما اخذ بعد ذلك فهو غلول • وروى ايضا عن ابي مسعود الانصاري
رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعيا • ثم قال انطلق يا مسعود لا الفينك
يوم القيامة تجيء على ظهرك بعير من الصدقة له رغآ قد غللته • قال اذا لا انطلق • قال اذا
لا اكرهك • وقد قيد هذه الاحاديث ما رواه ابو داود ايضا عن المستورد بن شداد رضي
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة •
فان لم يكن له خادم فليكتسب خادما • فان لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا • قال فقال ابو بكر
رضي الله عنه اخبرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتخذ غير ذلك فهو سارق • والله اعلم •
ومن الغلول ايضا حبس الكتب عن اصحابها • ويدخل غيرها في معناها • قال الزهري اياك
وغلول الكتب فقيل له وما غلول الكتب • قال حبسها على اصحابها • وقد قيل في تاويل قوله
تعالى وما كان لنبي ان يغل • يعني ان يكتم شيا من الوحي رغبة او رهبة او مداهنة • وذلك انهم
كانوا يكرهون ما في القران من عيب دينهم وسب الهتهم • فسالوه ان يطوي ذلك • فانزل الله عز وجل
هذه الاية • وهذا قول محمد بن سيار • والذي ذكرناه اولا قول الجمهور • والله تعالى هو الهادي • ثم قال
عز وجل ثم توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر • والمعنى ان كل كاسب خيرا كان ذلك الكسب
او شرا فهو مجزي به يوم القيامة ويوفى جزآ عمله وهم لا يظلمون يعني بان يعدل بينهم يوم
القيامة في الجزآ فيجازي كل على عمله • وتقدم بعض الاحاديث التي وردت في الغلول ووعيد
الغال • ومنها ايضا ما روى ابو داود عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اصاب غنيمة امر بلالا فنادى في الناس فيجيون بغنايمهم فيخمسه ويقسمه • فجآ

رجل يوما بعد النداء بزمام من شعر فقال يا رسول الله هذا كان فيما اصبناه من الغنيمة فقال
اسمعت بلالا ينادي ثلاثا قال نعم قال فما منعك ان تجيء به فاعتذر اليه فقال كلا انت تجيء
به يوم القيامة فلن اقبله عنك ورواه ابن حبان ايضا وعن حبيب بن سلمة قال سمعت ابا
ذر رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تغل امتي لم يقم لهم عدو ابدا قال
ابو ذر لحبيب بن سلمة هل يثبت لكم العدو وحلب شاة قال نعم وثلاث شياه غزر
قال ابو ذر غللتم ورب الكعبة رواه الطبراني وعن ابي رافع رضي الله عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى العصر ذهب الى بني عبد الاشهل فتحدث عندهم حتى يخدر
للمغرب قال ابو رافع فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يسرع الى المغرب مررنا بالبقيع فقال
اف لكم اف لكم قال فكبر ذلك في ذرعي فاستاخرت وظننت انه يريدني فقال مالك
امش قلت أحدث حدث يا رسول الله قال وما ذاك قلت افقدتني قال لا ولكن هذا فلان
بعثته ساعيا على بني فلان فغل نمرة فدرع مثلها من نار رواه النسائي وابن خزيمة
قوله فكبر ذلك في ذرعي بالذال المعجمة المفتوحة بعدها راء ساكنة اي عظم عندي موقعه
وقوله فغل نمرة النمرة بفتح النون وكسر الميم بردة من صوف يلبسها الاعراب وقوله فدرع
بالدال المهملة المضمومة اي جعل له درع مثلها من نار وعن ثوبان رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من جا يوم القيامة بريا من ثلاث دخل الجنة الكبر
والغلول والدين رواه النسائي وغيره وعن ابي حازم قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بنطع من الغنيمة فقيل يا رسول الله هذا لك تستظل به من الشمس قال اتحبون ان يستظل
بيتكم بظل من نار يوم القيامة رواه الطبراني وابو داود في مراسيله وليس فيه يوم القيامة
والله تعالى اعلم قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله يعني فترك الغلول فلم يغل كمن باء بسخط
من الله اي رجع بغضب من الله والمعنى فغل والسخط هو الغضب الشديد المقتضي للعقوبة وهو
من الله تعالى انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
امر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم احد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين
فاخبر الله تعالى بحال من اتبعه بقوله افمن اتبع رضوان الله وبحال من تخلف عنه كمن باء بسخط من الله
(يعني م)

وماواه جهنم وبئس المصير يعني القاتل او المتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم هم درجات
عند الله يعني هم ذوو درجات عند الله او على درجات او في درجات او لهم درجات واهل النار
ايضا ذو درجات كما قال صلى الله عليه وسلم في حق عمه ابي طالب وجدته في غمرات من النار
فاخرجته الى ضحضاح فالمومن والكافر لا يستويان في الدرجة ثم المومنون مختلفون ايضا فبعضهم
ارفع درجة من بعض وكذلك الكفار والدرجة هي الرتبة ومنه الدرج لانه يطوى رتبه بعد
رتبه والاشهر في منازل جهنم دركات كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
فلمن لم يجعل درجات في الجنة ولمن جعل دركات في النار وقال ابو عبيد جهنم ادراك اي منازل
يقال لكل منزل منها دَرَك ودَرْك والدَرَك الى اسفل والدرج الى اعلا وقال ابن عباس رضي الله
عنهما يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان
الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط
من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات
عايد على قوله افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب
والدركات لاهل العذاب كما بيناه ولان الله تعالى وصف من باء بسخط من الله ان ماواه جهنم وبئس
المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير
من العمل بمعاصيه والله بصير بما يعملون فيجازي كلا بما استحقه قوله عز وجل
لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم قال المفسرون من الله تعالى في هذه الاية
منته على المومنين اذ بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من انفسهم يعني احسن اليهم وتفضل عليهم
والمنة هي النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا لله تعالى ومنه قوله تعالى لقد من الله على
المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشا بينهم يعرفون
نسبه وقال بعضهم ايضا المعنى في المنة فيه اقوال منها ان يكون معنى من انفسهم انه بشر
مثلهم فلما اظهر البراهين وهو بشر مثلهم علم ان ذلك من عند الله وقيل معنى من انفسهم اي منهم
فشرفوا به صلى الله عليه وسلم فكانت تلك هي المنة وقيل من انفسهم ليعرفوا حاله ولا يخفى عليهم
طريقته واذا كان محله فيهم هذا كانوا احق بان يقاتلوا عنه ولا ينهزموا دونه وقرى

فى الشواذ رسولا من انفسهم بفتح الفا يعنى من اشرفهم لانه من بنى هاشم وبنو هاشم افضل من قريش
وقريش افضل من سائر العرب ثم قيل لفظ المومنين عام ومعناه الخصوص فى العرب لانه ليس
حى من احيا العرب الا وقد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب الا بنى تغلب فانهم
كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية فطهر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم
نسب وبيان هذا التاويل قوله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم وروى الزهرى عن
عروة عن عائشة رضى الله عنها لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا قال هذه للعرب
خاصة وقيل اراد سبحانه بالمومنين جميع المومنين ومعنى قوله من انفسهم اى بالايمان والشفقة
لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بنى ادم وقيل من انفسهم يعنى انه من ولد اسمعيل
ابن ابرهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ووجه المنة والانعام على المومنين بعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب العظيم ويوصلهم الى الثواب فى جنات
النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم
وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك اقرب الى تصديقه
والوثوق به وفى كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم وروساء
مضر فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابرهيم وزرع اسمعيل وضيضى معد
وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا
وجعلنا الحكام على الناس وان ابنى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد
هذا له نبا عظيم وخطب جليل وقيل فى وجه المنة بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان
الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم
واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة
وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المومنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون
غيرهم وقوله تعالى يتلوا عليهم اياته يعنى يقرا عليهم كتابه الذى انزل عليه بعد ان كانوا اهل
جاهلية لم يطرق اسماعهم شى من الوحى السماوى ويزكيهم اى ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة

المحرمات والخبائث ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني القران والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه
صلى الله عليه وسلم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني وان كانوا من قبل بعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم لفي حماقة وحيرة عن الهدى عميًا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم
صلى الله عليه وسلم لفي حماقة وحيرة عن الهدى عميًا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم
الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى اولما اصابتكم مصيبة قال العلماء المراد ما
اصاب المومنين يوم احد قد اصبتكم مثليها يعني ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم
احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين
هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم المشركون
فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة قلتم انى هذا اى قلتم يا معشر المسلمين
من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا وهذا استفهام
انكار اى من اين اصابنا هذا القتل والانهزام ونحن نقاتل في سبيل الله ونحن مسلمون وفينا
النبي والوحي وهم مشركون قل هو من عند انفسكم يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشوم ذنوبكم
وهو مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من قوم اطاعوا نبيهم في حرب الا نصروا لانهم
اذا اطاعوا فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون قال العلماء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختار الاقامة في المدينة على الخروج الى العدو واختاروا هم الخروج اليه وايضا امر الرماة
بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوه وتركوا المركز لاجل الغنيمة فكان ذلك سبب القتل
والهزيمة وروى عبيدة السلماني عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى وقد
امرك ان تخيرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم
فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا بل ناخذ
فداهم فنتقوى به على قتال عدونا ونستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد
اسارى اهل بدر وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الاسارى يوم بدر ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالفداء واستشهد
منكم بعدتهم وكان آخر السبعين ثابت بن قيس بن شماس قتل يوم اليمامة فذلك معنى قوله تعالى

قد

قل هو من عند انفسكم يعنى باخذكم الفدآ واختياركم القتل لانفسكم ان الله على كل شى قدير
يعنى من نصركم مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل وما اصابكم يعنى
من القتل والجراح والهزيمة يوم التقى الجمعان يعنى جمع المومنين وجمع المشركين وذلك باحد
يوم احد فباذن الله يعنى فبعلمه وقضايه وقدره وحكمه وفى هذا تسلية للمومنين بما
حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولا تقع التسلية الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا بقضآ الله
وقدره فحينيذ يرضون بما قضى الله عليهم وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا اى ليظهر ايمان
المومنين ثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد بالعلم
المعلوم والتقدير لتتبين المومن من المنافق وليتميز احدهما من الآخر والمنافق هو الذى
اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاق المنافق من النفق وهو السرب فى الارض النافذ
ومنه يقال نافق اليربوع لان له جحرا فى الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الآخر
وكذلك المنافق صنع له طريقين احدهما اظهار الايمان بلسانه والآخر اضمار الكفر بقلبه
من ايهما طلب خرج من الآخر وقيل لانه دخل فى الايمان من باب وخرج من باب آخر والنفاق
اسم اسلامى لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا
والمقول له هو عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
خرج الى احد فى الف رجل حتى اذا كان بالشوط بين احد والمدينة انخذل عبد الله بن ابى بثلث
الناس وقال ما ندرى على ما نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم ابو جابر عبد الله
ابن عمرو بن حرام الانصارى اخو بنى سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور
عدوهم فذلك قول الله تعالى وقيل لهم يعنى للمنافقين عبد الله بن ابى واصحابه تعالوا قاتلوا
فى سبيل الله اى لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا يعنى عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا
كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو قالوا يعنى المنافقين لو
نعلم قتالا لاتبعناكم اى لو نعلم ان اليوم يجرى فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما
اتبعوهم وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما اتبعوهم وهم للكفر
يعنى المنافقين الى الكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اى الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم

قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما اظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا
لاتبعناكم. وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويضمرون الكفر يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم يعني يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر والنفاق
وهذه صفة المنافقين لا صفة المومنين لان صفة المومن المخلص مواطاة القلب للسان على شيء واحد
وهو التوحيد والله اعلم بما يكتمون يعني من النفاق الذين قالوا لاخوانهم قال العلماء نزلت في
عبد الله بن ابي المنافق واصحابه وفي المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم الذين
استشهدوا باحد. فيكون اخوانهم في النسب لا في الدين. والقول الثاني ان المراد باخوانهم
المنافقين. فعلى القول الاول يكون معنى الآية الذين قالوا في اخوانهم او عن اخوانهم الذين قتلوا
باحد لو اطاعونا ما قتلوا. لانهم يحدثان قتلوا لا يخاطبون. وعلى القول الثاني يكون معنى الآية
الذين قالوا وهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم يعني في النفاق وقعدوا يعني عن الجهاد.
لو اطاعونا يعني هؤلاء الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اطاعونا يعني في القعود
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانصراف عنه ما قتلوا يومئذ. فرد الله عز وجل عليهم بقوله
قل يعني قل لهم يا محمد فادرءوا اي فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين يعني ان الحذر لا
ينفع من القدر. وفي هذه الآية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا لمن زعم ان القتل
قطع على المقتول اجله. فبين الله سبحانه في هذه الآية ان الحذر لا ينفع من القدر. وان المقتول قتل
باجله. وما علم الله تعالى واخبر به فهو كائن لا محالة. وقيل ان اليوم الذي قال فيه المنافقون
هذه المقالة مات سبعون منافقا. قال ابو الليث السمرقندي سمعت بعض المفسرين يسمر قند
يقول لما نزلت هذه الآية قل فادرءوا عن انفسكم الموت مات يومئذ سبعون نفسا من المنافقين.
قوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا قال المفسرون لما بين الله سبحانه
ان ما جرى للمومنين يوم احد كان امتحانا ليتميز المنافق من الصادق. بين ثواب من لم ينهزم وقتل
شهيدا وما له من الكرامة والحياة عنده بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الآية. وقيل
ان الآية نزلت في شهداء بدر. وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين. وثمانية من الانصار.
وقال اكثر المفسرين انها نزلت في شهداء احد. ويدل على ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما اصيب اخوانكم ما احد جعل الله ارواحهم
في جوف طير خضر ترد انهار الجنة تاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب معلقه في ظل
العرش فلما وجدوا طيب ما كلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا اننا احيا
في الجنة ليلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم وانزل الله
عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم الى آخر الاية اخرجه
ابو داود وروى مسلم عن مسروق رضي الله عنه قال سالنا عبد الله عن هذه الاية ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سالنا عن ذلك فقال ارواحهم
في جوف طير خضر لها قناديل معلقه بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوى الى تلك
القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح
من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما راوا انهم لن يتركوا من ان يسالوا قالوا
يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم
حاجة تركوا هو ذكر ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق سالنا عبد الله كذا جا
عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمر وقد ذكره ابو مسعود الدمشقي
والحميدي في مسنده عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله اما
انا قد سالنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة
مخلوقة الآن خلافا للمعتزلة لقول النبي صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهذا
مذهب اهل السنة وفيه ايضا دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفنا الجسد وان المحسن منعم
ومجازى بالثواب وان المسيء معذب ومجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة
ايضا وقوله ارواحهم في جوف طير خضر اي يجعل الله ارواح الشهدا في اجواف طير خضر
وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب
من الارواح جزء من الجسد يبقى فيه الروح وهو الذي تتلذذ بالنعيم وتتالم بالعذاب فغير
مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طايرا ويجعل في جوف طير فتسرح في الجنة وتاوي الى
تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول ما سقط الارواح

وبنعيمها في الصور الحسان المرفهة وبتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان
هذا هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول
من ابطال ما جاءت به الشرايع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جا في بعض
روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيي
جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله اعلم وروى بقي بن مخلد عن جابر رضي الله
عنه قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول الله
استشهد ابي يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى قال
ما كلم الله احدا قط الا من ورا حجاب وانه احيا اباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن علي اعطيك
قال يا رب تحييني فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان
الآية نزلت في شهدا بير معونة وهي بير بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن وتقدمت
قصة اصحاب بير معونة وقيل ان اوليا الشهدا واهليهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا
على الشهدا وقالوا نحن في النعمة والرخا وآباونا وابناونا واخواننا في القبور فانزل الله عز وجل
هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا يعني كاموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله بل احيا اي بل هم احيا
وظاهر الآية يدل على كون من قتل في سبيل الله حي فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون احيا
في الآخرة او يكون المراد انهم احيا في الحال وعلى تقدير انهم احيا في الحال هل يكون المراد اثبات
الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في معنى احتمال الحياة فمن
قال بالوجه الاول وهو انهم سيصيرون احيا في الآخرة قال معنى الآية بل هم احيا في الذكر وانهم
يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم احيا في الدين وهذا القول ليس
بصواب لان الله تعالى اثبت لهم الحياة في الحال بقوله بل احيا يعني في حال ما يقتلوا فانهم يحيون
وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح او للجسم والروح معا فمن اثبت
الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ارواح الشهدا في حواصل

طير

طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهدا تركع وتسجد
كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه
سياق الآية وهو قوله عند ربهم يرزقون فاخبر سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون وينعمون
كالاحيا وقال ان الشهيد لا يبلى في قبره ولا ياكله الارض كغيره وروى انه لما اراد معوية
ان يجري الماء على قبور الشهدا امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع
قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث
دما وروى عن عبيد الله بن عمير رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف
من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المومنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد انهؤلا شهدا عند الله يوم القيامة
فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه
وقال بعض المفسرين ايضا في معنى الاية ان الله تبارك وتعالى قد اخبر عن الشهدا انهم احيا في الجنة
يرزقون ولا محالة انهم ماتوا وان اجسادهم في التراب وارواحهم حية كارواح سائر المومنين
وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كان حياة الدنيا دائمة لهم وقد اختلف
العلما في هذا المعنى فالذي عليه المعظم ما ذكرنا وان حياة الشهدا محققة ثم منهم من يقول
ترد اليهم الارواح في قبورهم فينعمون كما حي بالنار الكفار في قبورهم فيعذبون وقال
مجاهد انهم يرزقون من ثمر الجنة اي يجدون ريحها وليسوا فيها وقال قوم ان هذا على سبيل
المجاز والمعنى انهم في حكم الله مستحقون للنعيم في الجنة وهذا كما تقال لما مات فلان اي ذكره
حي كما قال الشاعر

موت التقي حياة لا فنا لها ٭ قد مات قوم وهم في الناس احيا

فالمعنى انهم يرزقون الثنا الجميل وقال جمهور العلما ان ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم
في الجنة يرزقون ويأكلون وينعمون وهذا القول هو الصحيح وقد قيل انه يكتب لهم في كل
سنة ثواب غزوة ويشركون في ثواب كل جهاد كان بعدهم الى يوم القيامة لانهم سنوا امر
الجهاد وقال ان ارواحهم تركع وتسجد تحت العرش الى يوم القيامة كارواح احيا المومنين

الذين باتوا على وضوء وقيل لان الشهيد لا يبلى في القبر ولا ياكله الارض وقد ذكرنا هذا
المعنى وقالوا ان الارض لا ياكل اجساد الانبيا والشهدا والعلما والمؤذنين المحتسبين وحملة
القران قال العلما واذا كان الشهيد حيا حكما فلا يصلى عليه كالحي حسا وقد اختلف
العلما في غسل الشهدا والصلاة عليهم فذهب الامام ابو حنيفة والامام مالك والامام الشافعي
وسفين الثوري الى غسل جميع الشهدا الا قتيل المعركة في قتال المشركين خاصة لما روى جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفنوهم في دمايهم يعني يوم احد
ولم يغسلهم رواه البخاري وروى ابو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقتلى احد ان ينزع عنهم الحديد والجلود وان يدفنوا بثيابهم ودمايهم وبه
قال الامام احمد واسحق والاوزاعي وداود بن علي وفقهاء الامصار واهل الحديث وقال
سعيد بن المسيب والحسن يغسلون قال احدهما انما لم يغسل شهدا احد لكثرتهم وللشغل عنهم
قال ابن عبد البر ولم يقل احد من فقهاء الامصار بقول سعيد والحسن الا عبيد الله بن الحسن
العنبري وليس ما ذكروه من الشغل عن غسل شهدا احد علة لان كل واحد من الشهدا كان له
ولي يشتغل به ويقوم بامره وانما العلة في ذلك والله اعلم ما جا في الحديث في دما الشهدا
انها تاتي يوم القيامة كريح المسك فظهر بهذا ان العلة ليست الشغل كما زعم من قال ذلك وليس
لهذه المساله مدخل في القياس والنظر وانما هي مساله اتباع الاثر الذي نقله الكافة في قتلى
احد بانهم لم يغسلوا وقد اختلفوا ايضا في الصلاة عليهم فذهب الامام مالك والليث بن سعد
والامام الشافعي والامام احمد وداود الى انه لا يصلى عليهم لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران فاذا اشير له
الى احدهما قدمه في اللحد وقال انا شهيد على هولا يوم القيامة وامر بدفنهم في ثيابهم ولم
يغسلوا ولم يصل عليهم وقال فقهاء الكوفة والبصرة والشام يصلى عليهم وروا في ذلك احاديث
كثيرة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على حمزة يوم احد وعلى من استشهد معه في ذلك اليوم
واجمع العلما على ان الشهيد اذا حمل من المعركة حيا ولم يمت وعاش واكل فانه يصلى عليه
واختلفوا في من قتل مظلوما كقتيل الخوارج وقطاع الطريق وشبه ذلك فقال الامام ابو

حنيفة وسفين الثوري كل من قتل مظلوما لم يغسل وانكنه يصلى عليه وعلى كل شهيد هذا
قول سايرا هل العراق وروينا من طرق كثيرة صحاح عن زيد بن صوحان وكان قتل يوم الجمل
انه قال لا تنزعوا عني شيئا ولا تغسلوا عني دما وثبت عن عمار بن ياسر رضي الله عنه انه قال
مثل قول زيد بن صوحان وقتل عمار بصفين ولم يصل عليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وللامام الشافعي فيهم قولان احدهما يغسل جميع الموتى الا من قتله اهل الحرب وهذا
قول الامام مالك قال لا يغسل من قتله الكفار ومات في المعركة وكل قتيل قتله الكفار غير
قتيل المعركة فانه يغسل ويصلى عليه وهذا قول الامام احمد بن حنبل والقول الثاني للامام
الشافعي ان قتيل البغاة لا يغسل وانه يصلى عليه وقول الامام مالك يدل على ان غسل الموتى
قد ثبت بالاجماع ونقل الكافة فواجب غسل كل ميت الا من اخرجه اجماع او سنة ثابتة
والله اعلم وقالوا ايضا العدو اذا صبح قوما في موضعهم ولم يعلموا به فقتل منهم هل
يكون حكمه حكم قتيل المعركة او حكم سايرا الموتى ففيه خلاف ايضا والله اعلم قال العلماء
وهذه الآية تدل على عظم ثواب القتل في سبيل الله والشهادة فيه حتى انه يكفر الذنوب كلها قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم القتل في سبيل الله يكفر كل شيء الا الدين كذلك قال لي جبريل عليه
السلام آنفا قال العلماء وذكر الدين تنبيه على ما في معناه من الحقوق المتعلقة بالآدمي
كالغصب واخذ المال الباطل وقتل العمد وجراحه وغير ذلك من التبعات فان كل هذا اولى
ان لا تغفر بالجهاد من الدين فانه اشد والقصاص في هذا كله بالحسنات والسيئات
حسب ما وردت به السنة الثابتة عن عبد الله بن انيس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول يحشر العباد او قال الناس شك همام وأومأ بيده الى الشام عراة غرلا
بهما قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب انا الملك
انا الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة واحد من اهل النار يطلبه بمظلمة
حتى اللطمة قال فلنا كيف وانما نأتي الله عراة حفاة غرلا قال بالحسنات والسيئات
اخرجه الحارث بن ابي اسامة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس

من املى من ماتى يوم القيامة صلاة وصيام وزكاة وماتى وقد شتم هذا وقذف هذا واكل
مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار وقال
صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو ان رجلا قتل فى سبيل الله ثم احيى ثم قتل ثم احيى ثم
قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نفس المؤمن معلقة ما كان عليه دين قال احمد بن عبيد سمعت يحيى بن
معين عن هذا الحديث فقال هو صحيح فان قيل فهذا يدل على ان بعض الشهداء لا يدخلون
الجنة من حين القتل ولا تكون ارواحهم فى جوف طير كما ذكرتم ولا يكونون فى قبورهم
فاين يكونون قيل قد ورد فى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ارواح الشهداء على نهر
بباب الجنة تغدو له بارقة تخرج عليه رزقه من الجنة بكرة وعشيا فلعلهم هؤلاء والله اعلم
وهذا قال الامام ابو محمد بن عطية رحمه الله ان هؤلاء طبقات ولهم احوال مختلفة يجمعها
انهم يرزقون وقد اخرج الامام ابو عبد الله محمد بن ماجة القزوينى فى سننه عن سليم
ابن عامر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شهداء البحر مثل شهداء
البر والمائد فى البحر كالمتشحط فى دمه فى البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا فى طاعة
الله وان الله وكل ملك الموت بقبض الارواح الا شهيد البحر فانه تعالى يتولى قبض ارواحهم
ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها الا الدين وشهيد البحر الذنوب كلها والدين قال العلماء
والدين الذى يحبس به صاحبه عن الجنة والله اعلم هو الذى قد ترك له وفاء ولم يوص به او كان
قادرا على الاداء فلم يوده او اداه فى سفه او فى سرف ومات ولم يوفه واما من اداه
فى حق واجب لفاقة وعسر ونفقة عيال وسد خلة ومات ولم يترك وفاء فان الله لا يحبسه
عن الجنة ان شاء الله لان على السلطان فرضا ان يؤدى عنه دينه اما من جملة الصدقات
او من سهم الغارمين او من الفىء الراجع على المسلمين والدليل ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال من ترك دينا او ضياعا فعلى الله ورسوله ومن ترك مالا فلورثته والله اعلم رجعنا
الى التفسير وقوله تعالى عند ربهم يعنى فى محل كرامته وفضله يرزقون يعنى من ثمار

الجنة وتحفها. قال العلما وفي قوله عند ربهم حذف مضاف: تقديره عند كرامة ربهم.
وعند هنا تقتضي القرب. وقال سيبويه فهذه عند يّة الكرامة لا عند يّة القرب والمسافة
ويرزقون هذا الرزق المعروف في العادات. ومن قال هي حياة الذكر قال يرزقون الثنآ
الجميل. والاول هو الحقيقه. وقد قيل ان الارواح تدرك في تلك الحال التي يسرّون فيها
من روائح الجنة وطيبها ونعيمها وسرورها ما يليق بالارواح مما تترفّ وتتنعّش به.
واما اللذات الجسمانيه فاذا اعيدت تلك الارواح الى اجسادها استوفت من النعيم جميع
ما اعدالله لها. وهذا قول حسن. وان كان فيه نوع من المجاز فهو موافق لما اخبرناه. والموفق
هو الاله. وقوله فرحين بما اتاهم الله من فضله يعني بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان
والافضال في دار النعيم. وقرا ابن السميفع فارحين بالالف. وهما لغتان كالفَرِه والفاره.
والحذِرِ والحاذِر. والطمِع والطامع. والبَخِل والباخل. وقوله ويستبشرون اي
يفرحون. والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للانسان عند البشارة بالذين لم يلحقوا
بهم من خلفهم يعني من اخوانهم الذين تركوهم احيآ في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم
اذا استشهدوا والحقوا بهم. ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا فهم بذلك مستبشرين. وقيل
ان الشهدآ سالوا الله عز وجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد.
فاخبرهم الله عز وجل اني قد انزلت على نبي محمد صلى الله عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه
من الكرامة. وان نبي محمد صلى الله عليه وسلم قد اخبر اخوانكم بذلك. ففرحوا بذلك واستبشروا.
وقال السدي يوتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من اخوانه فيستبشر كما يستبشر
اهله يقدومه في الدنيا. وقال قتادة وابن جريج والربيع وغيرهم استبشارهم بانهم
يقولون اخواننا الذين تركنا خلفنا في الدنيا نقاتلون في سبيل الله مع نبيهم فيُستشهَدون
فينالون من الكرامة مثل ما نحن فيه فيُسرّون ويفرحون لهم بذلك. وقيل ان الاشارة
بالاستبشار للذين لم يلحقوا بهم الى جميع المومنين. وان لم يقتلوا. لكنهم لما عاينوا ثواب الله وقع
اليقين بان دين الاسلام هو الحق الذي يثيب الله عليه. فهم فرحون لانفسهم بما آتاهم الله من
فضله مستبشرون للمومنين بان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. والى هذا المعنى ذهب الزجاج

وان فوركل والله اعلم وقوله الآخوف عليهم يعنى فى الآخره ولاهم يحزنون يعنى على ما فاتهم
من نعيم الدنيا يستبشرون بنعمة من الله وفضل قال العلماء بين الله عز وجل ان
الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فهم ايضا يستبشرون لانفسهم بما رزقوا من
النعيم والفضل فالاستبشار الاول كان بغيرهم والاستبشار الثانى لانفسهم خاصة وقوله
يستبشرون بنعمة من الله اى بجنة من الله ويقال بمغفرة من الله وفضل وهذا لزيادة البيان والفضل
داخل فى النعمة وفيه دليل على اتساعهما وانها ليست كنعم الدنيا وقيل جاء الفضل بعد النعمة
على وجه التاكيد والله اعلم وان الله لايضيع اجر المومنين يعنى كما انه تعالى لايضيع اجر المجاهدين
والشهداء كذلك لايضيع اجر المومنين **فضل فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله**
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا
يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه
الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى
سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين يكلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد
بيده لولا ان اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة
فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت انى اغزو
فى سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل رواه البخارى ومسلم وهذا لفظه ۝
وعن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة فى سبيل الله او روحة
خير من الدنيا وما فيها رواه البخارى ومسلم وعن سهل بن سعد رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من
الجنة خير من الدنيا وما عليها رواه البخارى ومسلم ايضا وعن فضاله بن عبيد رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له
عمله الى يوم القيامة ويومن من فتنة القبر رواه ابو داود والترمذى وعن معاذ بن جبل
رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل فى سبيل الله فواق ناقه وجبت له
الجنة ومن سال الله القتل فى سبيل الله صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ۝

ومن جرح جرحا فى سبيل الله او نكب نكبة فانها تجى يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون
الزعفران وريحها ريح المسك • ومن خرج به خراج فى سبيل الله فان عليه طابع الشهداء • رواه
ابو داود والنساى • وعن ابى سعيد رضى الله عنه قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اى الناس افضل قال مومن يجاهد نفسه وماله فى سبيل الله • قال ثم من • قال رجل فى شعب
من الشعاب يعبد الله • وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره • وعن ابى هريرة رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا
بوعده فان شبعه وريه وبوله فى ميزانه يوم القيامة • يعنى حسنات • رواه البخارى • وعن
انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة فيحب ان يرجع
الى الدنيا وله ما على الارض من شى الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات • لما يرى
من الكرامة • وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة • رواه البخارى ومسلم • وعن عبد الله بن عمرو
ابن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين • رواه
مسلم • وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس
القتل الا كما يجد احدكم من القرصة • رواه الترمذى والنساى نحوه • وعن ابى الدرداء
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد فى سبعين من اهل بيته • رواه
ابو داود • وروى الكلبى باسناده ان العبد اذا لقى العدو فى سبيل الله فتح له باب من السما •
واطلعت عليه زوجتاه من الحور العين • فاذا اقبل على العدو يقاتلهم قالت اللهم وفقه
وسدده • واذا ادبر عن العدو قالت اللهم اغفر عنه وتجاوز • واذا قتل بباهى الله عز وجل
به الملايكة • فيقول لهم انظروا الى عبدى بذل نفسه ودمه ابتغاء مرضاتى • فتقول الملايكة يا
رب اقلا نذهب فننصره على من يريد قتله • فيقول لهم خلوا عبدى فطال ما سهر ونصب فى
ابتغاء مرضاتى • احب لقاى فاحببت لقاه • فتنزل اليه زوجتاه من الحور العين • ويامر الله
سبحانه الملايكة ان ياتوه من آفاق الارض فيحيونه وبشرونه بالجنة والكرامة من الله
عز وجل • فاذا فعلوا ذلك بعث الله اليهم ان خلوا بين عبدى وبين زوجتيه حتى يستريح • فتقول
زوجتاه لقد كنا اليه بالاشواق • ويقول لهما مثل ذلك • وعن على بن موسى الرضا قال

حدثنی ابی موسی بن جعفر قال حدثنی ابی جعفر بن محمد قال حدثنی ابی محمد بن علی قال
حدثنی ابی علی بن الحسین قال حدثنی ابی الحسین بن علی رضی الله عنهم قال سمعا علی بن ابی طالب رضی الله عنه
یخطب الناس ویحثهم علی الجهاد اذ قام الیه شاب فقال یا امیر المومنین اخبرنی عن فضل الغزاه فی
سبیل الله فقال علی رضوان الله علیه کنت ردیف رسول الله صلی الله علیه وسلم علی ناقته العضبا
وکنت مقبلون من غزاه فسالته عما سالتنی عنه فقال صلی الله علیه وسلم ان الغزاة اذا هموا بالغزو
کتب الله لهم برآة من النار فاذا تجهزوا للغزو هم باهی الله بهم الملایکه فاذا ودعهم اهلوهم بکت علیهم
الحیطان والبیوت وخرجون من ذنوبهم کما تخرج الحیة من سلخها موکل الله تعالی بکل رجل منهم
اربعین الف ملک یحفظونه من بین یدیه ومن خلفه وعن یمینه وعن شماله ولا یعمل حسنة الا اضعفت
له ویکتب له کل یوم عبادة الف رجل یعبدون الله عز وجل الف سنة کل سنة کالف سنة بلا ثمانة وستون یوما
الیوم مثل عمر الدنیا فاذا صاروا بحضرة العدو انقطع علم اهل الدنیا عن ثواب الله عز وجل
ایاهم فاذا برزوا للعدو هم واشرعت الاسنة وفوقت السهام وتقدم الرجل الی الرجل حفتهم
الملایکه باجنحتها ویدعون الله لهم بالنصر والتثبیت وتنادی منادی الجنة تحت ظلال السیوف
فتکون الضربة والطعنة علی الشهید اهون من شرب الماء البارد فی الیوم الصائف واذا زال
الشهید عن فرسه بطعنة او ضربة لم یصل الی الارض حتی سعث الله تعالی زوجتیه من الحور العین
فتبشره بما اعد الله له من الکرامة فاذا وصل الی الارض تقول له الارض مرحبا بالروح الطیب
التی اخرجت من البدن الطیب ابشر فان لک ما لا عین رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب
بشر ویقول الله عز وجل انا خلیفته علی اهله من ارضاهم فقد ارضانی ومن اسخطهم فقد
اسخطنی ویجعل الله سبحانه روحه فی حواصل طیر تسرح فی الجنة حیث تشاء تاکل من ثمارها
وتاوی الی قنادیل من ذهب معلقه بالعرش ویعطی الرجل منهم سبعین غرفة من غرف الفردوس
سمک کل غرفة کما بین صنعا والشام یملا نورها ما بین الخافقین فی کل غرفه سبعون مصراعا
من ذهب علی باب ستر مسبل فی کل غرفه سبعون خیمة فی کل خیمه سبعون سریرا من ذهب
قوائمها الدر والزبرجد مرموله بقضبان الزمرد علی کل سریر اربعون فراشا غلظ کل
فراش اربعون ذراعا علی کل فراش زوجة من الحور العین عربا اترابا فقال الشاب یا

کلم

امیر

امير المومنين اخبرني عن التربة. قال هي الطينة المرضية الشهية. لها سبعون الف حديقة
وسبعون الف وصيفة. صغر العلى من الوجوه عليهم تيجان اللولو على رقابهم المناديل
بايديهم الاكوبة والابارق. واذا كان يوم القيامة خرج الذي يقبض روحه ولواء الانبياء على
ظهره ليتوجلوا المرتاحون من تحايفهم حتى يقفوا بباب الجنة وهم سعدون عليها.
ويشفع الرجل منهم في سبعين الفا من اهل بيته وجيرته حتى ان الجارين يتخاصمان ايضا
اقرب جوارا. فيقعدون معي ومع ابرهيم عليه السلام على مائدة الخلد فيطلعون الى الله عز
وجل في كل يوم بكرة وعشيا. وعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في اول دفعة. ويرى مقعده
من الجنة. ويجار من عذاب القبر. ويامن من الفزع الاكبر. ويوضع على راسه تاج الوقار.
الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها. وتزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين.
ويشفع في سبعين من اقاربه. رواه الترمذي. وقال حديث حسن صحيح غريب. وروي عن
مجاهد انه قال السيوف مفاتيح الجنة. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل
اكرم الشهيد بخمس كرامات لم يكرم بها احدا من الانبيا ولا انا. احدها ان جميع الانبيا
قبض ارواحهم ملك الموت. وهو الذي يقبض روحي. واما الشهدا فانه هو الذي يقبض ارواحهم
بقدرته كيف شا. ولا يسلط على ارواحهم ملك الموت. والثاني ان جميع الانبيا قد غسلوا
بعد الموت. وانا اغسل بعد الموت. والشهدا لا يغسلون. ولا حاجة لهم الى ما الدنيا. والثالث
ان جميع الانبيا قد كفنوا وانا اكفن. والشهدا لا يكفنون. بل يدفنون في ثيابهم. والرابع
ان الانبيا لما ماتوا ماتوا امواتا. وانا اقمت بعد قدمات. والشهدا لا يسمون امواتا.
والخامس ان الانبيا تحل لهم الشفاعة يوم القيامة وشفاعتي ايضا يوم القيامة. واما
الشهدا فانهم يشفعون كل يوم فيمن يشفعون. وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سال الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهدا. وان مات
على فراشه. رواه مسلم وغيره. وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولو لم تصبه. رواه مسلم رحمه الله. والاحاديث في هذا المعنى كثيرة.

قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح الآية قال اكثر
المفسرين اذا اصابهم ما اصابهم وانصرفوا من احد فلجوا لو وحاندوا عوا على انفراقهم
وتلافوا ما فقاتلوا لاحد اقتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد
تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب
العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان فانتدب به
عصابة منهم مع ما بهم من الجراح والقرح الذي اصابهم يوم احد ونادى مناد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد الا من حضرنا بالامس وكلمه جابر بن عبد الله فقال
يا رسول الله ان ابي كان خلفني على اخوات لي سبع وقال لي يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان نترك هؤلاء
النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة
وان الذي اصابهم وهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر
وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن
الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمراء
الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في قوله
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم قالت
لعروة يا ابن اختي كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما
اصاب يوم احد فانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب في اثرهم فانتدب منهم
سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قالوا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم معبد
الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله
لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله كان قد عافاك فيهم ثم خرج معبد
من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا على

حمراء الاسد على ثمانية امياله من المدينة عن يسار الطريق اذا اردت ذا الحليفة وبئر علي صبحه يوم احد ست عشرة مضت او ثمان وبينها وبين المدينة ثمانية اميال على يسار الطريق من المدينة تريد مكة وبها الآبار التي يقال لها آبار علي سميت بعلي عليه السلام لانه هو الذي حفرها وقد غار ثم رجع الى المدينة وقد عافاه الله ولم يقتل فلان ولم يقتل فلان ثم قتل على الغلبة اذا حبس

الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على
بقيتهم ولنفرغن منهم • فلما رأى ابو سفين معبدًا قال له ما وراك يا معبد • قال محمد قد خرج
فى اصحابه يطلبكم فى جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا • وقد اجتمع معه من كان تخلف
عنه فى يومكم وندموا على صنيعهم • وفيهم من الحنق عليكم شى لم ار مثله قط • قال ابو سفيان
ويلك ما تقول • قال والله ما اراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل • قال فوالله لقد اجمعنا
الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم • فقال والله انى انهاك عن ذلك • فوالله لقد حملنى ما رأيت على ان
قلت ابياتا • قال وما قلت • قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى ۞ اذ سالت الارض بالجرد الابابيل ۞
تردى باسد كرام لا تنابلة ۞ عند اللقا ولا ميل معازيل ۞
فظلت عدوا اظن الارض مائلة ۞ لما سموا برئيس غير محذول ۞
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ۞ اذا تغطمطت البطحا بالجيل ۞
انى نذير لاهل البسل ضاحية ۞ لكل ذى ارية منهم ومعقول ۞
من جيش احمد لا وخش قنابلة ۞ وليس يوصف ما انذرت بالقيل ۞

قالوا فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه • ومر به ركب من عبد القيس • فقال اين تريدون
قالوا نريد المدينة لاجل الميرة • قال فهل انتم مبلغون عنى محمدا رساله واحمل لكم ابلكم زبيبا
بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم • قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه
والى اصحابه لنستاصل بقيتهم • وانصرف ابو سفيان الى مكة • ومر الركب برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبره بالذى قال ابو سفين • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل • ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة
بعد ثالثة • ويقال انهم لما هموا بالرجعة الى المدينة ليستاصلوا زعموا بقيه اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم صفوان بن امية لا تفعلوا فان القوم قد حربوا وقد
وقد خشينا ان يكون لهم قتال غير الذى كان فارجعوا • فرجعوا • فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بحمراء الاسد حين بلغه انهم هموا بالرجعه • والذى نفسى بيده لقد سومت لهم

حجارة لو صبحوا بها لكانوا كامس الذاهب • وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الاية في
غزوة بدر الصغرى • وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعدي
ما بيننا وبينكم موسم بدر الصغرى للعام القابل ان شئت • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك بيننا وبينكم ان شاء الله • فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة
من ناحية مر الظهران • ثم القى الله عز وجل الرعب في قلبه فبدا له الرجوع • فلقي نعيم بن مسعود
الاشجعي وقد قدم معتمرا • فقال له ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي
بموسم بدر الصغرى • وهذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن •
وقد بدا لي ان لا اخرج اليهما واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة • ولان
يكون الخلف من قبلهم احب الي من ان يكون من قبلي • فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم اني
جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل اضعها على يد سهيل بن عمرو نضمنها
لك • قال وجا سهيل فقال له نعم يا ابا يزيد انتض لي هذه القلايص وانطلق الى محمد واثبطه
قال نعم • قال فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان • فقال
نعيم اين تريدون • قالوا واعدنا ابا سفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى • فقال نعيم بئس الراي
رايتم • اتوكم في ديارهم وقرارهم فلم يفلت منكم الا الشريد • افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد
جمعوا لكم عند الموسم • والله لا يفلت منكم احد • فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخروج • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي • فاما
الجبان فانه رجع • واما الشجاع فانه ذاهب للقتال • وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى • فجعلوا يلقون المشركين
فيسالونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم • يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون
حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا الصغرى • وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون
اليها كل عام ثمانية ايام • فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر ابا سفين • وقد
انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة • فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا
من المشركين • ووافوا السوق • وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم درهمين •

وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اى اجابوا
الله ولطاعوه فى جميع اوامره و اطاعوا الرسول انشأ من بعد ما اصابهم القرح يعنى من بعد
ما نالهم من الم الجراح للذين احسنوا منهم واتقوا يعنى احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم واجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه اجر عظيم يعنى لهم ثواب جزيل
وهو الجنة قوله عز وجل الذين قال لهم الناس قال العلماء هذه الآية متعلقة بالآية
التى قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكرهم هم الذين استجابوا لله والرسول و فى المراد
بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعى وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبى فكون
اللفظ عاما اريد به الخاص كقوله ام يحسدون الناس يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وانما
جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولا ورضى
به غيره حسن اضافة ذلك الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله تعالى
وان قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثانى ان المراد بالناس الركب من عبد القيس وهذا
قول ابن عباس ومحمد بن اسحق وذلك انهم مروا بابى سفيان فدسهم الى المسلمين ليثبطوهم الوجه
الثالث ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما راوا النبى صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد
ابى سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم فى ديارهم فقتلوا
الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق منكم احد فقال المسلمون حسبنا الله ونعم الوكيل وقولهم
ان الناس قد جمعوا لكم يعنى ان ابا سفيان واصحابه من روسا المشركين قد جمعوا لكم الجموع
الكثيرة لان العرب تسمى الجيش جمعا ويجمعونه جموعا فاخشوهم اى فخافوهم واحذروهم
فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا يعنى فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة
فى دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم فزيادة الايمان هذا هى فى الاعمال وقد
اختلف العلماء فى زيادة الايمان ونقصانه على اقوال والعقيدة فى هذا ان نفس الايمان
الذى هو تاج واحد وتصديق واحد بشىء ما انما هو معنى فرد لا يدخله زيادة اذا حصل
ولا يبقى منه شىء اذا زال فلم يبق الا ان تكون الزيادة والنقصان فى متعلقاته دون ذاته
فذهب جمع من العلماء الى انه يزيد وينقص من حيث الاعمال الصادرة عنه لا سيما ان

كثيرا من العلما يوقعون اسم الايمان على الطاعات لقول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون
بابا فاعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق اخرجه الترمذي وزاد
مسلم والحيا شعبة من الايمان وفي حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الايمان يبدو لمطة
بيضا في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت بياضا حتى يبيض القلب كله وقوله لمطة قال
الاصمعي اللمطة مثل النكتة ونحوها من البياض ومنه قيل فرس المط اذا كان بجحفلته
شي من بياض والمحدثون يقولون لمطة بالفتح واما كلام العرب فبالضم مثل شبهة ودهمة
وحمرة وفي هذا حجة على من انكر ان يكون الايمان يزيد او ينقص الا تراه يقول كلما ازداد
الايمان ازدادت اللمطة حتى يبيض القلب كله وكذلك النفاق يبدو لمطة سودا في القلب
فكلما ازداد النفاق اسود حتى يسود القلب كله ومنهم من قال ان الايمان عرض وهو لا
يثبت زمانين فهو للنبي صلى الله عليه وسلم وللصلحا متعاقب فيزيد باعتبار توالي امثاله على
قلب المومن والى هذا القول اشار ابو المعالي وهذا المعنى موجود في حديث الشفاعة الذي
رواه ابو سعيد الخدري واخرجه مسلم وفيه فيقول المومنون يا ربنا اخواننا كان يصومون
معنا ويصلون معنا ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون
خلقا كثيرا قد اخذت النار الى انصاف ساقيه والى ركبتيه فيقولون ربنا ما بقي فيها احد
ممن امرتنا به فيقول عز وجل ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن
ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال
ذرة من خير فاخرجوه وذكر الحديث وقد قيل ان المراد بالايمان في هذا الحديث اعمال
القلوب كالنية والاخلاص والخوف والنصيحة وشبه ذلك وسماها ايمانا لكونها في محل
الايمان او عن الايمان على عادة العرب في تسمية الشي باسم الشي اذا جاوره او كان منه
بسبب دليل هذا التاويل قول الشافعين بعد اخراج من في قلبه مثقال ذره من خير لم نذر
فيها خيرا مع ان الله تعالى يخرج بعد ذلك جموعا كثيره ممن يقول لا اله الا الله وهم مومنون

قطعا

قطعا • ولو لم يكونوا مومنين لما اخرجهم • ثم ان عدم الوجود الاول الذى تركب عليه المثل
لم يكن زيادة ولا وقدر ذلك فى الحركة • فان الله سبحانه اذا خلق علما فردا وخلق معه مثله
او امثاله معلومات فقد زاد علمه • فان اعدم الله الامثال فقد نقص • اى زالت الزيادة •
وكذلك اذا خلق حركة وخلق معها مثلها او امثالها • والله اعلم وذهب قوم من العلما
الى ان زيادة الايمان ونقصانه انما هو طرق الادلة • فتزيد الادلة عند واحد فيقال فى ذلك
انها زيادة فى الايمان • وبهذا المعنى على احد الاقوال فضل الانبيا عليهم السلام على الخلق فانهم
علموه من وجوه كثيرة اكثر من الوجوه التى علمه الخلق بها • وهذا القول خارج عن مقتضى
الاية • اذ لا تصور ان تكون الزيادة فيها من جهة الادلة • وذهب قوم الى ان الزيادة فى
الايمان انما هى بنزول الفرايض والاخبار فى مدة النبى صلى الله عليه وسلم وفى المعرفة بها بعد
الجهل عابر الدهر • وهذا انما هو زيادة ايمان • فالقول فيه ان الايمان نزيد قول مجازى •
ولا تصور فيه النقص على هذا الحد • وانما تصور بالاضافة الى من علم فاعلم فصل
آخر فى الاحاديث التى وردت فى زيادة الايمان ونقصانه • عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قلنا
يا رسول الله الايمان نزيد وينقص قال نعم نزيد حتى يدخل صاحبه الجنة • وينقص حتى يدخل صاحبه
النار • وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم
رايت الناس يعرضون على وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك • وعرض
على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره • قالوا فما اولت ذلك يا رسول الله • قال الدين • وعن عمر
رضى الله عنه قال لو وزن ايمان ابى بكر بايمان اهل الارض او قال بايمان هذه الامة لرجح به • وعن
ابن سابط قال كان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ياخذ بيد النفر من اصحابه فيقول تعالوا
نزدد ايمانا تعالوا نذكر الله • ونقدم حديث على فى اللمطة • وحديث ابى سعيد فى الشفاعة • ٥
وقال بعضهم الايمان نزيد وينقص فقيل له وما زيادته ونقصانه • قال اذا ذكرنا ربنا
وخشيناه فذلك زيادته • واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه • وعن ابى ذر رضى الله عنه
قال كان عمر رضى الله عنه ياخذ بيد الرجل والرجلين من اصحابه فيقول قم بنا نزدد ايمانا •
وعن علقمة انه كان يقول لاصحابه امشوا بنا نزدد ايمانا • وقال ابو الدرداء وابو هريرة

وابن عباس وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم الايمان يزيد وينقص • وعن عروة بن الزبير
رضي الله عنهما قال ما نقصت امانة عبد قط الا نقص من ايمانه • وعن عثمن بن سعيد الدارمي
قال سالت محمد بن كثير العبدي عن الايمان فقال هو قول وعمل يزيد وينقص قلت اكان سفين
يقوله قال نعم بلا شك • قال وسالت ابا حذيفة موسى بن مسعود عن الايمان فقال هو عمل
نزيد وينقص قلت اكان سفين يقوله قال نعم • وسالت عارم بن الفضل عن الايمان فقال هو قول
وعمل يزيد وينقص قلت اكان حماد بن زيد يقوله قال نعم • وسالت سلمن بن حرب فقال هو
قول وعمل يزيد وينقص قال وسالت علي بن عبد الله المدني عن الايمان فقال قول وعمل
ونية • فقلت اينقص ويزداد قال نعم يزداد وينقص حتى لا يبقى منه شي • قال وسالت عمرو
ابن عوف الواسطي عن الايمان فقال مثل ذلك • قال وسمعت يحيى بن يحيى يقول الايمان قول وعمل
يزيد وينقص • قال وسمعت محبوب بن موسى الانطاكي يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص
قلت له اكان ابو اسحق الفزاري يقوله قال كان ابو اسحق يخرج من المصيصة من لا يقول الايمان
يزيد وينقص • وقال يوسف بن اسباط الايمان يزيد وينقص • وقال الحسن وكان وكيع بن الجراح
وعمرو بن عباده وابن ابي برزة وزهير بن نعيم يقولون الايمان قول وعمل يزيد وينقص ۝
والله اعلم مراده • وذلك قوله تعالى فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل اي كافينا الله
هو الذي يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس ۝
وحسبك من غنى شبع ورِيّ ۝ ۝ اي يكفيك الشبع والري • ونعم الوكيل نعني نعم المولى
اليه في الامور كلها • وقيل الوكيل هو الكافي • والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي هو • وقيل الوكيل
هو الكفيل • ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به • والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل
بارزاق العباد ومصالحهم • وانه الذي يستقل بامورهم كلها • وفي صحيح البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها
ابرهيم عليه السلام حين القي في النار • وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
آخر ما تكلم به ابرهيم عليه السلام حين القي في النار حسبي الله ونعم الوكيل • وعن عوف بن مالك

الاشجعی رضی الله عنه قال قضی رسول الله صلی الله علیه وسلم بین رجلین فقال المقضی علیه
حسبنا الله ونعم الوکیل فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم علی یا الرجل ثم قال ان الله عز وجل
یحمد علی الکیس ویلوم علی العجز فاذا غلبک امر فقل حسبی الله ونعم الوکیل قوله تعالی فانقلبوا
ای فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنی وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب
یدل علیه بنعمة من الله ای بعافیه لم یلقوا عدوا وفضل ای تجارة وربح وهو ما اصابوا فی
سوق بدر من الربح وقیل النعمة منافع الدنیا والفضل ثواب الآخرة لم یمسسهم سوء ای لم
یصبهم اذی ولا مکروه من قتل وجراح واتبعوا رضوان الله یعنی فی طاعة الله وطاعة رسوله
وقیل انهم قالوا هل یکون هذا غزو فاعطاهم الله تعالی ثواب الغزو ورضی عنهم بمجرد خروجهم
مع رسول الله صلی الله علیه وسلم والله ذو فضل عظیم یعنی انه تعالی تفضل علیهم بالقاء الرعب
فی قلوب المشرکین حتی رجعوا وقال بعضهم انهم لما فوضوا امورهم الیه واعتمدوا انقلبوا بهم
علیه اعطاهم من الخیر اربعة معان النعمة والفضل وصرف السوء واتباع الرضی فرضاهم عنه
ورضی عنهم قوله عز وجل انما ذلکم الشیطان یعنی انما ذلکم المخوف والمثبط هو الشیطان
یخوف بالوسوسة بان القی ذلک فی افواههم لیرهبوا المومنین ویخوفوهم ویجبنوهم وقوله
یخوف اولیاءه یعنی الشیطان یخوفکم یا معشر المومنین باولیائه او من اولیائه ای یخوف المومن
بالکافر وقیل معناه یعظم اولیاءه فی صدورکم لتخافوهم وقال الحسن والسدی معناه
یخوف اولیاءه المنافقین لیقعدوا عن قتال المشرکین واولیاء الشیطان هم الکفار والمنافقون
الذین یطیعونه ویوثرون امره واولیاء الله هم المومنون الذین لا یخافون الشیطان اذا
خوفهم ولا یطیعونه اذا امرهم فلا تخافوهم یعنی فلا تخافوا اولیاء الشیطان ولا تقعدوا
عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم وخافونی ای فجاهدوا فی سبیلی مع رسولی فانی ولیکم وناصرکم
ان کنتم مومنین ای مصدقین بوعدی انی متکفل لکم بالنصر والظفر وقال بعضهم معنی وخافونی
ای فی ترک امری ان کنتم صادقین بوعدی والخوف فی کلام العرب هو الذعر وتقول
خاوفنی فلان فخفته ای کنت اشد خوفا منه والخوفاء هی المفازة التی لا ماء بها وتقال
ایضا ناقة خوفاء وهی الجرباء والخافة عند العرب کالخریطة یستشار فیها العسل والله اعلم

روى ان سهل بن عبد الله قال اجتمع بعض الصدقين الى ابرهيم الخليل عليه السلام فقالوا
ما الخوف. فقال لا تامن حتى تبلغ المامن. قال سهل وكان الربيع بن خثيم اذا مر بكير
حداد يخشى عليه. فقيل لعلى بن ابى طالب ذلك فقال رضى الله عنه اذا اصابه ذلك فاعلمونى.
فلما اصابه اعلموه فجاه على فادخل يده فى قميصه فوجد حركته عاليه. فقال اشهد ان هذا
اخوف اهل زمانكم. قال العلما فالخائف من الله تعالى هو ان يخاف ان تطاقبه اما فى الدنيا
واما فى الاخرة. ولهذا قيل الخائف الذى يبكى ويمسح عينيه. بل الخائف من يترك ما يخاف ان
يعذب عليه. ففرض الله تعالى على العباد ان يخافوه. فقال تعالى وخافونى ان كنتم مومنين
وقال تعالى واياى فارهبون. ومدح سبحانه المومنين بالخوف. فقال تعالى يخافون ربهم
من فوقهم. ولارباب الاشارات فى الخوف عبارات مرجعها الى ما ذكرنا. وقال الاستاذ
ابو على الدقاق دخلت على ابى بكر بن فورك رحمه الله عايدا له فى مرضه فلما رآنى دمعت عيناه
فقلت ان الله يعافيك ويشفيك. فقال لى اترانى اخاف من الموت انما اخاف مما ورا الموت.
وروى ابن ماجة فى سننه عن ابى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انى ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون. ان السما اطت وحق لها ان تيط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله. والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا. وما تلذذتم بالنسا على الفرشات. ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله.
والله لوددت انى كنت شجرة تعضد. وخرجه ايضا الترمذى. وقال حديث حسن غريب
ويروى من غير هذا الوجه ان اباذر قال لوددت انى كنت شجرة تعضد. قوله تعالى
ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر قال الضحاك هم كفار قريش. وقال الكلبى هم المنافقون
ورؤسا اليهود كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل ان اهل الكتاب لما لم يومنوا
شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الناس ينظرون اليهم ويقولون انهم اهل الكتاب
فلو كان قوله حقا لاتبعوه. فانزل الله عز وجل ولا يحزنك الى اخرها. وقيل المراد بالذين
يسارعون فى الكفر قوم ارتدوا عن الاسلام. والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع فى الكفر وجمع
الجموع لمحاربتك. فان هذا المقصود لا يحصل لهم. وقيل مسارعتهم فى الكفر مظاهرتهم الكفار

ليس هو

[illegible] وقرا

[illegible] والاول افصح [illegible]

[illegible]

[illegible] تعالى [illegible]

[illegible] ان يضروا الله شيئا [illegible]

[illegible]

[illegible] يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولهم عذاب عظيم [illegible] انما المنافقين اشتروا الكفر بالايمان

يعني المنافقين امنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان

واخذوا الكفر كما يفعل المشتري من اعطا شي واخذ غيره بدلا عنه لن يضروا الله شيئا يعني

ما استبدلوا الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك ولهم عذاب اليم يعني في الآخرة قوله

عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا قرى ولا تحسبن بالتا والياء فمن قرا بالتا فمعناه ولا تحسبن

[illegible]

انما نملي لهم [illegible]

[illegible] خير الانفسهم [illegible]

[illegible]

[illegible] ولهم عذاب مهين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] قال ابن الانباري [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

اعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم [illegible] ابدا وان نفاقهم [illegible] كفرا واثما وهذه الآية

حجة ظاهرة على القدرية [illegible] اخبر الله تعالى انه يطيل اعمار قوم [illegible] ليزدادوا كفرا واثما

وطيا قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب

اختلف العلماء [illegible] في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي [illegible] قريش للنبي صلى الله عليه

وسلم يا محمد تزعم ان من خالفك في النار فالله عليه غضبان وان من اطاعك وتبعك على دينك فهو

فهو

فى النار والله عليه غضبان • وان من اطاعك وتبعك على دينك فهو فى الجنه وان الله عنه راض •
فاخبرنا بمن يومن بك وبمن لا يومن بك • فانزل الله عز وجل هذه الاية • وقال السدى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على امتى فى صورها فى الطين كما عرضت على ادم • واعلمت من
يومن بى ومن يكفر بى • فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزا زعم محمد انه يعلم من يومن به ومن
يكفر ممن لم يخلق بعد • ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقام
على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا فى علمى لا تسالونى عن شى فيما بينكم وبين
الساعة الا نبانكم به • فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من ابى يا رسول الله • قال ابوك
حذافه • فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه • فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقران
اماما وبك نبيا • فاعف عنا عفا الله عنك • فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون • فهل
انتم منتهون ثم نزل عن المنبر • فانزل الله عز وجل هذه الآية • وقال ابو العالية ان المومنين سالوا
ان يعطوا اية يفرقون بها بين المومن والمنافق • فنزلت هذه الآية • وقيل ان قوما من المنافقين
ادعوا ان ايمانهم كايمان المومنين • فاظهر الله نفاقهم يوم احد • وانزل هذه الاية • واختلفوا
فى معنى الآية وحكمها • فقال ابن عباس واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين • والمعنى ما
كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز
الخبيث من الطيب • وقيل الخطاب للمومنين • والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المومنين
على ما انتم عليه من اختلاط المومن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب •
يعنى المنافق من المومن المخلص • فميز الله المومنين من المنافقين يوم احد • فاظهر المنافقون
النفاق • وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقيل انما حصل التميز يوم احد بالقتا
الجمع فى الخوف والقتل والهزيمة • فمن كان مومنا ثبت على ايمانه وتصديقه • ومن كان منافقا
ظهر نفاقه وكفره • وقيل فى معنى الاية حتى يميز المومن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة •
وقيل فى معنى الاية ما كان الله ليذر المومنين فى اصلاب الرجال المشركين وارحام النسا المشركات •
والمعنى ما كان الله ليدع اولادكم الذى جرى لهم الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى
يميز الخبيث من الطيب يعنى يفرق بينكم وبين من فى اصلابكم وارحام نسايكم من المومنين فيحكم

ولم تنزل

لاهل الايمان بالجنة ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار وما كان الله ليطلعكم على الغيب
قال الحلما هذا الخطاب في قوله ليطلعكم للكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا عن من يومن بك
ومن لا يومن والمعنى وما كان الله ليبين لكم ايها الكفار المومن من الكافر فتقول فلان مومن
وفلان كافر او منافق انه لا يعلم الغيب احد غيره وان سنة الله جارية انه لا يطلع على غيبه
آحاد الناس فلا سبيل الى معرفة المومن من الكافر او المنافق الا بالامتحانات بالآفات والمصائب
فيتميز المومن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق عند المحن والبلايا وقيل في معنى
الآية وما كان الله ليطلع نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على الغيب فيخبركم بالمومن والكافر وقيل
ايضا معناه وما كان الله ليطلعكم على الغيب يا معشر المومنين اى ما كان ليعين لكم المنافقين حتى
تعرفوهم ولكن يظهر ذلك بالتكليف والمحنة وقد ظهر ذلك في يوم احد فان المنافقين تخلفوا
واظهروا الشماتة فما كنتم تعرفون هذا الغيب قبل هذا فالآن قد اطلع الله نبيه صلى الله عليه
وسلم واصحابه على ذلك وقيل معنى ليطلعكم اى وما كان ليطلعكم ما يكون منهم فقوله وما كان
الله ليطلعكم على الغيب على هذا متصل وعلى القولين الاولين منقطع وذلك انا الكفار لما قالوا لم
لم يوح الينا قال تعالى وما كان الله ليطلعكم يعني على من يستحق النبوة حتى يكون الوحي باختياركم
ولكن الله يجتبي اى يختار من رسله لاطلاع غيبه من يشآ يقال طلعت على كذا واطلعت عليه
واطلعت عليه غيري فهو لازم ومتعدى وقرى حتى يميز الخبيث بالتشديد من ميز
وقراة التخفيف من ماز يميز يقال مزت الشي بعضه من بعض اميزه ميزا وميزته تمييزا
وقال ابو معاذ مزت الشئ اميزه ميرا اذا فرقت بين شيين فان كانت اشيا قلت ميزتها
تمييزا ومثله اذا جعلت الواحد شيين قلت فرقت بينهما تخفيفا ومنه فرق الشعر
وان جعلته اشيا قلت فرقته تفريقا ومنه ايضا وامتاز القوم اذا تميز بعضهم عن
بعض ويكاد يتميز اى يتقطع وبهاتان فسر قوله تعالى يكاد يميز من الغيظ والله اعلم
وقوله فامنوا بالله ورسله يعني انه لما قامت الدلايل على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على
الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد لقوله والله يجتبي من رسله من يشآ ولانه اذا اقر بجميع الرسل

كان مقرا باحدهم وهذه صفة المومنين لانهم آمنوا بجميع الرسل ونقال ايضا ان الكفار
لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبين لهم ايهم مومن منهم نزل فآمنوا بالله ورسله
يعني لا تشتغلوا بما لا يعنيكم واشتغلوا بما يعنيكم وهو الايمان فامنوا اي صدقوا اما
عليكم التصديق لا التشوف الى اطلاع الغيب وان تومنوا وتتقوا يعني وان تصدقوا من اجتبيته
برسالتي واطلعته على ما اشاء من غيبي واعلمته بالمنافق منكم والمومن المخلص وتتقوا ربكم
فيما امركم به ونهاكم عنه فلكم اجر عظيم يعني فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة
يحكى ان منجما كان عند الحجاج بن يوسف فاخذ الحجاج حصيات لم يعدهن في يده قد عرف
عددها ثم قال للمنجم كم في يدي فحسب المنجم فاصاب ثم تغفله الحجاج فاخذ حصيات لم
يعدهن وقال للمنجم كم في يدي فحسب فاخطا ثم حسب فاخطا ثم حسب بالثة فاخطا
فقال ايها الامير اظنك لا تعرف عددها في يدك قال لا قال فما الفرق بينهما فقال ان
ذلك احصيته فخرج عن حد الغيب فحسبت فاصبت وان هذا لم تعرف عددها فصار غيبا
ولا يعلم الغيب الا الله وسياتي هذا الباب في سورة الانعام ان شاء الله تعالى قوله عز
وجل ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم يعني ولا يحسبن الذين يبخلون
البخل خيرا لهم اي لا يحسبن الباخلون البخل خيرا لهم واما حذف لدلالة يبخلون على البخل
وهذا كقوله من صدق كان خيرا له اي كان الصدق خيرا له ومن هذا قول الشاعر
اذا نهى السفيه جرى اليه ... وخالف والسفيه الى خلاف
فالمعنى جرى الى السفيه فالسفيه دل على السفه وقوله بل هو شر لهم اي البخل شر لهم
والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر منه البخل وهذه
الاية دالة على ذم البخل وعدم الانفاق في سبيل الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا
وامرهم بالفجور ففجروا رواه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الاية فقال عبد الله بن مسعود وابو هريرة وابن

عباس فی روایة ابی صالح عنه والشعبی ومجاهد نزلت هذه فی الذین یبخلون ان یودوا زکاة اموالهم
ووجه هذا القول ان اکثر العلماء ذهبوا الی ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع التطوع
لا یکون بخیلا ویدل علیه الوعید الشدید فی سیاق الآیة وهو قوله تعالی سیطوقون ما
بخلوا به وهذا لا یکون الا من ترک الواجب لا فی التطوع. وقال ابن عباس فی روایة عطیة عنه
وابن جریج عن مجاهد انها نزلت فی احبار الیهود الذین کتموا صفة سیدنا محمد صلی الله علیه وسلم
ونبوته وهذا القول هو اختیار الزجاج. ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع الخیر والنفع
ویدخل فیه العلم کما یقال فلان بخل بعلمه. وصحح الطبری القول الاول واختاره. وقوله
سیطوقون ما بخلوا به یوم القیامة ای سیلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق. فان حملنا
معنی الایة علی منع الزکوة والبخل بها. فقال ابن مسعود وابن عباس یجعل ما منعه من الزکاة
حیة تطوق فی عنقه یوم القیامة تنهشه من قرنه الی قدمه. ویدل علی صحة هذا التاویل
ما روی عن ابی هریرة رضی الله عنه. قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم من آتاه الله مالا فلم
یود زکاته مثل له یوم القیامة شجاع اقرع له زبیبتان یطوقه یوم القیامة ثم یاخذ بلهزمتیه
یعنی شدقیه. ثم یقول انا مالک انا کنزک. ثم تلا ولا یحسبن الذین یبخلون بما اتاهم الله من فضله
هو خیرا لهم الآیة اخرجه البخاری. قوله له زبیبتان قیل هما النکتتان السوداوان فوق
عینی الحیة. وقیل هما نقطتان یکتنفان فاها. وقیل هما زبدتان فی شدقیها. وقد جاء فی
الحدیث تفسیر لهزمتیه بانهما شدقیه. وقیل انهما مضیغتان فی اصل الحنک. وقیل هما عند
منحنی اللحیین اسفل من الاذنین. وکله متقارب والله اعلم. وعن ابی ذر رضی الله عنه قال انتهیت
الی رسول الله صلی الله علیه وسلم وهو جالس فی ظل الکعبة. فلما رانی قال هم الاخسرون ورب الکعبة.
قال فجئت حتی جلست فلم اتقار ان قمت فقلت ما رسول الله فداک ابی وامی من هم. قال هم الاکثرون
اموالا الا من قال هکذا وهکذا وهکذا من بین یدیه ومن خلفه وعن یمینه وعن شماله وقلیل ما هم
ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا یودی زکاتها الا جاءت یوم القیامة اعظم ما کانت واسمنه
تنطحه بقرونها وتطاوه باظلافها کلما نفدت اخراها عادت علیه اولاها حتی یقضی بین الناس
لفظ مسلم وفرقه البخاری فی موضعین. وقیل معنی الآیة انه یجعل فی اعناقهم اطواق من نار. وقیل

يكلفون يوم القيامة ان ياتوا بما بخلوا به من اموالهم في الدنيا ۞ وروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ما من ذي رحم ياتي ذا رحمه فيسأله من فضل ما عنده فيبخل به عليه الا اخرج له
شجاع من النار تلمظ حتى يطوقه ۞ وقال ابن عباس ايضا انما نزلت هذه الآية في اهل الكتاب
وبخلهم ببيان ما علموه من امر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ۞ وهو قول مجاهد وجماعة من اهل
العلم ۞ ومعنى سيطوقون على هذا التاويل سيحملون عقاب ما بخلوا به فهو من الطاقة ۞ كما قال
تعالى وعلى الذين يطوقونه ۞ وليس من التطويق ۞ وقال ابرهيم النخعي معنى سيطوقون اي سيجعل
لهم يوم القيامة طوق من نار ۞ وهذا جزى مع التاويل الاول ۞ وقيل يلزمون اعمالهم كما يلزم
الطوق العنق ۞ يقال طوقت فلانا عمله طوق الحمامة ۞ اي الزمت حزا عمله ۞ وقد قال تعالى وكل انسان
الزمناه طايره في عنقه ۞ وان حملنا نفسر البخل على البخل بالعلم وكتمانه ۞ فقال ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله سيطوقون ما بخلوا به ۞ اي يحملون وزره واثمه ۞ فيكون على طريق التمثيل ۞ كما يقال قلدتك
هذا الامر وجعلته في عنقك ۞ وقيل يجعل في رقابهم طوقا من نار ۞ ويدل عليه ما روي عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجمه
الله بلجام من نار يوم القيامة ۞ وقيل معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا
به بالسنتهم ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم ۞ والله اعلم ۞
واما ثمره البخل وفايدته فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للانصار من سيدكم ۞ قالوا
الجد بن قيس على بخل فيه ۞ فقال صلى الله عليه وسلم واي داء ادوا من البخل ۞ قالوا وكيف ذلك يا
رسول الله ۞ قال ان قوما نزلوا بساحل فكرهوا ببخلهم نزول الاضياف بهم ۞ فقالوا ليبعد الرجال
منا عن النساء حتى يعتذر الرجال الى الاضياف ببعد النساء ۞ ويعتذر النساء ببعد الرجال ۞ ففعلوا
وطال ذلك بهم ۞ فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء ۞ ذكره الماوردي في كتاب الدنيا والدين ۞
واختلف العلماء في البخل والشح هل هما معنى واحد او معنيين ۞ فقيل البخل هو الامتناع من اخراج
ما حصل عندك ۞ والشح هو الحرص على تحصيل ما ليس عندك ۞ وقيل ان الشح هو البخل مع حرص ۞ وهو
الصحيح لما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا
الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ۞ واتقوا الشح ۞ فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا

دمّاهم واستحلوا محارمهم. وهذا يرد قول من قال ان البخل منع الواجب والشح منع المستحب اذ
لو كان الشح منع المستحب لما دخل تحت هذا الوعيد العظيم والذم الشديد الذى فيه هلاك الدنيا
والاخرى. ويويد هذا المعنى ما رواه النسائى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم ابدا. ولا يجتمع شح وايمان
فى قلب رجل مسلم ابدا. وهذا يدل على ان الشح اشد فى الذم من البخل. الا انه قد جاء ما يدل
على مساواتهما. وهو قوله وقد سئل ايكون المومن بخيلا قال لا. وذكر الماوردى فى كتاب ادب الدنيا
والدين ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للانصار من سيدكم. قالوا الجد بن قيس على بخل فيه. فقال صلى
الله عليه وسلم واى داء ادوا من البخل. قالوا كيف ذلك يا رسول الله. قال ان قوما نزلوا ساحل
فكرهوا بخلهم نزول الاضياف بهم. فقالوا لبعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال الى الاضياف
ببعد النساء ويعتذر النساء ببعد الرجال. ففعلوا فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء.
وتقدم. وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض يعنى انه سبحانه وتعالى الباقى الدائم بعد
فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون وتبقى املاكهم فيرثها سبحانه. والمقصود من الاية انه سبطل
ملك جميع المالكين ويبقى الملك لله سبحانه وتعالى. وقيل فى معنى الاية وله ما فيهما مما يتوارثه اهلها
من مال وعلم وغير ذلك. فما لهولاء البخلاء يبخلون عليه بملكه. ولا ينفقونه فى سبيله. وقال بعضهم
ايضا ان الله تعالى اخبر ببقائه ودوام ملكه. وانه فى الابد كهو فى الازل. غنى عن العالمين. فورث
الارض بعد فناء خلقه وزوال املاكهم. فتبقى الاملاك والاموال لا مدعى فيها. فجرى هذا مجرى
الوراثة فى عادة الخلق. وليس بميراث فى الحقيقة. لان الوارث فى الحقيقة هو الذى يرث شيأ لم
يكن ملكه من قبل. والله سبحانه مالك السموات والارض وما فيهما. فكانت السموات وما فيهما
والارض وما فيها له تعالى. وانما كانت الاموال عارية عند اربابها. فاذا ماتوا رجعت العارية
الى صاحبها الذى كانت له فى الاصل. ونظير هذه الاية قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها
والينا يرجعون. والمعنى فى الآيتين ان الله تبارك وتعالى امر عباده بان ينفقوا ولا يبخلوا قبل ان
يموتوا ويتركوا ذلك ميراثا لله تعالى لا ينفعهم الا ما انفقوا. والله بما يعملون خبير قرى يعملون بالياء
على الغيبة على طريقة الالتفات وهى ابلغ فى الوعيد. والمعنى والله بما يعملون يعنى البخلاء من منعهم

الحقوق خبير فيجازيهم عليها. وقرى بالتا على خطاب الحاضرين. قوله تعالى لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا قال الحسن وقتاده لما انزل الله عز وجل من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنيا. وذكر الحسن ان قايل
هذه المقاله هو حيى بن اخطب. وقال عكرمة والسدى ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبى صلى
الله عليه وسلم مع ابى بكر الصديق الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاه وايتا
الزكوه وان يقرضوا الله قرضا حسنا. فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراستهم فوجد ناسا كثيرا
قد اجتمعوا على فنحاص بن عازورا. وكان من علمايهم. ومعه حبر آخر يقال له اشيع. فقال ابو بكر
لفنحاص اتق الله واسلم. فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله. قد جاكم بالحق من عند الله تجدونه
مكتوبا عندكم فى التورية. فآمن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنه. ويضاعف
لك الثواب. فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض منا اموالنا وما يستقرض الا الفقير من
الغنى. فان كان ما تقول حقا فان الله اذا فقير ونحن اغنيا. فغضب ابو بكر رضى الله عنه وضرب
وجه فنحاص ضربا شديدا. وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينكم لضربت عنقك
اى عدو الله. فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال يا محمد انظر ما صنع بى صاحبك.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت. فقال يا رسول الله ان هذا عدو
الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنيا فغضبت لله وضربت وجهه. فجحد ذلك فنحاص.
فانزل الله عز وجل يصدق قول ابى بكر. ويكذب فنحاص ورد عليه. لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنيا. وهذه المقاله وان كانت صدرت من واحد من اليهود لكنهم رضوا
بمقالته هذه فنسبت الى جميعهم. ولا يخلوا ان يكونوا قالوا هذه المقاله عن اعتقاد لذلك القول
او قالوه استهزا. وايهما كان فهذه المقاله عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل. وانما صدرت
عن كافر متمرد فى كفره وضلاله. وقال بعضهم ايضا انما قالوا هذا انكارا منهم بما على ضعفايهم
لا انهم يعتقدون هذا. لانهم اهل كتاب. ولكنهم كفروا بهذا القول. لانهم اراد واشكيك الضعفا
منهم ومن المومنين وتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم. اى انه فقير على قول محمد. لانه اقترض منا.
قال الله عز وجل سنكتب ما قالوا يعنى قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا. لان ذلك كذب وافترا.

والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا. وقيل سنثبت ذلك القول فى صحائف اعمالهم التى تكتبها الحفظه
عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد لهم. وقال الكلبى سنوجب عليهم فى الاخره
جزاء ما قالوا فى الدنيا وقتلهم الانبيا بغير حق قيل معناه سنكتب ما قال هولا اليهود ونكتب
ما فعله اسلافهم فنجازى كلى الفريقين بما هو اهله. قال العلما وانما نسب سبحانه قتل الانبيا
الى اليهود الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم واوايلهم لانهم رضوا
بفعلهم فنسب اليهم. وقيل فى معنى الآية سنكتب على هولا ما قالوا بانفسهم. ونكتب عليهم ايضا
رضاهم بقتل آبايهم الانبيا. والفايده فى ضم قتلهم الانبيا الى ما وصفوا الله تعالى بالفقر اعلاما
بذلك انهما اخوان فى العظم. وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه من العظايم. وانهم اصلا
فى الكفر والجهل والضلال. ولهم فى ذلك سوابق. وان من قتل الانبيا لا يبعد منه الاجتراء على مثل
هذا القول العظيم فى الفحش والقبح. وروى ابو داود عن العرس بن عميره الكندى رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فكرهها وقال
مرة فانكرها كمن غاب عنها. ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها. وهذا نص والله اعلم.
وقوله ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى نقول لهولا الذين والوا هذه المقاله ذوقوا عذاب
الحريق. اى تنتقم منهم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين
الغصص فى الدنيا. والحريق اسم للملتهبه من النار. والنار تشمل الملتهبه وغير الملتهبه.
وقوله تعالى ذلك اى ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر واقدمتم على قتل
الانبيا بما قدمت ايديكم اى ذلك العذاب بما اسلف من الذنوب. قال العلما وانما ذكر الله تعالى
الايدى على سبيل المجاز. لان الفاعل هو الانسان لا اليد. الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن
اسناد الفعل اليها. ولان اكثر الاعمال تكون باليد. فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل
التغليب. وقال بعضهم ايضا انما خص الايدى بالذكر ليدل على تولى الفعل ومباشرته اذ قد
يضاف الفعل الى الانسان بمعنى انه امر به كقوله يذبح ابناءهم. والله اعلم وقوله وان الله ليس
بظلام للعبيد اى فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل. ومن العدل ان يعاقب المسى
ويثيب المحسن. قوله عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا الاية قال الكلبى انزل الله عز وجل

هذه الاية فى كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوه وفنحاص بن
عازورا وحيي بن اخطب مع جماعة من اليهود اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم
ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله عهد الينا فى التورية ان لا نؤمن لرسول
يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جيتنا به صدقناك فانزل الله
عز وجل الذين قالوا يعنى قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعنى امرنا واوصانا ان
لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار يعنى وكون ذلك دليلا على صدقه وذكر
الواحدى عن السدى انه قال ان الله عز وجل امر بنى اسرآيل فى التورية من جاءكم يزعم انه
رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فصدقوا
بهما فانهما ياتيان بغير قربان زاد غير الواحدى عنه قال وكان هذه العاده باقية
فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاهم هذا الشرط كذب على
التوراة وهو من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود فى الدلالة على صدق النبى
هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاى معجزة اتى بها النبى قبلت منه وكانت دليلا على صدقه
وقد اتى النبى صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق
اتباعه وتصديقه والقربان كلما تقرب به العبد الى الله تعالى من اعمال البر من نسك
وصدقه وذبح وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان
يعنى انها مما تقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنايم لا تحل لبنى اسرآيل وكانوا
اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجآت نار سضا من السما لا دخان لها ولها دوى
وحفيف فتاكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا
لم يقبل بقى على حاله ولم تنزل نار وقال عطا كانت بنو اسرايل يذبحون لله فياخذون
الثروب واطايب اللحم فيضعونها فى وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام
فى البيت ويناجى ربه عز وجل وبنو اسرآيل خارجون حول البيت فتنزل نار سضا لها دوى
وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة
التى ذكرها هؤلآ اليهود واقامة للحجة عليهم قل يعنى قل يا محمد لهؤلآ اليهود قد جاءكم رسل

من قبلي يعني يا معشر اليهود جاكم رسل من قبلي مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام بالبينات يعني
بالدلالات الواضحات على صدقهم وبالذي قلتم يعني ما طلبوه من القربان فلم قتلتموهم يعني
فلم قتلتم الانبيا الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وساير من قتلوا من الانبيا واراد
بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم
كانوا راضين بفعل اسلافهم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم اياك يا محمد مع علمهم
بصدقك كقتل ابايهم الانبيا مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله
عليه وسلم ومونسا له فان كذبوك يعني هولا اليهود فقد كذب رسل من قبلك يعني مثل نوح وهود
وصالح وابرهيم وغيرهم من الرسل جاوا بالبينات اي بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات
والزبر اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور واصل الزبور من الزبر
وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه يزبر اي يزجر عن الباطل ويدعوا الى
الحق وقال بعضهم ايضا الزبر هي الكتب المزبورة اي المكتوبة والزبر جمع زبور وهو الكتاب
واصله من زبرت اي كتبت وكل زبور فهو كتاب وانشد امرو القيس

كمن طلل ابصرته فشجاني ۞ كخط زبور في عسيب يمان ۞

وقرا ابن عامر جاووا بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير بزيادة با في الحرفين وكذلك هو
في مصاحف اهل الشام والكتاب المنير اي الواضح المضي من قولك انرت الشي انيره اي اوضحته
يقال نار الشي واناره ونوره واستناره بمعنى واحد وكل واحد منهما لازم ومتعد وجمع
سبحانه بين الزبر والكتاب لاختلاف لفظهما كما ذكرنا وقال بعضهم وانما عطف الكتاب المنير
على الزبر لفضله وشرفه وقيل اراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل
والله اعلم بمراده قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت يعني ان كل نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا
بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزل في بني آدم فاين ذكر
الموت للجن والانعام والوحوش والطير فنزلت هذه الاية وقيل لما خلق الله تعالى ادم عليه السلام
اشتكت الارض الى ربها عز وجل لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما احد
يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها فان قيل الحور والولدان نفوس مخلوقة في الجنة

لا تذوق الموت فما حكم لفظة كل في قوله كل نفس ذائقه الموت قيل له لفظة كل لا تقتضي الاحاطه والشمول بدليل قوله واوتيت من كل شئ ولم تؤت ملك سليمان فتكون الاية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وقال بعض المفسرين في قوله كل نفس ذائقه الموت لما اخبر عز وجل عن الباخلين وكفرهم في قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا وامر المومنين بالصبر على اذاهم في قوله لتبلون في اموالكم وانفسكم الاية بين ان ذلك مما سفضى ولا يدوم فان امر الدنيا قريب ويوم القيامة يوم الجزا وقوله ذائقة من الذوق وهذا مما لا محيص للانسان عنه ولا محيد عنه لحيوان قال امية بن ابى الصلت

من لم يمت عبطه يمت هرما ٭ الموت كاس والمرء ذايقها ٭

وقال آخر ٥

الموت باب وكل الناس داخله ٭ فليت شعري بعد الباب ما الدار ٭

وقرا عامة القرا كل نفس ذايقة الموتِ بالاضافة وقرا الاعمش ويحيى وابن ابى اسحق ذائقةٌ الموتَ بالتنوين ونصب الموت قالوا لانها لم تذق بعد واعلم ان للموت اسبابا واماراتٍ فمن علامات موت المومن عرق الجبين اخرجه النسايي من حديث بريده رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المومن يموت بعرق الجبين فاذا احتضر العبد لقن الشهادة لقول النبي صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله لتكون آخر كلامه فيختم له بالسعاده ولا يجاد عليه منها ليلا يضجر ويستحب قرآة يس ذلك الوقت لقول النبي صلى الله عليه وسلم اقراوا يس على موتاكم اخرجه ابو داود وذكره الآجري في كتاب النصيحة من حديث ام الدرداء رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ميت يقرا عنده سوره يس الا هون عليه فاذا قضى وتبع البصر الروح كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وارتفعت العبادات وزال التكليف توجهت على الاحيا للميت احكام منها تغميضه واعلام اخوانه الصلحا بموته وكره ذلك قوم وقالوا هو من النعي والاول هو الصحيح ومنها الاخذ في تجهيزه بالغسل والدفن ليلا يسرع اليه التغير لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم اخروا ودفن ميتهم عجلوا بدفن جيفكم وقال صلى الله عليه وسلم اسرعوا بالجنازه وسالتي بيانه فاما غسله فهو سنة

لجميع المسلمين حاشى الشهيد على ما تقدم • وقيل غسله واجب وهذا قول بعضهم وعلى هذين
القولين جماعة العلما • وسبب الخلاف قوله صلى الله عليه وسلم لام عطية في غسلها ابنته زينب
على ما رواه مسلم • وقيل هي ام كلثوم على ما رواه ابو داود اغسلنها ثلاثا او خمسا او اكثر من ذلك
ان رايتن ذلك الحديث • وهو الاصل عند العلما في غسل الموتى • فقيل المراد بهذا الامر سائر حكم
الغسل فيكون واجبا • وقيل المقصود منه تعليم كيفية الغسل • فلا يكون فيه ما يدل على الوجوب
والواو يدل عليه قوله ان رايتن ذلك • وهذا يقتضي اخراج ظاهر الامر عن الوجوب • لانه صلى الله عليه
وسلم فوضه الى نظرهن • قيل لهم هذا فيه بعد • لان رد ان رايتن الى الامر ليس هو السابق
الى الفهم • وانما السابق الى الفهم رجوع هذا الشرط الى اقرب مذكور • وهو قوله اكثر من ذلك • او الى
التخيير في الاعداد • وعلى الجملة فلا خلاف في ان غسل الميت مشروع معمول به في الشريعة لا
يترك • وصفته كصفة غسل الجنابة على ما هو معروف • ولا يجاوز السبع غسلات في غسل
الميت بالاجماع على ما حكاه ابن عبد البر • فان خرج منه شيء بعد السبع غسل الموضع وحده •
وحكمه حكم الجنب اذا احدث بعد غسله • فاذا فرغ من غسله كفنه في اثوابه • والتكفين
واجب عند عامة العلما • فان كان له مال فمن راس ماله عند عامة العلما • الا ما حكي عن طاوس انه
من الثلث • سواء كان المال قليلا او كثيرا • فان كان الميت ممن يلزم غيره نفقته في حياته من سيد
او زوج او اب او ابن فعلى السيد باتفاق • وعلى الزوج والاب والابن باختلاف
ثم على ست المال • او على جماعة المسلمين على الكفاية • والذي يتعين منه تعين الفرض ستر العورة •
فان كان في الكفن فضل عن ذلك لا يعم جميع الجسد غطي راسه ووجهه اكراما للوجه وستر ما
يظهر من تخير محاسنه • والاصل في هذا قصة مصعب بن عمير رضي الله عنه • فانه ترك يوم احد
نمرة كان اذا غطي بها راسه خرجت رجلاه • واذا غطي بها رجلاه خرج راسه • فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضعوها مما يلي راسه • واجعلوا على رجليه من الاذخر • والوتر في الكفن
مستحب عند عامة العلما • وكلهم مجمعون على ان ليس فيه حد • والمستحب منه البياض لما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البسوا من ثيابكم البياض فانه من خير ثيابكم • وكفنوا فيها موتاكم •
اخرجه ابو داود • وكفن النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب سحولية من كرسف • اي من قطن

وانما توفون اجوركم يوم القيامة

عن النار وادخل الجنة فقد فاز

وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

من هذا المتاع بطاعة الله تعالى ما استطاع • ولقد احسن من قال ؎

هى الدار دار الاذى والقذى ؎ ودار العنا ودار الغير ؎

فلو نلتها لحظة فيرها ؎ لمت ولم تقض منها الوطر ؎

أيا من يؤمل طول الخلود ؎ وطول الخلود عليه ضرر ؎

اذا انت شبت وبان الشباب ؎ فلا خير فى العيش بعد الكبر ؎

والغرور بالضم هو ما يغر الانسان مما لا يدوم • وقيل الغرور الباطل • ومعنى الاية ان منفعة الانسان بالدنيا كمنفعته بهذه الاشياء التى يستمتع بها ثم تزول عن قريب • وقيل متاع متروك يوشك ان يضمحل ويزول • فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم • وقال سعيد بن جبير هى متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الاخرة • فاما من اشتغل بطلب الاخرة فهى له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها • وروى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • اقرءوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين • رواه البزار • وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها • واقرءوا ان شئتم وظل ممدود • وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها • واقرءوا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور • وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم • فانه من كانت الدنيا اكبر همه افشا الله ضيعته وجعل فقره بين عينيه • ومن كانت الآخرة اكبر همه جمع الله له امره وجعل غناه فى قلبه • وما اقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل الا جعل قلوب المومنين تفد اليه بالود والرحمة وكان الله به بكل خير اسرع • وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كانت نيته الاخرة جعل الله الغنا فى قلبه وجمع له شمله ونزع الفقر من بين عينيه واتته الدنيا وهى راغمة • فلا يصبح الا غنيا ولا يمسى الا غنيا • ومن كانت نيته الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه فلا يصبح الا فقيرا ولا يمسى الا فقيرا • وعن عمران ابن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مونة • ورزقه من حيث لا يحتسب • ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى اليها • وعن ابن عمر رضى الله عنهما

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جعل الدنيا الهمّ هما واحدا كفاه الله هم دنياه ومن
تشعّبته الهموم لم يبال الله في اي اودية الدنيا اهلكه رواه الحاكم والبيهقي وعن ابي ذر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء رواه
الطبراني وعن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اصبح حزينا على
الدنيا اصبح ساخطا على ربه رواه الطبراني رحمه الله قوله عز وجل لتبلون في اموالكم وانفسكم
اللام لام القسم تقديره والله لتبلون اي لتختبرن فوقع عليكم المحن ليعلم المومن من غيره والاختبار
طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردي وذلك في وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق الاشيا
قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى انه يعامل العبد معاملة المختبر
وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته والمعنى لتختبرن ولتمتحنن في اموالكم بالمصايب
والرزايا والانفاق في سبيل الله وسايير تكاليف الشرع وقيل الابتلا في الاموال بالنقصان
منها وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق والابتلا في الانفس بالموت والامراض والمصايب
وفقد الاقارب والعشاير والاحباب خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال
الاذى وما سيلقون من الشدايد والمصاب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم
مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه بغتة فينكرها وتشمير منها قال
العلما وانما بدا سبحانه بذكر الاموال لكثرة المصايب بها وقوله ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا قال عكرمة ومقاتل والكلبي وابن جريج نزلت هذه
الآية في ابي بكر الصديق وفنحاص بن عازورا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر الى فنحاص
سيد بني قينقاع يستمده وكتب اليه معه كتابا وقال لابي بكر لا تفتاتن على شيء حتى ترجع
فحا ابو بكر رضي الله عنه وهو متوشح بالسيف الى فنحاص فاعطاه كتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قراه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى يمده فهمّ ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر
قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن على شيء حتى ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه
الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه
وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره ويتوثب على النبي صلى الله عليه وسلم كفار

قريش وشبب بنسا المسلمين حتى بعث الله رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمه واصحابه
فقتله على ما سنبينه • وروى البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله • قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله قال
نعم • قال ايذن لى فلا قل • قال قل • فاتاه فقال له وذكر ما بينهم • وقال ان هذا الرجل قد اراد
الصدقه وقد عنانا • فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه • قال انا قد اتبعناه ونكره الآن
ان ندعه حتى ننظر الى اى شى يصير امره • قال وقد اردت ان تسلفنى سلفا • قال فما ترهننى ابرهنى
نساكم • قال انت اجمل العرب • ارهنك نسانا • قال له ترهنونى اولادكم • قال يسب ابن احدنا
فيقال رهن فى وسقين من تمر • ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح • قال نعم • وواعده ان ياتيه بالحارث
وابى عبس بن جبر وعباد بن بشر • قال فجاءوا فدعوه ليلا فنزل اليهم • قالت امراته انى لاسمع صوتا
كانه صوت دم • قال انما هو محمد ورضيعى ابو نايلة ان الكريم لو دعى الى طعنة ليلا لاجاب • قال
محمد انى اذا جاء فسوف امد يدى الى راسه فاذا استمكنت منه فدونكم • قال فلما نزل نزل
وهو متوشح • فقالوا نجد منك ريح الطيب • قال نعم يحتى فلانة اعطر نسا العرب • قال فتاذن
لى ان اشم منه • قال نعم • فشم فتناول فشم • ثم قال اتاذن لى ان اعود • قال فاستمكن من راسه • ثم قال
دونكم فقتلوه • زاد فى رواية ثم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فاخبروه • وروى اهل السير
والتاريخ قصة مقتل كعب باطول من هذا • قالوا ولما قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
قتل من صناديد قريش وعظمائهم يوم بدر وتوجه راجعا الى المدينه بعث زيد بن حارثة
وعبد الله بن رواحة بشير بن الى من بالمدينة من المسلمين يفتح الله عليه وقتل من قتل من المشركين
وان كعب بن الاشرف وكان رجلا من طيئ ثم احد بنى نبهان • وامه من بنى النضير حين بلغه
هذا الخبر احق هذا اترون ان محمدا قتل هولا الذين يسمى هذان الرجلان • فهو لا والله اشراف
العرب وملوك الناس • والله لئن كان محمد اصاب هولا القوم لبطن الارض خير لنا من ظهرها • فلما
تبين عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة فجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد
الاشعار ويبكى اصحاب القليب من قريش • ثم رجع الى المدينه فشبب بنسا المسلمين حتى اذاهم •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لى من ابن الاشرف • فقال له محمد بن مسلمة الاشهلى انا

لك به يا رسول الله انا اقتله قال فافعل ان قدرت على ذلك فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا
لا ياكل ولا يشرب الا ما يعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال
له لم تركت الطعام والشراب فقال يا رسول الله قلت لك قولا لا ادرى هل افين لك به ام لا
قال انما عليك الجهد قال يا رسول الله انه لا بد لنا من ان نقول قال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل
من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة ابو نايلة وعباد بن بشر والحارث
ابن اوس وكلهم من بني عبد الاشهل وابو عبس بن جبر اخو بني حارثة ثم قدموا الى عدو الله
ابن الاشرف سلكان بن سلامة وكان اخاه من الرضاعة فجاه فتحدث معه ساعة ثم قال
ويحك يا ابن الاشرف اني قد جيتك لحاجة اريد ذكرها لك فاكتم عني قال افعل قال كان قدوم
هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل
حتى ضاع العيال وجهدت الانفس فقال كعب انا ابن الاشرف اما والله لقد كنت اخبرك يا
ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما اقول فقال له سلكان اني قد اردت ان تبيعنا طعاما
ونرهنك ونوثق لك قال اترهنوني نساكم قال كيف نرهنك نسانا وانت اشب اهل يثرب
واعطرهم قال اترهنوني ابناكم قال لقد اردت ان تفضحنا بسب ابن احدنا فيقال رهن في وسق
شعير ثم قال له ان معي اصحابا لي على مثل رايي وقد اردت ان آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في
ذلك ونرهنك من الحلقة ما فيه وفا واراد سلكان ان لا ينكر السلاح اذا جاوا بها قال ان
في الحلقة لوفا فرجع سلكان الى اصحابه فاخبرهم وامرهم ان ياخذوا السلاح ويجتمعوا عليه
فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى معهم صلوات الله عليه الى بقيع الغرقد في ليلة
مقمرة ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم ثم رجع الى بيته فاقبلوا حتى انتهوا
الى حصنه فهتف به ابو نايلة وكان حديث عهد بعرس فوثب في ملحفته فاخذت امراته
بناحيتها وقالت انك امرو محارب وان اصحاب الحرب لا ينزلون هذه الساعة قال انه ابو
نايلة لو وجدني نايما ما ايقظني فقالت والله اني لاعرف في صوته الشر فقال لها كعب لو
يدعى الفتا لطعنه لاجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه فقالوا له هل لك يا ابن
الاشرف ان نتماشى الى شعب العجوز فنتحدث فيه بقية ليلتنا هذه قال ان شيتم فخرجوا يتماشون

عليه وسلم سر بعبد الله بن أبي وهو صلى الله عليه وسلم على حمار فدعاه إلى الله عز وجل فقال
ابن أبي إن كان ما تقول حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا يعني القرآن وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص
عليه وقيض على الله ليلا يصيب وغبار الحمار فقال ابن رواحة بلى يا رسول الله فالمشنا به في
مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستب المشركون الذين كانوا حول عبد الله بن أبي والمسلمون وما زال
النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم دخل على سعد بن عبادة يعوده وهو مريض فقال له
تسمع ما قال ابن حباب يعني عبد الله بن أبي فقال سعد اعف عنه يا رسول الله فاصفح فوالذي أنزل
عليك الكتاب لقد جاءك الله بالحق الذي نزل وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه
بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق به فذلك فعل به ما رأيت فعفا عنه
وقول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال بعضهم لتبلون في أموالكم
وأنفسكم أي مصائب الأقارب والعشائر وقال عكرمة المهاجرون أخذ المشركون أموالهم
وباعوا رباعهم وعذبوهم وقال الحسن هو ما فرض الله في أموالهم من الحقوق وعليهم من الصلاة
والصيام والحج والجهاد والزكاة وقال عز من قائل وإن تصبروا وتتقوا هذا الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يعني وإن تصبروا على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم
عنه لأن الصبر عبارة عن احتمال الأذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي
فإن ذلك من عزم الأمور أي من صواب التدبير الذي لا شك أن الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه
وأصله من قولك عزمت عليك أن تفعل كذا أي ألزمتك أن تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل
معناه فإن ذلك مما قد عزم عليكم فعله أي ألزمتم الأخذ به قوله تعالى وإذ أخذ
الله أي واذكر بالحمد وقت إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى
والمراد بهم العلماء خاصة وقيل المراد بالذين أوتوا الكتاب العلماء والأحبار من اليهود خاصة
وأخذ الميثاق هو التوكيد والإلزام لبيان ما أوتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل لتبيننه
للناس يعني ليبينن ما في الكتاب وليظهرنه للناس حتى يعلمونه وذلك أن الله تعالى أوجب على
علماء التوراة والإنجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكتمونه يعني ولا تخفون ذلك عن الناس فنبذوه يعني الكتاب وقيل

المساق

الميثاق وراظهورهم اى فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا قليلا يعنى
المآكل والرشى التى كانوا ياخذونها من عوامهم وسفلتهم فبيس ما يشترون ذمهم الله تعالى
على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الآية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
فلا بعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل كتاب وهو القران وهو اشرف
الكتب قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيا فليعلمه واياكم وكتمان
العلم فانه هلكة وقال ايضا مثل علم لا ينقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل
صنم لا ياكل ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله
وهذا استمع خيرا فوعاه وقبله عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجمه الله بلجام من نار اخرجه الترمذى ولابى داود ومن
سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة رضى الله عنه لولا ما
اخذ الله عز وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم شيا ثم تلا هذه الآية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب الآية وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهرى بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت
اردت ان تحدثنى فقال اما علمت انى قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثنى واما ان احدثك
قال حدثنى فقلت حدثنى الحكم بن عيينة عن يحيى بن الخزاز قال سمعت على بن ابى طالب رضى الله
عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثنى
اربعين حديثا قوله عز وجل لا تحسبن قرى بالتاء على الخطاب اى ولا تحسبن يا محمد
الفارحين وقرى بالياء على الغيبة يعنى ولا يحسبن الفارحون والمعنى ولا تحسبن الذين يفرحون
فرحهم منجيا لهم من العذاب اختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآية فقال بعضهم انها نزلت
فى المنافقين لما روى فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رجالا من المنافقين على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا
عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا الآية وقيل انها نزلت فى اليهود لما روى ايضا فى الصحيحين عن حميد بن عبد الرحمن بن

عوف رضي الله عنهما ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ
منا فرح بما اوتي واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم
ولهذه الآية انما نزلت هذه الآية في اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ليبيننه للناس هذه الآية وتلا ابن عباس ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه اياه
واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا
بما اتوا من كتمانهم اياه ما سالهم عنه وعن رافع بن خديج انه كان هو وزيد بن ثابت عند
مروان وهو يومئذ امير المدينة فقال مروان لرافع في اي شيء انزلت هذه الآية لا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا الآية قال رافع انزلت في اناس من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه في سفر تخلفوا عنهم فانكر مروان فقال ما هذا فجزع رافع وقال لزيد بن
ثابت انشدك الله هل تعلم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زيد نعم فخرج من عند مروان
فقال زيد لرافع وهو ممزح معه اما تحدثني اما شهدت لك قال رافع اي شيء هذا احمدك
على ان تشهد بالحق قال زيد نعم قد حمدك الله على الحق اهله وقوله تعالى بما اتوا يعني
يفرحون بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اي ويحبون ان يحمدهم الناس على شيء لم
يفعلوه قل عني سبحانه بذلك قوما من احبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة
الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس رضي الله عنه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله
ولهم عذاب اليم يعني فنحاص بن عازورا واشيع واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون
من الدنيا على ما ارتشوا للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس لهم علماء
وليسوا باهل علم وقال محمد بن كعب القرظي انما نزلت في علماء بني اسرائيل الذين كتموا الحق واتوا
ملوكهم من العلم بما يوافقهم في باطلهم واشتروا به ثمنا قليلا بما اعطوهم الملوك من الدنيا
فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
الى قوله ولهم عذاب اليم فاخبر ان لهم عذابا اليما بما افسدوا من الدين على عباد الله وقال
الضحاك ان اليهود كانوا يقولون للملوك انا نجد في كتابنا ان الله سيبعث نبيا في آخر الزمان يختم به

النبوه • فلما بعثه الله سالهم الملوك اهو هذا الذى تجدونه فى كتابكم فقال اليهود طمعا فى
اموال الملوك هو غير هذا • فاعطاهم الملوك الخزاين • فقال الله عز وجل لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا الملوك من الكذب حتى ياخذوا عرض الدنيا • والحديث الاول خلاف مقتضى الحديث الثانى •
ويحتمل ان يكون نزول الايه على السببين معًا لاجتماعهما فى زمان واحد فكانت جوابا للفريقين
والله اعلم • وقال بعضهم هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم • وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود فى الارض
كلها ان محمدا ليس بنبى فاثبتوا على دينكم • فاجتمعت كلمتهم على الكفر • ففرحوا بذلك • وقالوا نحن
اهل الصوم والصلاه • واحبوا ان يحمدوا على ذلك • وقيل فرحوا بما اتوا من تبديلهم التوراه • واحبوا
ان يحمدهم الناس على ذلك • وقيل فرحوا بما اتوا من تبديلهم التوراه واحبوا ان يحمدهم الناس
على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك •
وقالوا لاصحابه نحن على رايكم ونحن لكم رِدْءٌ • وليس ذلك فى قلوبهم • واحبوا ان يحمدهم النبى صلى الله
عليه وسلم والمسلمون على ذلك • قال الله عز وجل فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اى فلا
تظننهم بمنجاة من العذاب الذى اعده الله لهم فى الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية
والذلة والصغار ولهم عذاب اليم يعنى فى الآخره • وهذه الاية وان كانت قد نزلت فى اليهود
او المنافقين خاصة فان حكمها عام فى كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او
ينسب الى العلم وليس هو كذلك • والله اعلم بمراده • قوله تعالى ولله ملك السموات والارض يعنى
انه تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشا • وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير ونحن
اغنيا • يقول الله عز وجل من له ما حوته السموات والارض من شى فكيف يكون من هذا ملكه
فقيرا والله على كل شى قدير يعنى انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة لهم على ذلك القول ولكنه
تفضل على خلقه بامهالهم • قوله عز وجل ان فى خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولى الالباب قال المفسرون ان الله تبارك وتعالى ختم هذه السورة
العظيمة بالنظر والاستدلال فى اياته • اذ لا تصدر الا عن حى قيوم قدير قدوس سلام
غنى عن العالمين حتى يكون ايمانهم مستندا الى اليقين لا الى التقليد • وقوله لاولى الالباب اى

بالمدينه صح

جميع صح

الذين يستعملون عقولهم في تامل الدلايل • وروى عن عايشه رضي الله عنها انه لما نزلت هذه
الاية على النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي فاتاه بلال يوذنه بالصلاه فراه يصلي فقال يا رسول
الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر • فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا •
ولقد انزل علي الليله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب •
ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها • وروى من طريق آخر عن عطا بن ابي رباح انه قال
دخلت مع ابن عمر على عايشة رضي الله عنها فبكت فاطالت • ثم قالت كل امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم عجب • اتاني في ليلتي فدخل معي في لحافي حتى الصق جلده بجلدي • ثم قال لي يا عايشة هل
لك ان تاذني لي الليله في عبادة ربي عز وجل • فقلت والله يرسول الله اني لاحب قربك وهواك •
قد اذنت لك • فقام الى قربة من ما في البيت فتوضا ولم يكثر صب الما • ثم قام يصلي فقرا من القران
وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه • ثم جلس فحمد الله واثنى عليه • ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى
رايت دموعه قد بلت الارض • فاتاه بلال يوذنه بصلاة الغداة فراه يبكي • فقال يرسول الله
تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر • فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا • ثم قال
ومالي لا ابكي وقد انزل الله عز وجل علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الى آخرها • ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها • وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر
في السما ثم يقول ان في خلق السموات والارض الى قوله فقنا عذاب النار • وعن بريده رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشد اية في القران على الجن ان في خلق السموات والارض الى
آخر الاية • وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان اهل مكة سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم
باية فنزلت هذه الآية • والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشاته من السموات
والارض لمعاشكم وارزاقكم • وفيما عقبت من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما في الطول والقصر
فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما لمعاشكم وطلب ارزاقكم في النهار وتسكنون
بالليل لراحة اجسادكم • فاعتبروا وتفكروا يا اولي الالباب • يعني يا ذوي العقول الصافية
الذين يفتحون بصايرهم للنظر والاستدلال والاعتبار • لا ينظرون اليها نظر البهايم غافلين •

او قال وهو يبكي

عما

عمّا فيها من عجايب مخلوقاته وغرايب مبتدعاته وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه بات عند ميمونة ام المومنين وهي خالته قال فقلت لأنظرن الى صلاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادةً فاضطجعتُ في عرض الوسادة
واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس
يمسح النوم عن وجهه بيديه ثم قرا العشر آيات الخواتم من سورة ال عمران ثم قام الى شن معلقه
فتوضا منها فاحسن وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع
ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على راسي واخذ باذني
يفتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن
فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فاخذني فجعلني
عن يمينه وفي رواية قال بتّ في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر الى السما فقال ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب وذكره قال العلما رضي الله عنهم يستحب
لمن انتبه من نومه ان يمسح على وجهه ويستفتح قيامه بقراة هذه العشر الآيات اقتدا بالنبي صلى
صلى الله عليه وسلم لما ثبت في الصحيحين ثم يصلي ما كتب له فيجمع بين التفكر والعمل وهو افضل
العمل على ما سياتي بيانه في الآية بعد هذا وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرا عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه
قال من قرا آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليله وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اتت
قريش اليهود فقالوا ما جاكم به موسى من الآيات قالوا عصاه ويد بيضا للناظرين فاتوا النصارى
فقالوا ما كان عيسى فيكم قالوا يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فانزل الله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولي الالباب ثم وصفهم فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم قال العلما ذكر الله تعالى ثلاث هيآت لا تخلوا ابن ادم منها في غالب امره وقال على

ابن ابی طالب وابن مسعود وابن عباس وقتاده هذا فی الصلاه یعنی الذین یصلون قیاما فان عجزوا
فقعودا فان عجزوا فعلی جنوبهم والمعنی انهم لا یترکون الصلاه فی حال من الاحوال بل یصلون
فی کل حال وروی البخاری عن عمران بن حصین رضی الله عنه قال کانت بی بواسیر فسالت النبی صلی الله
علیه وسلم عن الصلاه فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلی جنب واخرجه
الترمذی وقال فیه سالته عن صلاه المریض وذکر نحوه قال الامام الشافعی رضی الله عنه اذا
صلی المریض مضطجعا وجب علیه ان یصلی علی جنب ویومی براسه ایماء وقال الامام ابو حنیفه
رضی الله عنه بل یصلی مستلقیا علی ظهره فان وجد خفه قعد وقال اکثر المفسرین اراد به
المداومه علی الذکر فی غالب الاحوال لان الانسان قل ان یخلو من احدی هذه الثلاث حالات وهی
القیام والقعود وکونه نایما علی جنبه وروی مسلم عن عائشه رضی الله عنها قالت کان رسول الله
صلی الله علیه وسلم یذکر الله عز وجل فی کل احیانه وعن معاذ بن جبل رضی الله عنه قال قال
رسول الله صلی الله علیه وسلم من احب ان یرتع فی ریاض الجنه فلیکثر ذکر الله ویروی عن النبی
صلی الله علیه وسلم انه قال ذکر الله علم الایمان وبراءه من النفاق وحصن من الشیطان وحرز
من النیران وقال الله عز وجل لموسی علیه السلام یا موسی اجعلنی منک علی بال ولا تنس ذکری علی
کل حال ولیکن همک ذکری فان الطریق علی ذلک وعن ابی هریره رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله
علیه وسلم قال من قعد مقعدا لم یذکر الله فیه کانت علیه من الله ترهه ومن اضطجع مضجعا
لا یذکر الله فیه کانت علیه من الله ترهه وما مشی احد ممشا لا یذکر الله فیه الا کانت علیه من الله
ترهه اخرجه ابو داود والترهه هو النقص وقیل هی هنا التبعه قال بعض العلماء وقول عائشه
رضی الله عنها کان رسول الله صلی الله علیه وسلم یذکر الله علی کل احیانه قد دخل فی ذلک کونه علی الخلا
وغیر ذلک وقد اختلف العلماء فی هذا فاجازه عبد الله بن عمرو وابن سیرین والنخعی وکرهه
ابن عباس وعطا والشعبی وصحح بعضهم الاول لعموم الآیه والحدیث وقال النخعی لا باس بذکر
الله فی الخلا فانه بیعد یعنی تصعد به الملائکه مکتوبا فی صحفهم بدلیل قوله تعالی ما یلفظ
من قول الا لدیه رقیب عتید وقوله وان علیکم لحافظین کراما کاتبین ولان الله تعالی امر عباده
بالذکر علی کل حال من غیر استثنا بقوله اذکروا الله ذکرا کثیرا وقال تعالی فاذکرونی اذکرکم

وقال

وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ولانه تعالى امر عباده انا لانضيع اجر من
احسن عملا فعمم سبحانه • فذاكر الله فى كل حالاته مثاب ماجورا ان شاء الله • وذكر ابو نعيم قال
حدثنا ابو بكر بن مالك • قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل • قال حدثنى ابى • قال حدثنا وكيع •
عن سفين عن عطاء بن ابى مروان عن ابيه عن كعب الاحبار • قال قال موسى عليه السلام يارب اقرب
انت فاناجيك ام بعيد فانادیك • قال يا موسى انا جليس من ذكرنى • قال يارب فانا نكون
من الحال على حال نجلك ونعظمك ان نذكرك • قال وما هى • قال الجنابة والغايط • قال يا
موسى اذكرنى على كل حال • فهذا دليل من اجاز ذلك • واما كراهه من كره ذلك • اما لتنزيه
ذكر الله تعالى فى المواضع المرغوب عن ذكره فيها كالكراهة قراءة القران فى الحمام • واما اتفاقا
على الكرام الكاتبين على ان يجلهم موضع الاقذار والانجاس لكتابة ما يلفظ به • والله اعلم ۞
وذهب جماعة من المفسرين منهم الحسن وغيره الى ان قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم انما هو عبارة عن الصلاة اى لا يضيعونها • وقد قدمنا هذا القول عقب الآية ففى
حال العذر يصلونها قعودا وعلى جنوبهم • ونظير هذه الاية قوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم • وهذا قول على وابن مسعود • وابن عباس وقتاده كما ذكرنا • واذا
كانت الاية فى الصلاة ففقهها ان الانسان يصلى قائما فان لم يستطع فقاعدا • فان لم يستطع
فعلى جنب كما ثبت عن عمران بن حصين • وتقدم حديثه آنفا • وقد كان النبى صلى الله عليه
وسلم يصلى قاعدا قبل موته بعام فى صلاة النافلة • على ما ثبت فى صحيح مسلم • واختلف العلماء
فى كيفية صلاة المريض والقاعد وهيئتهما • فذكر ابن عبد الحكم عن الامام مالك انه يتربع فى
قيامه • ورواه البويطى عن الامام الشافعى • فاذا اراد السجود تهيأ للسجود على قدر ما يطيق •
قال وكذلك المسفل • ونحو هذا قول سفين الثورى • وبه قال الليث بن سعد • والامام احمد •
واسحق • وابو يوسف • ومحمد بن الحسن • وقال الامام الشافعى فى رواية المزنى يجلس فى صلاته
كلها كجلوس التشهد • وهذا القول مروى عن الامام مالك واصحابه • والاول هو المشهور • وهو
ظاهر لفظ المدونة • وقال الامام ابو حنيفه وطائفه يجلس كجلوس التشهد • وكذلك يركع
ويسجد • والله اعلم • فان لم يستطع القعود صلى على جنبه او على ظهره على التخيير • هذا لفظ

المدونه • وحكى ابن حبيب عن ابن القاسم انه يصلى على ظهره • فان لم يستطع فعلى جنبه الايمن ثم
على جنبه الايسر • وفى كتاب ابن المواز عكسه يصلى على جنبه الايمن • والافعلى الايسر • والافعلى
الظهر • وقال سحنون يصلى على الايمن كما يجعل فى لحده • والآفعلى ظهره • والافعلى الايسر •
وقال الامام مالك والامام ابو حنيفة اذا صلى مضطجعا تكون رجلاه مما يلى القبله • وقال
سفين الثورى والامام الشافعى يصلى على جنبه ووجهه الى القبله • فان وجد المريض قوة
لخفة المرض وهو فى الصلاه • فقال ابن القاسم انه يقوم فيما بقى من الصلاه • ويبنى على ما مضى • وهو
قول الامام الشافعى وزفر • وقال الامام ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن فيمن صلى
مضطجعا ركعة ثم صح انه يستقبل الصلاه من اولها • ولو كان قاعدا يركع ويسجد ثم صح بنا
فى قول الامام ابى حنيفة • ولم يبن فى قول محمد بن الحسن • وقال الامام ابو حنيفه واصحابه اذا
افتتح الصلاة قآئما ثم صار الى حد الايماء فليبن • وقال الامام مالك فى المريض الذى لا يستطع
الركوع ولا السجود وهو يستطيع القيام والجلوس انه يصلى قآئما ويومى بالركوع • فاذا اراد السجود
جلس وايما بالسجود • وهو قول ابى يوسف • وقياس قول الامام الشافعى • وقال الامام ابو حنيفه
واصحابه يصلى قاعدا • والله اعلم • وقوله تعالى وتتفكرون فى خلق السموات والارض قال
العلماء اصل الفكر اعمال الخاطر فى الشى وتردد القلب فى ذلك الشى • وهو قوة مطرقه للعلم الى المعلوم
والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل • ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة فى القلب • ولهذا
قيل تفكروا فى آلاء الله • ولا تفكروا فى الله اذ كان الله تعالى منزها ان يوصف بصورة • فلذلك اخبر
سبحانه عن عباده الصالحين بانهم يتفكروا فى خلق السموات والارض • وما ابدع فيهما من عجايب
مصنوعاته • وغرايب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى • ويعلموا
ان لها خالقا قادرا مدبرا حكيما • لان عظم اثاره وافعاله تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى
كما قيل ۞ وفى كل شى له آية تدل على انه واحد • وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك •
لان الفكر مستعمل فى المعانى • وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها • وقيل
الفكرة تذهب الغفلة • وتحدث للقلب الخشية كما تحدث المآ للزرع النما • وما جلب القلوب
مثل الاحزان • ولا استثارت بمثل الفكره • وقال بعضهم معنى يتفكرون فى خلق السموات والارض ان

لهما صانعا وقادرا ومدبرا وحكيما • عن ابى هريره رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لما اسرى بى الى السما السابعة فاذا وهج ودخان واصوات • فقلت ما هذا ما جبريل قال
هذه الشياطين يحرفون على اعين بنى آدم ان لا يفكروا فى خلق السموات والارض • ولولا ذلك لراوا
العجايب • وحكى ان سفين الثورى صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع راسه الى السما فلما راى
الكوكب غشى عليه • وكان سفين سهل الدمع من طول حزنه وفكرته • وعن ابى هريره رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى
النجوم والى السما فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى • قال فنظر الله اليه فغفر له •
وقال ابو الاحوص بلغنى ان عابدا تعبد فى بنى اسرآيل ثلاثين سنة • وكان الرجل اذا تعبد
ثلاثين سنة اظلته غمامة • فلم ير شيا فشكى ذلك الى والدته • فقالت يا بنى فكر هل اذنبت
ذنبا منذ اخذت فى عبادتك • قال لا • ولا اعلمنى همت به منذ ثلاثين سنة • قالت يا بنى
بقيت واحدة ان نجوت منها رجوت ان تظلك يعنى الغمامة • قال وما هى قالت هل رفعت
طرفك الى السما ثم رددته بغير فكرة • قال كثيرا يا اماه • قالت فمن هاهنا اتيت • وقال بعضهم
ايضا الفكره تردد القلب فى الشى • ويقال رجل فكير اى كثير التفكر • ومر النبى صلى الله عليه
وسلم على قوم يتفكرون فى الله • فقال تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق • فانكم لا تقدرون
قدره • وانما التفكر والاعتبار وانبساط الذهن فى المخلوقات • كما قال تعالى ويتفكرون فى خلق
السموات والارض • وروى ابن القاسم عن الامام مالك قال قيل لام الدرداء رضى الله عنها ما كان
اكثر شان ابى الدرداء • قالت كان اكثر شانه التفكر • قيل له افترى التفكر عملا من الاعمال • قال
نعم هو التفكر • وقيل لسعيد بن المسيب فى الصلاة بين الظهر والعصر • فقال ليست هذه عبادة
انما العبادة الورع عما حرم الله • والتفكر فى امر الله • وقال الحسن الفكرة مرآة المومن ينظر
فيها الى حسناته وسيآته • ومن جمله المتفكر فيه مخاوف الاخرة من الحشر والنشر والجنة
ونعيمها والنار وعذابها • وكذلك الصراط والميزان والصحف • واهوال القيامة وشدايدها •
ويروى ان ابا سليمن الدارانى رحمة الله عليه اخذ ابريق المآ ليتوضا لصلاة الليل • وعنده
ضيف له فراه الوضو لما ادخل يده فى اذن الابريق اقام كذلك مفكرا حتى طلع الفجر •

بحور

فقال له ما هذا يا سيدي فقال يا بني اني لما طرحت اصبعي في اذن الابريق تفكرت في قول الله عز
وجل اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون ففكرت في حالي وكيف اتلقى الغل ان طرح
في عنقي يوم القيامة فما زلت في ذلك حتى اصبحت قال ابن عطيه وهذا نهاية الخوف وخير
الامور اوساطها وقال ابن العربي اختلف الناس اي العملين افضل التفكر ام الصلاة فذهب
الصوفيه الى ان التفكر افضل لانه يثمر المعرفة وهو افضل المقامات الشرعيه وذهب الفقها
الى ان الصلاه افضل لما ورد من الاحاديث عليها والدعا اليها والترغيب فيها وفي الصحيحين
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه بات عند خالته ميمونه وفيه فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمسح النوم عن وجهه ثم قرا العشر الايات الخواتم من سوره آل عمران وقام الى شن معلق
فتوضا وضوا خفيفا ثم صلى ثلاث عشره ركعة الحديث فانظروا رحمكم الله الى جمعه صلوات الله
عليه بين الفكر في المخلوقات ثم اقباله على صلاته بعده وهذه هي السنة التي يعتمد عليها والله اعلم
وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال
قدرتك والباطل هو الزايل الذاهب ومنه قول لبيد

الا كل شي ما خلا الله باطل ۞ اي زايل

سبحانك اي تنزيها لك عن ان تخلق شيا عبثا لغير حكمة فقنا عذاب النار يعني انا قد صدقنا
بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب
النار تعليم عباده كيفيه الدعا فمن اراد ان يدعو فليقدم الثنا على الله اولا ويدل عليه قوله
سبحانك وبعد ذلك الثنا ياتي بالدعا ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار قوله تعالى ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته اي اهنته واذللته وقيل اهلكته وانشد المفضل

اخزى الاله من الصليب الهه ۞ واللابسين قلانس الرهبان ۞

وقيل معنى اخزيته اي فضحته وابعدته وابلغت في اخزايه يقال اخزاه الله اذا ابعده ومقته
والاسم الخزي قال ابن السكيت خزي يخزى خزيا اذا وقع في بلية وقال بعضهم ايضا الخزي
ضرب من الاستخفاف او انكسار يلحق الانسان وهو الحيا المفرط فان قيل قد تمسكت
المعتزلة بهذه الاية وقالوا قد اخبر الله سبحانه انه لا يخزي النبي والذين آمنوا معه فوجب ان كل

من

من يدخل النار لا يكون مومنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى ٥
قد له قد ذكر العلما في الجواب وجوها احدها ما روى عن انس رضى الله عنه في تفسير قوله
تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من تخلده وروى نحوه عن سعيد بن المسيب قال
هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يروون اخراج
الموحدين من النار اما على مذهب المعتزله فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد
في النار فهو داخل في قوله فقد اخزيته الوجه الثاني في الجواب ان المدخل في النار
مخزى في حال دخوله وان كان عاقبته ان يخرج منها ومعنى الآية على هذا فقد اخزيته
بدخوله فيها وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روى عن عمرو بن دينار قال
قدم علينا جابر بن عبد الله رضى الله عنه في عمرة فانتهيت اليه انا وعطا فسالته عن هذه الآية
ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقال أوما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذا
لخزيا وهذا الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من أدخل النار فقد خزى بدخوله اياها
وان اخرج منها وذلك الخزى هو هتك المخزى وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الآية على
العموم اولى من نقلها الى خصوص لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اهل
المعاني وهو ان الخزى يحتمل معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها
الاخجال يقال خزى خزاية اذا استحيى واذا عمل عملا يستحى منه ويخجل فيكون خزى المومن
الذى يدخل النار الحيا من المومنين بدخوله النار الى ان يخرج منها وخزى الكافر الهلاك
بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزا مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ
المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا يسقط الاستدلال
الوجه الرابع في الجواب وهو الذى اختاره الامام فخر الدين الرازى وصحة ان قوله
تعالى يوم لا يخزى الله النبي والذين امنوا معه لا تقتضى نفي الاخزا مطلقا وانما تقتضى ان لا
يحصل الاخزا حال ما يكونوا مع النبي وهذا النفي لا يناقضه اثبات الاخزا في الجملة لاحتمال
ان يحصل ذلك الاثبات في وقت اخر والله اعلم بمراده وقوله تعالى وما للظالمين من انصار
يعني وما للمشركين الذين وضعوا العباده في غير موضعها من انصار ينصرونهم يوم القيامة او

منعونهم من العذاب. قوله عز وجل ربنا انا سمعنا منادیا ینادی للایمان قال ابن
عباس وابن مسعود واکثر المفسرین ان المنادی هو سیدنا ونبینا محمد صلی الله علیه وسلم ویدل
علی صحة هذا القول قول الله تعالی ادع الی سبیل ربک بالحکمة وقوله تعالی وداعیا الی الله باذنه
وقال قتاده ومحمد بن کعب القرظی المنادی هو القران. اذ لیس کل احد یلقی النبی صلی الله علیه
وسلم. ووجه هذا القول ان کل احد یسمع القران ویفهمه. فاذا وفقه الله تعالی للایمان به
فقد فاز به. وذلک لان القران مشتمل علی الرشد والهدی وانواع الدلایل الدالة علی الوحدانیة
فصار کالداعی الیها. واللام فی قوله للایمان بمعنی الی یعنی ینادی الی الایمان. کقوله ثم یعودون
لما نهوا عنه. ای الی ما نهوا عنه. وقوله بان ربک اوحی لها. ای اوحی الیها. وقوله الحمد لله الذی
هدانا لهذا. ای الی هذا. ومثل هذا کثیر. وقیل هی لام اجل. ای لاجل الایمان ان آمنوا بربکم
فآمنا ای فصدقنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا یعنی کبایر ذنوبنا وکفر عنا سیئاتنا ای صغایر
ذنوبنا. وقیل ان الغفر هو الستر والتغطیة وکذلک التکفیر فهما بمعنی واحد. وانما ذکرهما
للتاکید. لان الالحاح فی الدعا والمبالغة فیه مندوب الیه. وقیل معناه اغفر لنا ما تقدم
من ذنوبنا وکفر عنا سیئاتنا فی المستقبل. وقیل یرید بالغفران ما یزول بالتوبة من الذنوب
وبالتکفیر ما یکفر الطاعات من الذنوب. وتوفنا مع الابرار یعنی فی جملتهم وزمرتهم. والابرار
هم الانبیا والصالحون. والمعنی توفنا علی مثل اعمالهم یعنی نکون فی درجتهم یوم القیامة. وقیل
توفنا فی جملة آبائنا واشیاعهم ربنا وآتنا ما وعدتنا علی رسلک یعنی علی السنة رسلک. وقیل
معناه واتنا ما وعدتنا علی تصدیق رسلک. فان قیل کیف سالوا الله تعالی انجاز ما وعده
والله تعالی لا یخلف المیعاد. قیل له معناه انهم طلبوا من الله تعالی التوفیق فیما یحفظ علیهم
اسباب انجاز المیعاد. وقیل هو من باب اللجا الی الله تعالی والتذلل له واظهار الخضوع والعبودیة
کما ان الانبیا علیهم السلام یستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم یقصدون بذلک التذلل
لربهم سبحانه وتعالی والتضرع الیه واللجا الیه الذی هو سیما العبودیة. وقیل معناه ربنا
واجعلنا ممن یستحق ثوابک. وتوتهم ما وعدتهم علی السنة رسلک. لانهم لم یتیقنوا استحقاقهم
لتلک الکرامة. فسالوه ان یجعلهم مستحقین لها. وقیل انما سالوه تعجیل ما وعدهم من النصر

على الاعداء طلوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على ذلك فاجعل ثوابنا
عليهم ولا تخزنا يوم القيامة معنى ولا تفضحنا بل تعطنا ما تعطي المطيعين فان قيل
قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك يدل على طلب الثواب وهو يحبط الثواب بالمنع في العقاب
لاحالة فما معنى قوله ولا تخزنا يوم القيامة وهو طلب دفع العقاب عنهم قيل الآية
من الآية طلب التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كأنهم قالوا وفقنا لما
واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يحبطها ووقفنا على الخير وحالك وكمثل
ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيامة سببا لقوله تعالى وما اعد الله للمطيعين كما قال
فانه ربما يظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة علم انه على غير ما ظن فيحصل
الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسألوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا
ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد من امن من ما كد في ان وعد الله على
الله عليه وسلم قال من وعده الله عز وجل على عمل ثوابا فهو منجز له ومن اوعده على عمل
عقابا فهو بالخيار والعرب تذم بالخلف في الوعد وتمدح بذلك في الوعيد حتى قال
قابله ٥ ولا يرهب ابن العم صولتي ٥ ولا اختشي من سطوة المتهدد ٥
وانني متى اوعده او عده ٥ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي ٥
قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم معنى اجابهم وعلم ما سألوه وقال الحسن
ما زالوا يقولون ويشاربنا حتى استجاب لهم وقال جعفر الصادق من حزبه امر فصلى اربع
ركعات وبنا ربنا انجاما سألتها عطاءك ما اردنا قيل وكيف ذلك قال اقرأ الآية
التي بعد ذكرها الى قوله انك لا تخلف الميعاد وقوله اني لا اضيع عمل
عامل منكم معنى لا احبطه عليكم بما سألتموني بل اثيبكم عليها واجزيكم بها من ذكر او انثى معنى
لا اضيع عمل عامل ذكرا كان او انثى عن ام سلمة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله لا اسمع
الله تعالى ذكر النساء في الهجرة بشيء فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى
بعضكم من بعض الى قوله والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي وقوله تعالى بعضكم من
بعض معنى في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من آدم وحواء وقيل معنى الكلام انكم

سبيلى وقتلوا واوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ادخلوا الجنة فقد خلوها بغير عذاب
ولاحساب وتاتى الملايكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك
مَنْ هؤلآء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلآء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى واوذوا
فى سبيلى فتدخل الملايكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال
بعضهم فى هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يُدعَا وكيف يُبتهَل اليه ويُتضرع وقالوا
ايضا ان تكرير قوله ربنا من باب الابتهال واعلام مما يوجب حسن الاجابة وتقدم حديث
جعفر الصادق ان من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا نجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ
هذه الايات وقال الحسن رضى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم ۝
قوله عز وجل **لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد** قال المفسرون نزلت هذه الاية
فى المشركين وذلك انهم كانوا فى رخآء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المومنين ان
اعدآء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد فانزل الله عز وجل هذه الآية لا يغرنك وهذا
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغترّ
قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع تقلب الذين كفروا فى البلاد يعنى ضربهم فى الارض وتصرفهم
فى البلاد للتجارات وطلب الارباح والمكاسب **متاع قليل** اى ذلك متاع قليل وبلغة فانية
ونعمة زايلة **ثم ماواهم جهنم** اى مصيرهم فى الآخرة جهنم **وبئس المهاد** اى وبئس الفراش هى
عن يزيد بن معوية النخعى رضى الله عنه قال انا الدنيا جعلت قليلا فما بقى منها الا قليل من قليل
وعن المستورد الفهرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الدنيا
فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع وقال صلى الله عليه وسلم
ما الدنيا فيما مضى منها الا كمثل ثوب شق باثنين وبقى خيط الا مكان ذلك الخيط قد انقطع
قال العلمآء وفى هذه الآية وامثالها كقوله تعالى انما نملى لهم خير لانفسهم الاية وكقوله واملى لهم
ان كيدى متين وكقوله الحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات وقوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون دليل على ان الكفار غير منعم عليهم فى الدنيا وذلك لان حقيقة النعمة
هو الخلوص من شوايب الضرر العاجلة والآجلة ونعم الكفار مشوبة بالآلام والعقوبات فصار ذلك

كمن قدم بين يدي غيره حلاوة من عسل فيها السم. فهو وان كان استلذ باكله لا تقال انعم عليه
لان فيه هلاك روحه. والى هذا ذهب جماعة من العلما. وهو قول الشيخ ابي الحسن الاشعري ۵
وذهب جماعة من العلما الى ان الله تعالى انعم على الكفار في الدنيا. والواو واصل النعمة من النعمة
بفتح النون. وهي لين العيش. ومنه قوله تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين. ويقال دقوا عنا عمر اذا
بولغ في طحنه واجيد سحقه. وهذا هو الصحيح. والدليل عليه ان الله تعالى اوجب على الكفار
ان يشكروه. وعلى جميع المكلفين. فقال تعالى واذكروا الا الله واشكروا لله. والشكر لا يكون الا
على نعمة. وقال تعالى واحسن كما احسن الله اليك. وهذا خطاب لقارون. وقال تعالى وضرب الله
مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية. فنبه سبحانه انه قد انعم على الكفار نعمة دنياوية فجحدوها.
قال الله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها. وقال تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم. وهذا
عام في الكفار وغيرهم. فاما اذا قدم لغيره طعاما فيه سم فقد رفق به في الحال اذ لم يجرعه
السم بل دسه في الحلاوة. فلا يبعد ان يقال قد انعم عليه. فاذا ثبت هذا فالنعم
ضربان. نعم نفع. ونعم دفع. فنعم النفع ما وصل اليهم من قبول اللذات ۵ ونعم الدفع ما صرف عنهم
من انواع الآفات. فعلى هذا قد انعم على الكفار نعم الدفع قولا واحدا. وهو ما روي عنهم من الآلام
والاسقام. ولا خلاف بينهم في انه لم ينعم عليهم نعمة دينية والحمد لله قوله تعالى لكي الذين
اتقوا ربهم اي فيما امرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه
وهذا استدراك بعد كلام تقدم فيه معنى النفي. لان معنى ما تقدم انه ليس لهم في قلبهم في البلاد
كثير نفع لكن المتقون لهم الاسقاع الكثير والخلد الدايم. وهو قوله لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نزلا اي حزا وثوابا. والنزل ما يهيا للضيف عند قدومه. وفي رواية النزل ما
يهيا للنزيل. والنزيل هو الضيف. قال الشاعر ۵
نزيل القوم اعظمهم حقوقا. وحق الله في حق النزيل.
قلنا ولعل النزل ايضا ما جا في صحيح مسلم من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قصة الحبر الذي سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر. قال فمن اول الناس اجازة.

قال فقرا المهاجرين. قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة. قال زيادة كبد النون.
قال فما غذاوهم على اثرها. قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها. قال فما شرابهم
عليه. قال من عين تسمى سلسبيلا. وذكر الحديث. وقال اهل اللغه والتحفة ما يتحف به الانسان
من الفواكه والطرف محاسنة وملاطفة. وهذا مطابق لما ذكرناه في النزل. والله اعلم. وزيادة
الكبد قطعة مصغرة كالاصبع. فذلك قوله تعالى نزلا. وقوله من عند الله يعني من فضل الله وكرمه
واحسانه وما عند الله خير للابرار قال العلما قوله تعالى وما عند الله يعني الخير والكرامة والنعيم
الدايم الذي لا ينقطع. خير للابرار يعني ذلك الفضل والنعمة التي اعد الله للمطيعين الابرار خير مما
تتقلب فيه هولا الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها فانه قليل زايل. روى البخاري ومسلم عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير
ما بينه وبينه شي وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف. وان عند رجليه قرضا مصبورا.
وعند راسه اهب معلقة. فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت. فقال ما يبكيك. قلت يا رسول الله ان
كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله. فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخره. لفظ
البخاري. المشربه هي الغرفة والعلية. والمشارب العلالي. وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير مرمول بالشريط. وتحت راسه وسادة من
ادم حشوها ليف. فدخل عليه عمر وناس من اصحابه. فانحرف النبي صلى الله عليه وسلم انحرافة.
فراى عمر اثر الشريط في جنبه فبكى. فقال ما يبكيك يا عمر. فقال عمر وما لي لا ابكي وكسرى
وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا وانت على هذا الحال الذي ارى. فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة. قال بلى. قال هو كذلك. وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو على حصير قد
اثر في جنبه. فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا اوتر من هذا. فقال ما لي وللدنيا. ما مثلي ومثل
الدنيا الا كراكب سار في يوم صايف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها. رواه الامام احمد
وغيره. وعنه ايضا قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو على حصير. قال فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره. واذا الحصير قد اثر في جنبه.

واذا انا بقبضة من الشعير نحو الصاع وقرض في ناحية في الغرفة • واذا اهاب معلق • فاسدرت عيناى • فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب • فقال ما ابكى وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزانتك لا ارى فيها الا ما ارى • وذلك كسرى وقيصر في الثمار والانهار • وانت نبى الله وصفوته • وهذه خزانتك • قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا • رواه ابن ماجة باسناد صحيح • والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم • ولفظه قال عمر رضى الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فدخلت عليه فى مشربة • وانه لمضطجع على خصفةٍ • وان بعضه لعلى التراب • وتحت راسه وسادة محشوة ليفا • وان فوق راسى لاهابا عطن شن • وفى ناحية المشربة قرظ • فسلمت عليه فجلس • فقلت انت نبى الله وصفوته من خلقه وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير • فقال اولئك عجلت لهم طيباتهم • وهى وشيكة الانقطاع • وانا قوم اخرت لنا طيباتنا فى آخرتنا • رواه ابن حبان • وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرير مرمل بالبردى عليه كساء اسود قد حشوناه بالبردى • فدخل ابو بكر وعمر عليه • فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم عليه • فلما راهما استوى جالسا • فنظرا فاذا اثر السرير فى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال ابو بكر وعمر يا رسول الله ما يؤذيك خشونته • ما ترى من فراشك وسريرك وهذا كسرى وقيصر على فرش الحرير والديباج • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولا ان هذا فراش كسرى وقيصر فى النار • وان فراشى وسريرى هذا عاقبته الى الجنة • رواه ابن حبان • وعنها رضى الله عنها قالت دخلت على امراة من الانصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنية • فبعثت الى بفراش حشوه الصوف • فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا عائشة • قالت قلت يا رسول الله فلانة الانصارية دخلت فرات فراشك فذهبت فبعثت الى بهذا • فقال ردية يا عائشة • فوالله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة • رواه البيهقى • وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوف واحتذى المخصوف وقال اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعا ولبس خلسا خشنا • فقل للحسن ما البشع قال غليظ الشعير • ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيغه الا بجرعة من ماء • رواه ابن ماجه والحاكم رحمهما الله قوله عز وجل وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم

اى محشوه تبنا

قال جابر وابن عباس وقتاده نزلت هذه الآية في النجاشي ملك الحبشه واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن هو يا رسول الله قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله عز وجل هذه الآية وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في جميع مومني اهل الكتاب وهذا القول اولى لان الله تعالى لما ذكر احوال الكفار واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى النار ذكر حال من آمن من اهل الكتاب وان مصيره الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يومن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم يعني ويومن بما انزل اليكم ايها المومنون يعني القران وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزله مثل التوراه والانجيل والزبور وفي التنزيل اولئك يوتون اجرهم مرتين وفي صحيح مسلم بلاته يوتون اجرهم مرتين فذكر الحديث وفيه ورجل من اهل الكتاب آمن بنبيه ثم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه فله اجران وقد تقدم في سورة البقرة الصلاة على النجاشي وما للعلما في الصلاه على الميت الغايب فلا معنى للاعاده والله اعلم وقوله تعالى خاشعين لله يعني خاشعين لله ومتواضعين له غير مستكبرين لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفه نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشى كما يفعله غيرهم من روسا اليهود اولئك اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب لهم اجرهم عند ربهم يعني لهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله ذلك الثواب لهم ذخر عند الله يوفيه اليهم يوم القيامة ان الله سريع الحساب يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه تعالى سريع

الحساب ه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون قال المفسرون ان الله تبارك وتعالى ختم هذه السورة العظيمة بما تضمنته هذه الآية
العاشرة من الوصايا التي جمعت الظهور في الدنيا على الاعدا والفوز بنعيم الآخرة فحض سبحانه
على الصبر على الطاعات وعن الشهوات فقال عز من قايل يا ايها الذين امنوا اصبروا اي على دينكم الذي
انتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها واصل الصبر الحبس اي حبس النفس عما لا يقتضيه
شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكما الصبر على بلاثة
اقسام ترك الشكوى وقبول القضا وصدق الرضا وقال قتاده معناه اصبروا على فرايض الله
وقل اصبروا على طاعة الله وقل اصبروا على تلاوة القران وقل اصبروا على امر الله وقل
اصبروا على البلا وقل اصبروا على الجهاد وقل اصبروا على احكام الكتاب والسنه وقالت
الحكما الصبر على بلاثة اشيا ترك الشكوى وصدق الرضا وقبول القضا عن ابي مالك الاشعري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان
وسبحان الله والحمد لله تملان او تملا ما بين السما والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر
ضيا والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها رواه مسلم
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن يتصبر يصبره
الله وما اعطي احد عطا خيرا واوسع من الصبر رواه البخاري ومسلم وعن علقمه قال قال
عبد الله رضي الله عنه الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله رواه الطبراني موقوفا ورفعه بعضهم
وعن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصبر معول المسلم
ذكره رزين وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر
المومن ان امره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمومن ان اصابته سرا شكر وكان خيرا له
وان اصابته ضرا صبر وكان خيرا له رواه مسلم وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت ابا
القاسم صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال يا عيسى اني باعث من بعدك امة ان اصابهم
ما يحبون حمدوا الله وان اصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم فقال يا رب
كيف يكون هذا قال اعطيهم من حلمي وعلمي رواه الحاكم وروى عن سخبرة رضي الله عنه قال

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ثم سكت فقالوا يا رسول الله مالة قال اولئك لهم الامن وهم مهتدون رواه الطبراني ٥
قال العلما والايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الاخبار وهما ايضا وصفان من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه الحسنى اذ سمى نفسه صبورا وشكورا وقد وصف الله تعالى الصابرين باوصاف كثيرة وذكر سبحانه الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعا واضاف اكثر الدرجات والخيرات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز وجل وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى وليجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من قربة الا واجرها بقدر وحساب الا الصبر ووعد سبحانه الصابرين بانه معهم بقوله واصبروا ان الله مع الصابرين وعلق سبحانه النصرة مع الصبر بقوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا وجمع لهم من صفات لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون والهدى والصلوات والرحمة مجموعة للصابرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان وقال صلى الله عليه وسلم من افل مما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما انتم عليه احب الي من ان يوافيني كل امرئ بمثل عمل جميعكم ولكني اخاف ان تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم اهل السما عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرا قول الله تعالى ما عندكم سفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وروى عن جابر رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال ان افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس وقال ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود تخلق باخلاقي وان من اخلاقي اني انا الصبور وفي حديث عطا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على الانصار قال اموميون انتم فسكتوا فقال عمر رضي الله عنه نعم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ما علامة ايمانكم فقال نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مومنون ورب الكعبة وقال صلى الله عليه

وسلم فى الصبر على ما تكره خير كثير • وقال عيسى بن مريم صلوات الله عليه انكم لا تدركون ما تحبون
الا بصبركم على ما تكرهون • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان الصبر رجلا لكان كريما • والله
يحب الصابرين • وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه بنى الايمان على اربع دعائم • اليقين • والصبر •
والجهاد • والعدل • وقال ايضا الصبر من الايمان بمنزله الراس من الجسد • ولا جسد لمن لا راس له •
ولا ايمان لمن لا صبر له • وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلاوه للصابرين •
ويعنى بالعدلين الصلوات والرحمة • وبالعلاوة الهدى • والعلاوة ما تحمل فوق العدلين على
البعير • واشار بهذا الى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون •
وكان حبيب بن ابى حبيب رضى الله عنه اذا قرا هذه الآية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكاء •
وقال وايجباه اعطى واثنى • اى هو سبحانه المعطى للصبر وهو المثنى • وقال ابو الدرداء رضى الله عنه
ذروة الايمان الصبر للحكم • والرضا بالقدر • واما بيان حقيقه الصبر ومعناه • فاعلم ان
الصبر مقام من مقامات الدين • ومنزل من منازل السالكين • وجميع مقامات الدين انما تنتظم من
ثلاثة امور • معارف • واحوال • واعمال • فالمعارف هى الاصول • وهى تورث الاحوال • والاحوال تثمر
الاعمال • فالمعارف كالاشجار • والاحوال كالاغصان • والاعمال كالثمار • وهذا مطرد فى جميع
منازل السالكين الى الله • فاسم الايمان تارة يختص باسم المعارف • وتارة يطلق على الكل كما ذكرنا
وكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة • وحالة قائمة • والصبر على التحقيق عبارة عنهما • والعمل
هو الثمرة يصدر عنهما • ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكه والانس والبهائم •
فان الصبر خاصية الانس • ولا تتصور ذلك فى البهائم والملائكه • اما فى البهائم فلنقصانها • واما
فى الملائكه فلكمالها • وبيانه ان البهائم سلطت عليها الشهوات • فصارت مسخرة لها • فلا باعث
لها على الحركة والسكون الا الشهوة • وليس فيها قوة تضادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى
يسمى ثبات تلك القوة فى مقابلة مقتضى تلك الشهوة صبرا • واما الملائكه عليهم السلام فانهم
جردوا التشوق الى الحضرة الربوبية • والابتهاج بدرجة القرب منها • ولم يسلط عليهم شهوة
صادفه صادة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بخبر اخر تغلب الصوارف •
واما الانسان فانه خلق فى ابتدا الصبا ناقصا مثل البهيمة • ثم خلق فيه الاشهوه الغذا الذى

هو محتاج اليه ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح على الترتيب وليس له قوة التصبر البتة اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر وليس في الصبي الا جند الهوى كما في البهايم ولكن الله تعالى بسعة جوده وفضله كرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهايم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما يهديه والآخر يقويه فيميز بمعونة الملكين عن البهايم واختص بصفتين احدهما معرفة الله ومعرفة رسوله ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه الهداية والتعريف والبهيمة لا معرفة لها ولا هداية ولا مصلحة العواقب بل الى مقتضى شهوتها في الحال فقط فلذلك لا تطلب الا اللذيذ وأما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا يطلبه ولا يعرفه فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم يكن قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الانسان كالمرض النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهد بها ملك القوة حتى يقطع عدوانها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يشد ده ويويده ويقويه بجنود لم يروها وامر هذا الجند بقتال جنود الشهوة فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب امداد الله عبده بالتاييد كما ان نور الهداية ايضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهايم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعثة الهوى ولنفهم ان القتال قايم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهم سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ومدد باعث الدين من الملايكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لاعداء الله والصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة فان ثبت حتى يقهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاة عمل بثمرة حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها الاسباب

المعادات في الدنيا والاخرة فاذا قوى يقينه اعني المعرفة التي تسمى ايمانا وهو الذي تكون
الشهوة عدوا قاطعا لطريق الله قوى باعث الدين فاذا قوى ثباته تمت الافعال على خلاف
ما تقتضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة الا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوته
المعرفة والايمان بفتح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما الموكلان المتكفلان
بهذين الجندين باذن الله تعالى وتسخيره اياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الموكلان بكل
شخص من الادميين واعلم ان الصبر ضربان ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثياب عليه
وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة اما من العبادات او من غيرها واما بالاحتمال كالصبر
على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع
ولكن المحمود التام هو الضرب الاخر وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى
ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وان كان على احتمال مكروه
اختلف اسماؤه عند الناس لاختلاف المكروه الذي عليه الصبر فان كان في مصيبة اقتصر
على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع
الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس
وتضاده حالة تسمى البطر وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة وتضاده الجبن وان
كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلما وتضاده السفه وان كان في نائبة من الزمان تضجره
سمي سعة الصدر وتضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان
السر وتسمى صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا وتضاده الحرص وان
كان صبرا على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة وتضاده الشره واكثر اخلاق الايمان
داخلة في الصبر فلذلك سئل النبي صلى الله عليه وسلم مرة عن الايمان فقال هو الصبر لانه اكثر
اعماله واعزها كما قال الحج عرفة وقد جمع الله سبحانه اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال تعالى
والصابرين في البأساء اي المصيبة والضراء اي الفقر وحين البأس اي المحاربة اولئك الذين
صدقوا واولئك هم المتقون واعلم ان باعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له بلايه احوال
احدها ان يقهر داعي الهوى فلا يبقى له قوة المنازعة ويتوصل اليه بدوام الصبر وعند

هذا يقال من صبر ظفر • والواصلون الى هذه الرتبه الاقلون • فلاجرم هم الصديقون المقربون •
الذين والوا ربنا الله ثم استقاموا • فهولا لزموا الطريق المستقيم • واستووا على الصراط المستقيم
القويم • واطمانت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين • واياهم نادى المنادى يا ايتها النفس المطمئنه
ارجعى الى ربك راضية مرضية • الحالة الثانيه ان تغلب دواعى الهوى • ويسقط بالكليه
منازعة باعث الدين • فيسلم نفسه الى جند الشيطان • ولا يجاهد لياسه عن المجاهدة • وهولا هم
الغافلون • وهم الاكثرون • وهم الذين استرقتهم شهوتهم • وغلبت عليهم شقوتهم • فحكموا اعداء الله
فى قلوبهم التى هى سر من اسرار الله • وامر من امر الله • فاليهم الاشارة بقوله تعالى ولقد شينا
لاتينا كل نفس هداها • ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين • وهولا هم الذين
اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فخسرت صفقتهم • وقيل لمن قصد ارشادهم فاعرض عن من تولى عن
ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم • وهذه الحالة علامتها الياس • والقنوط •
والغرور بالامانى • وهو غاية الحمق • كما قال النبى صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما
بعد الموت • والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله • وصاحب هذه الحالة اذا وعظ قال انا
مشتاق الى التوبه • ولكنها قد تعذرت على • فليس الطمع فيها • اولم يكن مشتاقا الى التوبه • ولكن
نقول ان الله غفور رحيم • فلا حاجة به الى توبتى • وهذا المسكين قد صار عقله رقيقا لشهوته •
فلا يستعمل عقله الا فى استنباط دقايق الحيل التى بها يتوصل الى قضاء شهوته • فقد صار عقله
فى يد شهوته كمسلم اسر فى ايدى الكفار فيستخدمه فى رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها •
ومحله عند الله محل من يقهر مسلما او مسلمة الى الكفار ويجعله اسيرا عندهم • الحالة
الثالثه ان يكون الحرب سجالا بين الجندين • فتارة له اليد عليها وتارة لها اليد عليه • وهذا يعد
من المجاهدين لا من الظافرين • فاهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيا عسى الله
ان يتوب عليهم • هذا باعتبار القوة والضعف • ويتطرق اليه ايضا ثلاثه احوال • باعتبار عدد
ما يصبر عنه • فاما ان يغلب جميع الشهوات • او لا يغلب شيا منها • او يغلب بعضها دون بعض •
وينزل قوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيا على من عجز عن بعض الشهوات دون بعض او لا •
والتارك كون المجاهدة مع الشهوات مطلقا شبهون بالانعام • بل هم اضل • اذ البهيمه لم تخلق لها

المعرفة والقوة التى بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلوله وعطله فهو الناقص حقًا
المدى يقينًا • وقال الشاعر ۵
ولم ار فى عيوب الناس عيبا ۞ كنقص القادرين على الكمال ۞
وقال بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات • اوله ترك الشكوى • وهذه درجة التائبين •
والثانيه الرضا بالمقدور • وهذه درجة الزاهدين • والثالثه المحبة لما يصنع به مولاه •
وهذه درجة الصديقين • واعلم ان جميع ما يلقى العبد فى هذه الحياة لا يخلو من نوعين احدهما
هو الذى يوافق هواه • والاخر هو الذى لا يوافقه بل يكرهه • وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد منهما •
وهو فى جميع الاحوال لا يخلو عن هذين النوعين او كلاهما • فهو اذًا لا يستغنى عن الصبر • ۵
النوع الاول ما يوافق الهوى • وهو الصحة • والسلامة • والمال • والجاه • وكثرة العشيرة •
واتساع الاسباب • وكثرة الاتباع والانصار • وجميع ملاذ الدنيا • وما احوج العبد على هذه
الامور فانه اذا لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك فى ملاذها المباحة منها
اخرجه ذلك الى البطر والطغيان • فان الانسان ليطغى ان راه استغنى • حتى قال بعض العارفين
البلا يصبر عليه المومن • والعوافى لا يصبر عليها الا صديق • وقال سهل بن عبد الله الصبر على
العافيه اشد من الصبر على البلا • ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا
بفتنة الضرا فصبرنا • وابتلينا بفتنة السرا فلم نصبر • ولذلك حذر الله تعالى عباده من فتنة
المال والزوجة والولد • فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله • وقال
تعالى انما اموالكم واولادكم فتنه • وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم • وقال
النبى صلى الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة محزنة • ولما نظر صلى الله عليه وسلم الى ابنه الحسن يعثر
فى قميصه نزل عن المنبر فاحتضنه • ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنه • انى لما رات ابنى
يعثر لم املك نفسى ان اخذته • ففى ذلك عبرة لاولى الابصار • فالرجل كل الرجل من يصبر على العافيه
ومعنى الصبر عليها ان لا يركن عليها • ويعلم ان ذلك مستودع عنده • وعسى يسترجع على القرب •
وان لا يرسل نفسه فى الفرح • ولا ينهمك فى النعيم واللذه واللهو واللعب • وان يرعى حقوق الله فى
ماله بالانفاق • وفى بدنه ببذل المعونه للخلق • وفى لسانه ببذل الصدق • وكذلك فى سايرما انعم

الله عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم الا بالقيام بحق الشكر وانما كان الصبر على السرا
اشد لانه مقرون بالقدرة النوع الثاني ما لا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلوا اما
ان يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط باختياره كالمصايب والغوايب اولا
يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالتها كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهي بلاثة
اقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره وهو سايرافعاله التي يوصف بكونها طاعة ومعصية
وهما ضربان الضرب الاول الطاعة والعبد محتاج الى الصبر عليها فان الصبر على الطاعة
شديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبيه ولذلك قال بعض العارفين
ما من نفس الا وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكن فرعون وجد له مجالا
وقبولا فاظهره اذ استخف قومه فاطاعوه وما من احد الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه
واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وان كان ممتنعا من اظهاره وان امتعاضه وغيظه
عند تقصيرهم في خدمته واستعباده ذلك ليس يصدر الا عن اظهار الكبر ومنازعته الربوبية
في رداء الكبريا فاذن العبودية شاقة على النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب
الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره بسببهما جميعا كالحج والجهاد
والصبر على طاعته صبر على الشدايد ويحتاج المطيع الى الصبر على طاعته في ثلاثة احوال
الاولى من قبل الطاعة وذلك في تصحيح النيه والاخلاص والصبر على شوايب الريا ودواعي الآفات
وعقد العزم على الاخلاص والوفا وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النيه والاخلاص
وآفات الريا ومكايد النفس وقد نبه عليه صلوات الله عليه اذ قال انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرئ ما نوى ثم قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء
وبهذا المعنى قدم الله تعالى الصبر على العمل بقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات الحالة
الثانية حالة العمل كي لا يغفل عن الله في اثناء عمله ولا يتكاسل عن حقوقه وادابه وسننه
ويدوم على شروط الادب الى آخر العمل فيلزم الصبر على دواعي الفتور الى الفراغ وهذا ايضا
من شدايد الصبر ولعله المراد من قوله تعالى ولنعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
اي صبروا الى اتمام العمل الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل اذ يحتاج الى الصبر عند

افشايه والتظاهر به ليسمعه والريا والصبر عن النظر اليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله
ويحبط اجره كما قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم وكما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
فمن لم يصبر بعد الصدقه على المن والاذى فقد ابطل عمله والطاعات تنقسم الى فرض ونفل
وهو يحتاج الى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتا ذي القربى فالعدل هو الفرض والاحسان هو النفل وايتا ذي القربى هي المروه وصله
الرحم وكل ذلك يحتاج الى صبر الضرب الثاني المعاصي فما احوج العبد الى الصبر عنها وقد
جمع الله تعالى انواع المعاصي في قوله وينهى عن الفحشا والمنكر والبغي وقال النبي صلى الله عليه وسلم
المهاجر من هاجر السو والمجاهد من جاهد هواه والمعاصي مقتضى بواعث الهوى واشد
انواع الصبر على المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مالوفة بالعادة فان العادة طبيعه خامسة
فاذا انضاف الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا تقوى باعث
الدين على قمعهما ثم ان كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس كالصبر
عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمرا والثنا على النفس تعريضا وتصريحا وانواع المدح
المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازرا والاستحقار وذكر الموتى والقدح في
فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناقبهم فان في ظاهر ذلك غيبة وفي باطنه ثنا على النفس وللنفس فيه
شهوتان احدهما نفي الغير والثاني اثبات نفسه وبها تتم لها الربوبية التي في طبعه
وهو ضد ما امر به من العبوديه ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان يصير ذلك
معتادا في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى يبطل استكبارها واستقباحها من القلوب بكثره
ترددها وتكررها وعموم الانس بها فيرى الانسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غايه الاستبعاد
ويطلق لسانه طول النهار في اعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من ان الغيبة
اشد من الزنا ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزله والانفراد
فلا ينجيه غيره فالصبر على الانفراد اهون من الصبر على السكوت مع المخالطة وايسر من
حركة اللسان حركه الخواطر باختلاج الوسواس فلا جرم يبقى في حديث النفس في العزله ولا يمكن
الصبر عنه اصلا الا بان يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن اصبح وهمومه هما واحدا

والا

والا فان لم يستعمل الفكر فى شئ معين لم يتصور فتوره • القسم الثانى فيما لا يرتبط
بهجومه باختياره وله اختيار فى دفعه • كما لو اوذى بفعل او قول او جنى عليه فى نفسه او ماله •
فالصبر على ذلك بترك المكافاة مارة يكون واجبا • وتارة يكون فضيلة • قال بعض الصحابة
ما كنا نعد للرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذا • وقال تعالى ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله
فليتوكل المتوكلون • وقسم النبى صلى الله عليه وسلم مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين
ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله • فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحمرت وجنتاه • ثم
قال رحم الله اخى موسى قد اوذى باكثر من هذا فصبر • وقال تعالى ودع اذاهم وتوكل على الله • وقال
واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا • وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
فسبح بحمد ربك • وقال تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا •
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور • ولذلك مدح الله سبحانه العافين عن حقوقهم فى
القصاص وغيره • فقال وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به • ولئن صبرتم لهو خير للصابرين •
وقال النبى صلى الله عليه وسلم صل من قطعك • واعط من حرمك • واعف عن من ظلمك • ومن كلام
الاحنف قال عيسى لقد قتل لكم من قبل ان السن بالسن • والانف بالانف • وانا اقول لكم لا تقاوموا
الشر بالشر • بل من ضرب خدك الايمن فحول اليه الخد الايسر • ومن اخذ رداك فاعطه
ازارك • ومن سخر لك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين • هذا اخر كلام الانجيل • وكل ذلك امر
بالصبر على الاذا • فالصبر على اذى الناس من اعلا مراتب الصبر • لانه تعاون فيه على باعث الدين
وباعث الشهوة والغضب جميعا • القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار اوله وآخره •
كالمصايب • وذلك مثل موت الاعزة • وهلاك الاموال • وزوال الصحة بالمرض • وعما العينين وفساد
الاعضا • وبالجملة • وسايرانواع البلا • فالصبر على ذلك من اعلا مقامات الصبر • قال ابن عباس
رضى الله عنهما الصبر فى القران على ثلاثة اوجه • صبر على ادا الفرايض • فله ثلاثمائة درجة • وصبر
عن محارم الله • له ستمائة درجة • وصبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى • فله تسعمائة درجة •
وانما فضل هذه الرتبة مع انها من الفضايل على ما قبلها وهى من الفرايض لان كل مومن يقدر
على الصبر عن المحارم • فاما الصبر على بلا الله فلا يقدر عليه الا بضاعة الصديقين فان ذلك

فان ذلک شدید علی النفس • ولذلک قال النبی صلی الله علیه وسلم اسالک من الیقین ما تهون علیّ به
مصایب الدنیا • فهذا صبر مستنده حسن الیقین • قال ابو سلیمان الدارانی والله ما نصبر علی
ما نحب • فکیف نصبر علی ما نکره • وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الی
عبد من عبیدی مصیبة فی بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلک بصبر جمیل استحییت منه
یوم القیامة ان انصب له میزانا او انشر له دیوانا • وقال صلی الله علیه وسلم انتظار الفرج بالصبر
عبادة • وقال صلی الله علیه وسلم من اصیب بمصیبة فقال کما امره الله انا لله وانا الیه راجعون •
اللهم اجرنی فی مصیبتی واخلف لی خیرا منها الا آجره الله فی مصیبته واخلف له خیرا منها • وقال
انس رضی الله عنه حدثنی رسول الله صلی الله علیه وسلم ان الله عز وجل قال ما جزاء من سلبت کریمتیه • قال
سبحانک لا علم لنا الا ما علمتنا • قال جزاوه الخلود فی دارک والنظر الی وجهی • وقال عمر بن عبد
العزیز رضی الله عنه فی خطبته ما انعم الله تعالی علی عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه منها الصبر الا
کان ما عوضه منها افضل مما انتزع منه • وقرا انما یوفی الصابرون اجرهم بغیر حساب • وسیل
الفضیل بن عیاض عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله • قیل له وکیف ذلک • قال الراضی لا یتمنی فوق
منزلته • وقیل ان الشبلی رحمه الله حبس فی البیمارستان • فدخل علیه جماعة • فقال لهم من انتم •
قالوا احبابک جاوک زایرین • فاخذ یرمیهم بالحجارة • فاخذوا یهربون • فقال لو کنتم احبابی لصبرتم
علی بلای • وکان بعض العارفین فی جیبه ورقه یخرجها کل ساعة ویطالعها • وکان فیها واصبر
لحکم ربک فانک باعیننا • ویقال ان امراة فتح الموصلی عثرت فانقطع ظفرها فضحکت • فقیل لها
اما تجدین الوجع • فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبی مرارة وجعه • وقال داود النبی علیه
السلام لولده سلیمان یا بنی انه یستدل علی تقوی المومن بثلاث • حسن التوکل فیما لم ینل • وحسن الرضا
فیما قد نال • وحسن الصبر فیما قد فات • وقال نبینا صلی الله علیه وسلم من اجلال الله ومعرفة
حقه ان لا تشکوا وجعک • ولا تذکر مصیبتک • ویروی عن بعض الصالحین انه خرج یوما وفی کمه
صرة فافتقدها • فاذا هی قد اخذت من کمه • فقال بارک الله له فیها لعله احوج الیها منی •
ویروی عن بعضهم انه قال مررت علی سالم مولی ابی حذیفة رضی الله عنه یوم الیمامة فی القتلی وبه
رمق فقلت له اسقیک ماء • فقال جرنی قلیلا الی العدو واجعل الماء علی الترس فانی صایم • فان

عشت الى الليل شربته • فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلا الله • فان قيل بماذا
ينال درجة الصبر في المصايب • فليس الامر الى اختياره فهو يصبر شاء او ابا • فان كان المراد
به ان لا يكون في نفسه كراهية للمصيبة فذلك غير داخل في الاختيار • فاعلم انه انما
خرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى واظهار
الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمشرب والمطعم • وهذه الامور داخلة تحت اختياره فينبغي
ان يحتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله وبقاء مستمرا على عادته ويعتقد ان ذلك كان وديعة
عنده فاسترجعت • وقيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه
عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدموع على الميت • فان ذلك مقتضى البشرية
ولا تفارق الانسان الى الموت كما روي عن الغميصاء بنت ملحان ام انس بن مالك زوج ابي طلحة رضي الله
عنهم قالت توفي ابن لي وكان ابو طلحة غائبا • قالت فسجيته في ناحية البيت • فقدم ابو طلحة
فقمت فهيأت له افطاره فجعل ياكل • فقال كيف الصبي • فقلت باحسن حال بحمد الله • فانه لم يكن
منذ اشتكى باحسن منه الليلة • ثم تصنعت له باحسن ما كانت تتصنع له قبل ذلك حتى اصاب منها
حاجته • ثم قالت له الا تعجب من جيراننا • قال ومالهم • قالت اعير واعارته فلما طلبت منهم
جزعوا • فقال بئس ما صنعوا • قالت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وان الله قبضه • فحمد الله
واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره • فقال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك
لهما في غابر ليلتهما • قال الراوي ولقد رايت لهما بعد ذلك في المسجد سبعة اولاد كلهم قد
قرا القران • وروي جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايتني دخلت الجنة فاذا
انا بالغميصاء امراة ابي طلحة • وكذلك لما مات ابرهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضت
عيناه • فقيل له ما هذا يا رسول الله • وفي رواية اما نهيتنا عن هذا • قال ان هذه رحمة وضعها الله
في قلوب عباده • وانما يرحم الله من عباده الرحماء • بل ذلك ايضا لا يخرج عن مقام الرضا وذلك
كالمقدم على الفصد والحجامة • فانه راض به وهو متالم بسببه لا محالة • وقد تفيض عيناه
اذا عظم المه • ويروى ان ابن ابي بكير كان يعزي بعض الخلفاء ان احق من عرف حق الله فيما
اخذ منه من عظم حق الله فيما ابقاه • واعلم رحمك الله ان الماضي فتلك هو الباقي لك • والباقي

بعدك هو الماجور فيك • واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه •
وقد قيل ان من كنوز البر كتمان المصايب والاوجاع والصدقة • ٥ فقد ظهر
لك بهذه التقسيمات ان وجوب الصبر عام في جميع الاحوال والافعال • فان الذي كفي الشهوات كلها
واعتزل وحده لا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهرا • وعن الصبر عن وساوس
الشيطان باطنا • فان اختلاج الخواطر لا يسكن • واكثر جولان الخواطر انما يكون في فايت لا تدارك
له • او في مستقبل لا بد ان يتحصل منه ما هو مقدر • فهو كيف ما كان تضييع زمان • وآلة
العبد قلبه • وبضاعته عمره • فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر ليستفيد به انسا بالله
او عن فكر ليستفيد به معرفة الله • وليستفيد بالمعرفة محبة الله فهو مغبون • هذا اذا كان
فكره ووساوسه في المباحات مقصورا عليه • ولا يكون كذلك غالبا • بل يتفكر في وجوه الحيل
لقضا الشهوات • اذ لا يزال ينازع كل من يحرك على خلاف غرضه في جميع اموره • او من يتوهم انه
ينازعه ويخالف غرضه بظهور امارة له منه • بل بقدر المخالفة من اخلص الناس في حبه حتى
في اهله وولده ويتوهم مخالفتهم له • ثم يتفكر في كيفية زجرهم • وكيفية قهرهم • وجوابهم عما يتعللون
به في مخالفته • ولا يزال في شغل دايم • فللشيطان جندان جند يطير • وجند يسير • والوساوس
عبارة عن حركة جنده الطيار • والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار • وهذا لان الشيطان خلق
من نار • وخلق الانسان من صلصال كالفخار • والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين • والطين طبعه
السكون • والنار طبعها الحركة • فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك • بل لا تزال تتحرك بطبعها • وقد
كلف الملعون المخلوق من النار تطمينا عن حركته ساجدا لما خلق من الطين • فابا واستكبر واستعصى
وعبر عن سبب استعصايه بان قال خلقتني من نار وخلقته من طين • فاذا حيث لم يسجد الملعون
لابينا آدم صلوات الله عليه فلا ينبغي ان يطمع في سجوده لاولاده • فمهما كف عن القلب وساوسه
وعداوته وطيرانه وجولانه فقد ظهر انقياده واذعانه • وانقياده بالاذعان سجود منه
فهو روح السجود • وانما وضع الجبهة على الارض لله قالبه • وعلامته الداله بالاصطلاح عليه
ولو جعل وضع الجبهة على الارض علامة استحقاق باصطلاح لتصور ذلك • كما ان الانبطاح بين
يدي المعظم المحترم يرى استخفافا بالعادة • فلا ينبغي ان يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر •

وقالب

وقالب الروح عن الروح • وقشر اللب عن اللب • فكون من قيده عالم الشهادة بالكلية
عن عالم الغيب • وتحقق ان الشيطان من المنظرين • ولا يتواضع لك بالكف عن الوساوس الى يوم الدين
الا ان تصبح همومك هما واحدا • فتشغل قلبك بالله وحده • فلا يجد الملعون مجالا فيك • فعند
ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثنا عن سلطنه هذا اللعين • ولا تظن انه
يخلو عنه قلب فارغ • بل هو سيال يجرى من ابن ادم مجرى الدم • وسيالة مثل الهوى والقدح •
ان اردت ان تخلو عن الهوى من غير ان تشغله بالما او بغيره فقد طمعت في غير مطمع • بل
بقدر ما تخلو من الما يدخل فيه الهوى لا محالة • فكذلك القلب المشغول بفكرهم في الدين يخلو
عن جولان الشيطان • والا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان •
ولذلك قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين • وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى يبغض الشاب الفارغ • وهذا لان الشاب اذا تعطل عن عمل شغل ظاهره بمباح
يستعين به على دينه كان باطنه فارغا • ولم يبق قلبه فارغا • بل يعشش فيه الشيطان ويبيض
ويفرخ • ثم يتزوج فراخه ايضا ويبيض مرة اخرى ويفرخ • وهكذا تتولد نسل الشيطان توليدا
اسرع من تولد سائر الحيوان • لان طبعه من النار • والا سقطع اذا وجدت النار الحلفا اليابسة
كثر توالدها • فلا تزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة • بل تسرى شاقشيا على الاتصال •
والشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفا اليابسة للنار • وكما لا تبقى النار اذا لم يبق لها
قوت وهو الحطب • فكذلك لا يبقى للشيطان مجال اذا لم تكن شهوة • فاذا تاملت علمت ان اعدا
عدو لك شهوتك • وهي صفة نفسك • ولذلك قال الحسن بن منصور الحلاج حين صلب وقد سيل عن
التصوف ما هو • فقال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك • فاذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل
حركة مذمومة • وحركة الباطن اولى بالصبر عن ذلك • فهذا صبر دايم لا تقطعه الا الموت •
والله اعلم مراده • رجعنا الى التفسير • وقوله تعالى وصابروا يعني الكفار والاعدا وجاهدوهم •
وقيل وصابروا الوعد الذي وعدتكم • وقال الحسن اي صابروا على الصلوات الخمس • والاول
هو قول الجمهور • ومنه قول عنترة ۵

فلم ار حيا صابروا مثل صبرنا • ولا كافحوا مثل الذين نكافح • ۵

فقوله علما رحيا صابروا مثل صبرنا ولا كافحوا مثل الذين يكافح اى صابروا العدو فى الحرب
ولم يبد منهم جبن ولا خور والمكافحة المواجهة والمقاتلة فى الحرب والله اعلم وقوله تعالى
ورابطوا يعنى وداوموا على جهاد المشركين وثبتوا عليه وقال جمهور الامة اى ارتبطوا اعداكم
الخيل اى اربتطوها كما يرتبطها اعداؤكم ومنه قوله تعالى ومن رباط الخيل وعن زيد
ابن اسلم قال كتب ابو عبيدة بن الجراح الى امير المومنين عمر رضى الله عنه يذكر له جموعا من
الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر اما بعد فانه مهما ينزل بعبد مومن من منزل شدة
يجعل الله له بعدها فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله تعالى يقول فى كتابه يا ايها الذين
آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال العلما واصل المرابطة ان
يربط هولا خيولهم وهولا خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال الآخر ثم قيل
لكل مقيم بثغر يدفع عن من وراه مرابط وان لم يكن له فرس مربوط فصل فى فضل الرباط فى
سبيل الله عن سهل بن سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم فى سبيل
الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة
يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها رواه البخارى ومسلم وعن
سلمان الخير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من
صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمله واجرى عليه رزقه وامن
الفتان رواه مسلم وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه انهم كانوا فى جند مرة فاصابهم ضر وجهد
فقال سلمان لصاحب الجند الا احدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكون
لك قوة على الجند سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رابط يوما وليلة فى سبيل الله
كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا يفتل فى صلاة الا لحاجة ومن توفى فى سبيل الله اجرى
الله اجره حتى يقضى من اهل الجنة واهل النار وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من رابط يوما فى سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق بعد
منها مثل سبع سموات وسبع ارضين وعن ابى الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال رباط شهر خير من صيام دهر ومن مات مرابطا فى سبيل الله امن من الفزع الاكبر وغدى
عليه برزقه وريح من الجنة ويجرى عليه اجر المرابط حتى يبعثه الله عز وجل رواه الطبرانى

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ينقطع عن صاحبه اذا مات الا المرابط فى سبيل الله فانه ينمى له عمله ويجرى عليه رزقه الى يوم القيامة رواه الطبرانى ايضا وعن واثلة بن الاسقع رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فله اجرها ما عمل بها فى حياته وبعد مماته حتى تترك ومن سن سنة سيئة فعليه اثمها حتى تترك ومن مات مرابطا فى سبيل الله جرى عليه عمل المرابط حتى يبعث الى يوم القيامة رواه الطبرانى ايضا وعن انس رضى الله عنه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اجر الرباط فقال من رابط ليلة حارسا من وراء المسلمين كان له اجر من كان خلفه ممن صام وصلى رواه الطبرانى ايضا وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمو له عمله الى يوم القيامة ويومن من فتان القبر رواه ابو داود ففى هذا الحديث وحديث سلمان المتقدم دليل على ان الرباط افضل من الاعمال التى يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء فى حديث العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وهو حديث صحيح انفرد به مسلم فان الصدقة الجارية والعلم المنتفع به والولد الصالح الذى يدعو الابويه ينقطع ذلك بنفاد الصدقة وذهاب العلم وموت الولد والرباط يضاعف اجره الى يوم القيامة لانه لا معنى للنما الا المضاعفة وهى غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه بل هو فضل دايم من الله تعالى الى يوم القيامة وهذا لان اعمال البر كلها لا تتمكن منها الا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسة بيضة الدين واقامة شعاير الاسلام وهذا العمل الذى يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الاعمال الصالحة اخرجه ابن ماجة باسناد صحيح عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا فى سبيل الله اجرى الله عليه اجر عمله الصالح الذى كان يعمل واجرى عليه رزقه وامن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع وفى هذا الحديث قيد ثان وهو الموت حالة الرباط والله اعلم

وعن ابى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرباط يوم فى سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان افضل عند الله واعظم اجرا من عبادة

مائة سنة صيامها وقيامها • ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من شهر
رمضان افضل عند الله واعظم اجرا • اراه قال افضل من عبادة الفي سنة صيامها وقيامها
فان رده الله الى اهله سالما لم تكتب عليه سيئة الف سنة • وكتب له الحسنات وجرى له اجر الرباط
الى يوم القيامة • رواه ابن ماجة • وعن مجاهد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان في الرباط فقرعوا
الى الساحل • ثم قيل لاباس • فانصرف الناس وابو هريرة واقف • فمر به انسان فقال له ما يوقفك
يا ابا هريرة • فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام
ليلة القدر عند الحجر الاسود • رواه ابن حبان والبيهقي وغيرهما • وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم في سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل •
رواه النسائي والترمذي • وعن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان صلاة
المرابط تعدل خمسمائة صلاة • ونفقته الدينار والدرهم منه افضل من سبعمائة دينار ينفقه
في غيره • رواه البيهقي • وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد
الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة • زاد في رواية وعبد القطيفة • ان اعطي رضي وان لم يعط سخط •
تعس وانتكس • واذا شيك فلا انتقش • طوبى لعبد اخذ بعنان فرسه في سبيل الله •
اشعث راسه مغبرة قدماه • ان كان في الحراسة كان في الحراسة • وان كان في الساقة كان في
الساقة • ان استاذن لم يوذن له • وان شفع لم يشفع • رواه البخاري • وعنه رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله
يطير على متنه كلما سمع هيعة او فزعة طار على متنه يبتغي القتل او الموت مظانه • ورجل في
غنيمة في شعفة من هذه الشعاف او بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويوتي الزكوة ويعبد
ربه حتى ياتيه اليقين ليس من الناس الا في خير • رواه مسلم والنسائي • وعن ام مالك البهزية
رضي الله عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها • قالت قلت يا رسول الله من
خير الناس فيها • قال رجل في ماشية يودي حقها ويعبد ربه عز وجل • ورجل آخذ برأس فرسه
يخيف العدو ويخيفونه • رواه الترمذي رحمه الله • وقيل المراد بالمرابطة انتظار
الصلاة بعد الصلاة • قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو ورابط

فنه ولكنه انتظار الصلاه خلف الصلاه ويدل على صحة هذا التاويل ما روى عن ابى هريره
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به
الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضو على المكاره وكثره الخطا الى المساجد وانتظار
الصلاه بعد الصلاه فذلكم الرباط فذلكم الرباط رواه مسلم قال ابن عطية والقول الصحيح هو ان
الرباط هو الملازمة فى سبيل الله اصلها من رباط الخيل ثم سمى كل ملازمة لثغر من ثغور الاسلام
مرابطا فارسا كان او راجلا واللفظة ماخوذه من الربط وقول النبى صلى الله عليه وسلم فذلكم
الرباط انما هو شبيه بالرباط فى سبيل الله والرباط اللغوى هو الاول وهذا كقوله صلى الله عليه
وسلم ليس الشديد بالصرعه وكقوله ليس المسكين بهذا الطواف الى غير ذلك قال بعضهم قوله
والرباط اللغوى هو الاول ليس بمسلم فان الخليل بن احمد احد ايمة اللغة قد قال الرباط هو ملازمة
الثغور ومواظبة الصلاه ايضا فقد حصل ان انتظار الصلاه رباط لغوى حقيقة كما قال النبى
صلى الله عليه وسلم واكثر من هذا ايضا ما قاله الشيبانى انه يقال ما مرابط اى دايم لا يبرح
حكاه ابن فارس وقد يقتضى تعدية الرباط لغة الى غير ما ذكرناه فان المرابطة عند العرب
هى العقد على الشى حتى لا ينحل فيعود الى ما كان صبر عنه فيحبس القلب على النيه الحسنة والجسم
على فعل الطاعة قال ومن اعظمها واهمها ارتباط الخيل فى سبيل الله كما نص عليه التنزيل فى قوله
ومن رباط الخيل على ما ياتى بيانه ان شا الله وسان ارتباط النفس على الصلوات كما قاله النبى صلى الله
عليه وسلم من روايه ابى هريره وجابر وعلى رضى الله عنهم والمرابط فى سبيل الله عند الفقها هو
الذى يشخص الى ثغر من الثغور ليرابط مدة فيه فاما سكان الثغور دايما باهليهم الذين يعمرون
ويكتسبون هنالك فهم وان كانوا حماة فليسوا مرابطين ذكره ابن عطيه وقال بعضهم والرباط
له حالتان حالة يكون الثغر فيها مامونا منيعا يجوز سكناه بالاهل والولد وفى حاله يكون غير
منيع ولا مامون فيجوز ان يرابط فيه بنفسه اذا كان من اهل القتال ولا ينقل اليه الاهل والولد
لئلا يظهر العدو فيسترق ويسبى وقال بعض المفسرين ايضا وجا فى انتظار الصلاه بعد الصلاه
انه رباط فقد يحصل للمنتظر الصلوات ذلك الفضل ان شا الله وقد روى ابو نعيم الحافظ قال
حدثنا سليمن بن احمد قال حدثنا على بن عبد العزيز قال حدثنا حجاج بن المنهال ح قال وحدثنا

ابو بكر بن مالك قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثني ابي قال حدثنا الحسن بن موسى قال حدثنا
حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن ابي ايوب الازدي عن نوف البكالي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات ليلة المغرب فصلينا معه فعقب من عقب ورجع من رجع
فحار رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشا فجا وقد حفزه النفس رافعا اصبعه وعقد تسعا
وعشرين يشير بالسبابة الى السما فحسر ثوبه عن ركبتيه وهو يقول ابشروا معشر المسلمين هذا
ربكم قد فتح بابا من السما يباهي بكم الملايكة يقول ملايكتي انظروا الى عبادي هولا قضوا فريضة
وهم ينتظرون اخرى ورواه ايضا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن مطرف بن عبد الله ان نوفا
وعبد الله بن عمرو اجتمعا فحدث نوف عن التوراة وحدث عبد الله بن عمرو بهذا الحديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وصلاة
في اثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين رواه ابو داود مطولا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسباغ الوضو في المكاره واعمال الاقدام الى المساجد وانتظار
الصلاة بعد الصلاة تغسل الخطايا غسلا رواه ابو يعلى وغيره وعنه رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا جلس في مصلاه بعد الصلاة صلت عليه الملايكة وصلاتهم عليه
اللهم اغفر له اللهم ارحمه رواه الامام احمد وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم منتظر الصلاة بعد الصلاة كفارس اشتد به فرسه في سبيل الله على كشحه وهو في
الرباط الاكبر رواه الطبراني وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث
كفارات وثلاث درجات وثلاث منجيات وثلاث مهلكات فاما الكفارات فاسباغ الوضو
على السبرات وانتظار الصلاة بعد الصلاة ونقل الاقدام الى الجماعات واما الدرجات فاطعام
الطعام وافشا السلام والصلاة بالليل والناس نيام واما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا
والقصد في الفقر والغنا وخشية الله في السر والعلانية واما المهلكات فشح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه رواه البزار والسبرات جمع سبرة وهي شدة البرد وعن امراة
من المبايعات انها قالت جانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اصحاب له من بني سلمة فقربنا اليه
طعاما فاكل ثم قربنا اليه وضوا فتوضا ثم اقبل على اصحابه فقال الا اخبركم بمكفرات الخطايا

يا أيها الناس اتقوا ربكم

وانما قال ولدته اخرى لتباين الخلقة • وقوله وخلق منها زوجها يعني حوا عليها السلام • قال مجاهد خلقت حوا من قصير ى ادم • وفي الحديث خلقت المراة من ضلع عوجاء • قال العلما وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام القى عليه النوم • ثم خلق حوا من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير • فلما استيقظ راها حالسة عند راسه • فقال لها ما انت • قالت امراة • قال لماذا خلقت • قالت خلقت لتسكن الى • فمال اليها والفها لانها خلقت منه • واختلفوا في اى وقت خلقت حوا • فقال كعب الاحبار ووهب بن منبه وابن اسحق خلقت قبل دخوله الجنة • وقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما انها خلقت في الجنة بعد دخوله اياها • والله اعلم • وقوله تعالى وبث منهما يعني نشر واظهر من آدم وحوا رجالا كثيرا ونسآء قال العلما انما وصف الله تعالى الرجال بالكثرة دون النسآء لان حال الرجال اتم واكمل • وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار • وبحال النسآء الاختفآء والخمول واتقوا الله الذي تسآءلون به قال العلما انما كرر سبحانه ذكر التقوى للتاكيد • وانه اهل ان يتقى • والتسآءل بالله هو كقوله اسالك بالله واحلف عليك بالله • واستشفع اليك بالله والارحام قرى والارحام بفتح الميم • ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها • وقرى والارحامِ بكسر الميم • فهو كقولك سالتك بالله وبالرحم • وناشدتك بالله وبالرحم • لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك • والرحم هي القرابة • وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة • وقيل هو مشتق من الرحمة • لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض • وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم • والنهي عن قطعها • وان صلتها واجب • وقطعها محرم • ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة في ذلك • في الصحيحين عن عاشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله • ومن قطعني قطعه الله • وعن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه وينسا في اثره فليصل رحمه • رواه البخاري ومسلم • قوله ينسا في اثره اى يوخر له في اجله • وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع • قال سفين في روايته يعني قاطع رحم • رواه البخاري ومسلم • وعن الحسن قال من سالك بالله فاعطه • ومن سالك بالرحم فاعطه • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال الرحم معلقة بالعرش • فاذا اتاها الواصل بشت به

وكلمته • واذا اتاها القاطع احتجبت عنه • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من سره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه ميتة السوء فليتق
الله وليصل رحمه • رواه البزار وغيره • وعن انس بن مالك رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الصدقة وصلة الرحم تزيد الله بها في العمر • ويدفع بها ميتة السوء • ويدفع
بها المكروه والمحذور • رواه ابو يعلى • وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى ليعمر بالقوم الديار • ويثمر لهم الاموال • وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضا
لهم • قيل وكيف ذاك يا رسول الله • قال بصلتهم ارحامهم • رواه الطبراني والحاكم • وعن عائشة رضي الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها من اعطي الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة •
وصلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار • ويزيدان في الاعمار • رواه الامام احمد •
وعن درة بنت ابي لهب رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله من خير الناس • قال اتقاهم لربه •
واوصلهم للرحم • وآمرهم بالمعروف • وانهاهم للمنكر • رواه ابن حبان • وعن ابي ذر رضي الله عنه
قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بخصال من الخير • اوصاني ان لا انظر الى من هو فوقي • وان انظر
الى من هو دوني • واوصاني بحب المساكين والدنو منهم • واوصاني ان اصل رحمي وان ادبرت • واوصاني
ان لا اخاف في الله لومة لائم • واوصاني ان اقول الحق وان كان مرا • واوصاني ان اكثر من قول لا
حول ولا قوة الا بالله • فانها كنز من كنوز الجنة • رواه الطبراني • وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال
اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اني اذنبت ذنبا عظيما فهل لي من توبة • فقال
هل لك من ام • قال لا • قال فهل لك من خالة • قال نعم • قال فبرها • رواه ابن حبان والحاكم • وعن ثوبان
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه ثلاث متعلقات بالعرش • الرحم تقول اللهم اني بك
فلا اقطع • والامانة تقول اللهم اني بك فلا اخان • والنعمة تقول اللهم بك فلا اكفر • رواه البزار •
وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز
وجل انا الله • وانا الرحمن خلقت الرحم • وشققت لها اسما من اسمي • فمن وصلها وصلته • ومن قطعها
قطعته • او قال بتته • رواه ابو داود والترمذي • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم • فقالت هذا مقام العايذ

بك

بك من القطيعة • قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك وافطع من قطعك • قالت بلى • قال فذلك لكِ • ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم • رواه البخاري ومسلم • وعن سعيد بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق • وان هذه الرحم شجنة من الرحمن عز وجل فمن قطعها قطعته حرم الله عليه الجنة • رواه الامام احمد والبزار • وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الواصل بالمكافي • ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها • رواه البخاري • وعن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح • رواه الطبراني وابن خزيمة • والكاشح هو المضمر العداوة في باطنه • وعن ابي هريرة رضي الله عنه • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا فادخله الجنة برحمته • قالوا وما هي يا رسول الله بابي انت وامي • قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك • فاذا فعلت ذلك تدخل الجنة • رواه البزار وغيره • وعن معاذ بن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك • رواه الطبراني • وعن ابي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اجدر ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الاخرة من البغي وقطيعة الرحم • رواه ابن ماجة والترمذي • ورواه الطبراني وزاد فيه من قطيعة الرحم والخيانة والكذب • وان اعجل البر ثوابا صلة الرحم • حتى ان اهل البيت يكونون فجرة فتنمو اموالهم ويكثر عددهم اذا تواصلوا • ورواه ابن حبان ايضا وزاد فيه وما من اهل بيت يتواصلون فيحتاجون • وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم • واسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم • رواه ابن ماجة • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعمال بني ادم تعرض على كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم • رواه الامام احمد • وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان • ولله فيها عتقاء من النار

بعدد شعر غنم كلب لا ينظر الله فيها الى مشرك ولا الى مشاحن ولا الى قاطع رحم ولا الى مسبل
ولا الى عاق لوالديه ولا الى مدمن خمر رواه البيهقي وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثه لا يدخلون الجنة مدمن خمر وقاطع رحم ومصدق بالسحر رواه
ابن حبان وغيره وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا
يدخل الجنة قاطع قال سفيان يعني قاطع رحم رواه البخاري وغيره وعن جابر رضي الله عنه قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين اتقوا الله تعالى وصلوا
ارحامكم فانه ليس من ثواب اسرع من عقوبة بغي من صلة الرحم واياكم والبغي فانه ليس من عقوبه
اسرع من عقوبة بغي واياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنه يوجد من مسيرة الف عام والله لا
يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين وعن الاعمش قال
كان ابن مسعود رضي الله عنه جالسا بعد الصبح في حلقه فقال انشد الله قاطع الرحم لما قام عنا فانا
نريد ان ندعو ربنا وان ابواب السماء مرتجة دون قاطع رحم رواه الطبراني وعن عبد الله بن
ابي اوفى رضي الله عنه قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يجالسنا اليوم قاطع
رحم فقام فتى من الحلقة فاتى خالة كان بينهما بعض الشيء فاستغفر لها واستغفرت له ثم عاد
الى المجلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم رواه
الاصبهاني ورواه الطبراني مختصرا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكه لا تنزل على قوم فيهم
قاطع رحم والاحاديث في هذا المعنى كثيرة والله اعلم وقوله تعالى ان الله كان عليكم رقيبا يعني
حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ولا يدخل عليه خلل
وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عليه شيء من امر خلقه فبين سبحانه بقوله ان الله كان عليكم رقيبا
انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان تخاف وتتقى قوله تعالى وآتوا
اليتامى اموالهم قال مقاتل والكلبي نزلت هذه الاية في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ
له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه
وسلم فنزلت هذه الاية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل

داره يعني جنته • فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله • فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت
الاجر • وبقي الوزر • فقالوا كيف بقي الوزر • قال ثبت الاجر للغلام • وبقي الوزر على والده • قال
العلما والخطاب في قوله تعالى وآتوا لليتامى اولياء والاوصيا • واليتامى جمع يتيم • وهو الصبي الذي
مات ابوه • واليتم في اللغة الانفراد • ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها • واسم اليتيم يقع على الصغير
والكبير لغة لبقا معنى الانفراد عن الاباء • لكن في العرف اختص اسم اليتيم لمن لم يبلغ مبالغ الرجال •
فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم • وسيل ابن عباس رضي الله عنه
عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتيم • قال اذا اونس منه الرشد • وانما سماهم سبحانه يتامى بعد
البلوغ على مقتضى اللغة • اولقرب عهدهم باليتم • وان كان قد زال عنهم بالبلوغ • وقيل المراد
باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا • والمعنى واتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد • وقيل
معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة • والقول الاول هو الصحيح • ان
المراد باليتامى البالغين • لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد • وقال
بعضهم ايضا وايتاء اليتامى اموالهم يكون بوجهين احدهما اجراء الطعام والكسوة ما دامت الولاية •
اذ لا يمكن الا ذلك لمن لا يستحق الاخذ الكلي والاستبداد • كالصغير والسفيه الكبير • الثاني
الايتاء بالتمكين واسلام المال اليه • وذلك عند الابتلاء والارشاد • ويكون تسميته مجازا • معناه
الذي كان يتيما • وهو استصحاب الاسم كقوله تعالى فالقي السحرة ساجدين • اي الذين كانوا سحرة •
وقوله تعالى ولا تتبدلوا اي ولا تستبدلوا الخبيث بالطيب يعني بالحبيث الذي هو حرام
عليكم بالحلال من اموالكم • واختلفوا في هذا التبديل • فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري
والسدي كان اولياء اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي • فربما كان
احدهم ياخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة • وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف •
ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم • فذلك تبديلهم • فنهوا عنه • وقال عطا هو الربح في مال اليتيم
وهو غير • لا علم له بذلك • وقال بعضهم كانوا في الجاهلية لعدم الدين لا يخرجون عن اموال اليتامى
فكانوا ياخذون الطيب والجيد من اموال اليتامى ويبدلونه بالردي من اموالهم • ويقولون اسم
باسم وراس براس فنهاهم الله عز وجل عن ذلك • وقيل المعنى لا تاكلوا اموال اليتامى وهي محرمة

خبيثة وتدعوا الطيب وهو مالكم • وقال مجاهد وابو صالح المعنى لا تعجلوا اكل الخبيث من
اموالهم وتدعوا انتظار الرزق الحلال من عند الله • وقيل انه ليس بابدال حقيقة • وانما هو
اخذه مستهلكا • وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النسا والصغار • وانما كان ياخذ الميراث
الاكابر من الرجال • وقيل هو اكل مال اليتيم عوضا عن اكل اموالهم فنهوا عن ذلك • وقوله ولا تاكلوا
اموالهم الى اموالكم قال مجاهد هذه الآية ناهية عن الخلط في الانفاق • فان العرب كانت تخلط
نفقتها نفقة ايتامها فنهوا عن ذلك • ثم نسخ بقوله وان تخالطوهم فاخوانكم • وروى ابن فورك عن
الحسن انه قال تاول الناس في هذه الآية النهي عن الخلط فاجتنبوه من قبل انفسهم فخفف عنهم في آية
البقرة • وقال بعضهم معنى قوله الى اموالكم اي مع اموالكم • وقيل معناه ولا تضموا اموالهم الى
اموالكم في الانفاق • واعلم ان الله سبحانه نهى عن اكل مال اليتيم • واراد به جميع التصرفات المهلكة
للمال • وانما ذكر عن الاكل لانه معظم المقصود انه كان حوبا كبيرا يعني ان اكل مال اليتيم يغفر حوبا ثم
عظيم • والحوب هو الاثم • وقال ابن عباس والحسن وغيرهما يقال حاب الرجل يحوب حوبا اذا اثم
واصله الزجر للابل فسمي الاثم حوبا لانه يزجر عنه • ويزجر به • ويقال في الدعا اللهم اغفر حوبتي
اي اثمي • والحوبة ايضا الحاجة • ومنه في الدعا اللهم الك ارفع حوبتي اي حاجتي • والحوب ايضا
الوحشة • ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لابي ايوب ان طلاق ام ايوب لحوب اي لوحشة •
وفي الحوب ثلاث لغات حوبا بضم الحا وهي قراءة العامة ولغة اهل الحجاز • وقرا الحسن انه كان
حوبا بفتح الحا • قال الاخفش وهي لغة تميم • والحوب بالفتح المصدر • وبالضم الاسم • وقرا
ابي بن كعب انه كان حابا كبيرا على المصدر مثل القال • ويجوز ان يكون اسما مثل الزاد • والحوءب
بهمزة بعد الواو وهو المكان الواسع • والحوءب ماء ايضا • ويقال الحق الله به الحوبة اي المسكنة
والحاجة • ومنه قولهم بات بحيبة سوء • ويقال تحوب فلان اي تعبد • والقى الحوب عن نفسه
والتحوب ايضا التحزن • وهو ايضا الصياح الشديد كالزجر • ويقال فلان يتحوب من كذا اي يتوجع
وانشد الطفيل

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر ... من العيظ في اكبادنا والتحوب

قوله عز وجل وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى يعني وان خفتم يا اولي السامي ان لا تعدلوا

فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرايب ٥ وفى الصحيحين عن عروة بن الزبير انه سال
عايشة رضى الله عنها عن قول الله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من
النسا الى قوله او ما ملكت ايمانكم ٥ قالت يا ابن اختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى
جمالها ومالها ويريد ان ينقص صداقها فنهوا عن ذلك نكاحهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال
الصداق ٥ وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النسا ٥ قالت عايشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك ٥ فانزل الله عز وجل ويستفتونك فى النسا الى وترغبون ان تنكحوهن ٥ فبين الله لهم فى
هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى اكمال
الصداق ٥ واذا كانت مرغوبة عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النسا ٥
قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها
ويعطوها حقها الاوفى من الصداق ٥ وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده
الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهى لا تجبه كراهية ان يدخل غريب
فيشاركه فى مالها ثم يسى صحبتها ويتربص بها ان تموت فيرثها ٥ فعاب الله ذلك عليهم ٥ وانزل هذه
الآية ٥ وقال عكرمة فى روايته عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النسا او اكثر
فاذا صار معدما من مؤون نسايه مال الى مال يتيمه الذى فى حجره فانفقه ٥ فقيل لهم لا تزيدوا
على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى ٥ وقيل كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون
فى النسا فيتزوجون ما شاءوا ٥ فربما عدلوا وربما لم يعدلوا ٥ فلما انزل الله تعالى فى اموال اليتامى
وآتوا اليتامى اموالهم انزل هذه الآية ٥ وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى ٥ يقول كما خفتم ان لا
تقسطوا فى اليتامى ٥ فكذلك خافوا فى النسا ان لا تعدلوا فيهن ٥ فلا تتزوجوا اكثر مما تمكنكم القيام
بحقهن ٥ لان النسا فى الضعف كاليتامى ٥ وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدى ٥
ثم رخص الله سبحانه فى نكاح اربع ٥ فقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا يعنى ما حل لكم
من النسا ٥ واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح ٥ قالوا لان قوله فانكحوا امر ٥
والامر للوجوب ٥ واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد فى النكاح ٥
وتمسك الامام الشافعى فى بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم طولا الى قوله

الآية

ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم الآية فحكم في هذه السورة بان ترك النكاح خير من
فعله وذلك يدل على انه ليس بواجب ولا مندوب وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع معناه
اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امران العدل والوصف
وقال بعضهم فيه ايضا ان مثنى وثلاث ورباع معارف لا يدخلها الالف واللام وهي بمنزلة عمر في
التعريف وقيل لم ينصرف لانه معدول عن لفظه ومعناه فآحاد معدول عن واحد واحد
ومثنى معدولة عن اثنين اثنين وثلاث عن ثلاثة ثلاثة ورباع عن اربعة اربعة وفي كل واحد
منها لغتان فعال ومفعل يقال احاد وموحد وثناء ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع
وكذلك الى معشر وعشار وقال ابو عمرو بن الحاجب يقال احاد وموحد وثنا ومثنى وثلاث
ومثلث ورباع ومربع وهل يقال فيما عداه الى التسعة او لا يقال ففيه خلاف اصحها انه لم
يثبت وقد نص البخاري في صحيحه على ذلك وكونه انه معدول عن معناه انه لا يستعمل في موضع
يستعمل فيه الاعداد غير المعدولة تقول جاني اثنان وثلاثة ولا يجوز مثنى وثلاث حتى يتقدم
قبله جمع مثل جاني القوم آحاد وثنا وثلاث ورباع من غير تكرار وهي في موضع الحال هنا وفي
الآية ويكون صفة ومثال كون هذه الاعداد صفة يتبين في قوله تعالى اولي اجنحة مثنى وثلاث
ورباع فهي صفة للاجنحة وهي نكرة وانشد ساعدة بن الحوية ٥

ولكنما اهلي بواد انيسة ذياب تبغي الناس مثنى وموحد

وانشد الفرا ٥

قتلنا به ناسا من بين مثنى وموحد باربعة منكم وآخر خامس

فوصف ذيابا وهي نكرة بمثنى وموحد وكذلك بيت الفرا قتلنا به ناسا فلا تنصرف اذا
هذه الاسما في معرفة ولا نكرة واجاز الفرا والكساي صرفه في العدد على انه نكرة وزعم
الاخفش انه ان سمي به صرفه في المعرفة والنكرة لانه قد زال عنه العدل وقال بعض المفسرين
ايضا في قوله مثنى وثلاث ورباع انه غير منصرف وانه اجتمع فيه امران العدل والوصف والواو
بمعنى او في هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو بمنزلة او وقيل
ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر

عل

على نكاح اثنتين فاثنتين • وان قدر على ثلاث فثلاث • وان قدر على اربع فاربع • لانه يضم عددا •
واجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة • وان الزيادة على اربع من خصايص
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا يشاركه فيه احد من الامة • ويدل على ان الزيادة على اربع
غير جايز وانه حرام ما روى عن الحارث بن قيس او قيس بن الحارث قال اسلمت وعندى ثمان نسوة
فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود • وعن ابن عمر
رضى الله عنهما ان غيلان بن سلمة الثقفى اسلم وله عشر نسوة فى الجاهلية فاسلمن معه فامره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخير منهن اربعا اخرجه الترمذى • وروى ايضا عن قيس بن
الحرث انه كان تحته ثمان نسوة حرايز • قال فلما اسلمت هذه الآية قلت يا رسول الله قد انزل
الله عليك تحريم تزوج الحرايز الا اربعا وان تحتى ثمان نسوة • قال صلى الله عليه وسلم فطلق اربعا
وامسك اربعا • قال فرجعت الى منزلى فجعلت اقول للمراة التى لم تلد منى يا فلانة اذبرى • وللمراة
التى قد ولدت اقبلى • فتقول الذى اطلق انشدك الله والصحبة • قال فطلقت اربعا وامسكت اربعا •
قال العلما فيجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة حرايز • ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من امراتين •
وهو قول اكثر العلما لانه خطاب لمن ولى وملك • وذلك للاحرار دون العبيد • وقال الامام مالك
فى احدى الروايتين عنه ورسعة يجوز للعبد ان يتزوج باربع نسوة • واستدل بهذه الآية • واجاب
الامام الشافعى بان هذه الاية مختصة بالاحرار • ويدل عليه آخر الآية • وهو قوله تعالى فان
خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم • والعبد لا يملك شيا فثبت بذلك ان المراد من حكم
الاية الاحرار دون العبيد • وقال بعض المفسرين ايضا اعلم ان هذا العدد مثنى وثلاث ورباع
لا يدل على اباحة تسع • كما قاله من بعد فهمه للكتاب والسنة • واعرض عما كان عليه سلف الامة •
وزعم ان الواو جامعة • وعضد ذلك بان النبى صلى الله عليه وسلم نكح تسعا وجمع سهن فى عصمته •
والذى قاله هذه المقالة وصار الى هذه الجهالة الرافضة • وبعض اهل الظاهر فجعلوا مثنى
مثل اثنين • وكذلك ثلاث ورباع • وذهب بعض اهل الظاهر ايضا الى اقبح منها • فقال باباحة
الجمع بين ثمان عشرة بمسكا منه بان العدل فى تلك الصيغ يفيد التكرار • والواو للجمع • فجعل
مثنى بمعنى اثنين اثنين • وكذلك ثلاث ورباع • وهذا كله جهل بلسان العرب والسنة • ومخالف

لاجماع الامة • اذ لم يسمع عن احد من الصحابة ولا التابعين انه جمع في عصمته بين اكثر من
اربع • وخرج الامام مالك في موطاه والنسائي والدارقطني في سننهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لغيلان بن امية الثقفي وقد اسلم وتحته عشر نسوة اختر منهن اربعا وفارق سواهن • واسند
ايضا حديث ابي داود المقدم • وحديث قيس بن الحارث الذي قدمناه • قال والذي اباح من ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فانما هو من خصوصياته على ما بانى سانه في سورة الاحزاب ان شاء الله •
واما قولهم ان الواو جامعة فقد قيل ذلك • ولكن الله تعالى خاطب العرب بافصح اللغات • والعرب
لا تدع ان تقول تسعة • وتقول اثنين وثلاثة واربعة • وكذلك ايضا يستقبح ممن يقول اعط فلانا
اربعة ستة مائة • ولا يقول مائة عشر • وانما الواو في هذا الموضع بدل • اي الكمال الثلاثة
بدلا من مثنى • ورباع بدلا من ثلاث • ولذا عطف بالواو • ولم يعطف باو • ولو جاز
بدلا من مثنى • ورباع بدلا من ثلاث • ولذا عطف بالواو • ولم يعطف باو • ولو جاز
ان لا يكون لصاحب المثنى ثلاث • ولا الثلاث رباع • واما قولهم ان مثنى يقتضي اثنين • وثلاث ثلاثة •
لصاحبه
ورباع اربعة • فتحكم بما لا يوافقهم اهل اللغة عليه وجهالة منهم • وكذلك جهل الاخرين بان
مثنى يقتضي اثنين اثنين • وثلاث ثلاثة ثلاثة • ورباع اربعة اربعة • ولم يعلموا ان اثنين اثنين
وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حصر للعدد • ومثنى وثلاث ورباع بخلافهما • ففي العدد المعدول
عند العرب زيادة معنى ليست في الاصل • وذلك انها اذا قالت جاءت الخيل مثنى انما تعني بذلك
اثنين اثنين • اي جاءت مزدوجة • قال الجوهري وكذا معدول العدد • وقال غيره اذا قلت
جاءني قوم مثنى • او احاد • او ثلاث • او عشار • فانما تريد انهم جاءوك واحدا واحدا • او اثنين اثنين •
او ثلاثة ثلاثة • او عشرة عشرة • وليس هذا المعنى في الاصل • لانك اذا قلت جاءني قوم ثلاثة • او
قوم عشرة • فقد حصرت عدة القوم بقولك ثلاثة وعشرة • فاذا قلت جاءوني رباع • وثنا •
لم تحصر عددهم • وانما تريد انهم جاءوك اربعة اربعة • او اثنين اثنين • وسواء كثر عددهم او قل في
هذا الباب • فقصرهم كل صيغة على ما تقتضيه بزعمه تحكم • والله اعلم • واما
اختلاف المسلمين في الذي يتزوج خامسة وعنده اربع • فقال الامام مالك والامام الشافعي
عليه الحد ان كان عالما • وبه قال ابو ثور • وقال الزهري يرجم اذا كان عالما • وان كان
جاهلا فعليه ادنى الحدين الذي هو الجلد • ولها مهرها • ويفرق بينهما • ولا يجتمعان ابدا • وقال

بعضهم لاحد عليه وهو قول الامام ابي حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد بن الحسن يحد في ذات
المحرم ولا يحد في غير ذلك من النكاح وذلك مثل ان يتزوج مجوسية او خمسة في عقدة
او يتزوج بزوج متعة او يتزوج بغير شهود او يتزوج امة بغير اذن مولاها وقال ابو
ثور اذا علم ان هذا لا يحل له يجب ان يحد فيه كله الا التزويج بغير شهود وفيه ايضا قول
ثالث قاله النخعي في الرجل ينكح الخامسة متعمدا قبل ان تنقضي عدة الرابعة من نسايه فانه يجلد
ماية ولا يبقى فهذا فتيا علما المسلمين في الخامسة على ما ذكره ابن المنذر فكيف بما فوقها
والله اعلم وذكر الزبير بن بكار قال حدثني ابرهيم الحزامي عن محمد بن معن الغفاري قال اتت
امراة الى امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت له يا امير المومنين ان زوجي يصوم النهار
ويقوم الليل وانا اكره ان اشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل فقال لها نعم الزوج زوجك
فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب فقال له كعب الاسدي يا امير المومنين هذه
المراة تشكوا زوجها في مباعدته اياها عن فراشه فقال عمر كما فهمت كلامها فاقض بينهما
يا كعب فقال كعب علي زوجها فاتي به فقال له ان امراتك هذه تشكوا قال افي طعام او شراب
قال لا فانشدت المراة تقول

يا ايها القاضي الحكيم رشده ۞ الهى خليلي عن فراشي مسجده ۞
زهده في مضجعي تعبده ۞ فاقض القضا كعب ولا تردده ۞
نهاره وليله ما يرقده ۞ فلست في امر النسا احمده ۞

فانشد زوجها يقول

زهدني في فرشها وفي الحجل ۞ اني امرؤ اذهلني ما قد نزل ۞
في سورة النمل وفي السبع الطول ۞ وفي كتاب الله تخويف جلل ۞

فقال كعب

ان لها حقا عليك يا رجل ۞ نصيبها في اربع لمن عقل ۞
فاعطها ذاك ودع عنك العلل ۞

ثم قال ان الله تعالى قد احل لك من النسا مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة ايام ولياليهن تعبد فيهن

ربک • فقال عمر رضی الله عنه والله ما ادری مِن ای امریک اعجب • امِن فهمک امرها ام من
حکمک بینهما • اذهب فقد ولیتک قضا البصرة • وروی ابو هدبة ابرهیم بن هدبة قال حدثنا
انس بن مالک رضی الله عنه قال اتت النبی صلی الله علیه وسلم امراة تستحدی زوجها • فقالت یا
رسول الله لیس لی ما للنسا • زوجی یصوم الدهر • قال صلی الله علیه وسلم لکِ یوم • وله یوم للعباده
یوم • وللمراة یوم • والله تعالی اعلم • وقوله تعالی فان خفتم یعنی فان خشیتم • وقیل فان
علمتم ان لا تعدِلوا یعنی بین الازواج الاربع فواحدة یعنی فانکحوا واحدة • وقال الضحاک وغیره
فان خفتم ان لا تعدلوا فی المیل والمحبة والجماع والعشره والقسم بین الزوجات الاربع والثلاث
والاثنتین فواحده • فمنع من الزیادة التی تودی الی ترک العدل فی القسم وحسن العشره • وذلک دلیل
علی وجوب ذلک • والله اعلم • وقری فواحدة بالرفع • ای واحده فیها کفایة • او واحده کافیة •
وقال الکسای فواحدة تقنع • وقرا الحسن بالنصب باضمار فعلٍ • ای فانکحوا واحدة او ما ملکت ایمانکم
یعنی وما ملکتم من السراری • وهذا معطوف علی قوله فواحده • ای ان خاف ان لا یعدل فی واحدة فما
ملکت یمینه من السراری • لانه لا یلزم فیهن من الحقوق مثل ما یلزم فی الحرایر • ولا قسم لهن • قال
العلما وفی هذا دلیل علی انه لا حق لملک الیمین فی الوطی ولا القسم • لان المعنی فان خفتم ان لا تعدلوا فی
القسم فواحدة او ما ملکت ایمانکم • فجعل سبحانه ملک الیمین کله فی منزله الواحدة • فانتفی بذلک
ان یکون للاما حق فی الوطی او فی القسم • الا ان ملک الیمین فی العدل قایم یوجب حسن الملکة
والرفق بالرقیق • واسند سبحانه الملک الی الیمین • اذ هی صفة مدح • ولان الیمین مخصوصه بالمحاسن
لتمکنها • الا تری انها المنفقة • کما قال النبی صلی الله علیه وسلم حتی لا تعلم شماله ما تنفق یمینه • وهی
ایضا المعاقِده المبایعه • وبها سمیت الالیة یمینا • وهی ایضا المتلقیة لرایات المجد کما قال الشاعر •

اذا ما رایة رُفعت لمجدٍ • تلقاها عرابة بالیمینِ •

وقوله تعالی ذلک ادنی • ای اقرب ان لا تعولوا • قال العلما معناه ذلک اقرب من ان لا تعولوا فحذف
لفظة من لدلاله الکلام علیه • ومعنی ان لا تعولوا • ای ذلک اقرب الی ان لا تمیلوا عن الحق وتجوروا •
وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغیرهما واکثر المفسرین • لان اصل العول هو المیل • یقال عال المیزان
اذا مال • وعال الرجل اذا مال وجار • ومنه قولهم عال السهم عن الهدف • اذا مال عنه • وقال

وعال الرجل يعول اذا كثر عياله وقال الشاعر

وان ابن عباس الكريم ورهطه ... لعال على من حوله من اقاربه

اى كثير

وقال آخر

وانت امرؤ من خير سعد عشيرة ... اذا ما خشوا من حادث الدهر نابه

وليس بغيال ولا مرضعات ... ولا زاده عن صالحات عياله

وقال آخر

عن لا شويهة ذات در ... ولا عال فيعضه العيال

اى ليس بعائل وقال ابو الهيثم عال الرجل يعيل اذا افتقر فهو عائل

قليل وعيل صبره اذا قل

وما يدرك الفتى حتى يعيل

وعال الرجل عيلة وعيلولية اذا احتاج وقال ابو ذؤيب

وسد خصاصة من جار بيت ... ولا عيل اهله الا يعود

وقال رجل عيلة وعيلة والعيلة والعالة الفاقة وقال ابن الاثير اى غلبني وثقل

علي وقال ابو الهيثم العائل المتعدد متفاقر وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله

وسلم قال لها عن رجل ذكرته فقالت انه لا يصلح قال لا تقولوا ذلك عنه فانه كان

وسلم قد قال الا تقولوا الا خيرا وقال عقاله وعقله جرم فقال يعقل عائذا اي

مايل ويقيم وكنت عاذ فلان الى اصل الكمأة وهي ما يبقى في الارض من اصلها الا اخر

وقال جامد فكاهة فانه لا تخزوا وقال الفراء حصله لا تجعلوا ما قال عليكم وعليه

قول الفرزدق اذا جاوزت حاصبا وقال الامام الشافعي معناه لا تكثر عيالكم قال الشيباني

ولم يقل هذا غير الامام الشافعي وانما يقال اعال يعيل اذا كثر عياله وقال بعض اصحاب الامام

الشافعي قد انكر على الامام الشافعي من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال هو في كثرة

العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطا الشافعي لانه انفرد به ولم يوافقه

عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الامام الشافعي وخطاه من لا علم له بلغة العرب

فقد روى الازهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قول الله تعالى ان لا

تعولوا اى لا تكثر عيالكم وروى الازهري عن الكسائي قال عال الرجل يعول اذا كثر عياله قال

الازهري وهذا يقوي قول الامام الشافعي لان الكسائي لا يحتج في الغريب الا بما سمعه
وقول الامام الشافعي حجة على من خالفه والذي يقوي عليه هذا ما نقله
فيما قال ولا ينبغي للحركة ان يعدل الى انكار ما لا يحفظ من لغات العرب وهذا آخر كلام
الازهري وحكى البغوي عن امام الشافعي في الفقه لغة واحدة
ويقال هي لغة حمير وقد اتفق ان ذكر ذلك ايضا في تفسيره
والله اعلم وزعم ابن العربي ان عال على سبعة معان الاول عال اذا مال الثاني
عال اي زاد الثالث عال اي جار الرابع عال اذا افتقر الخامس عال اي اثقل كاهله بما يعول
وقال لا عائل لمن اقتصد اي لا فقر السادس عال اذا ظلم ومنه الميزان
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم وابدا من تعول السابع عال اذا غلب ومنه عيل صبرك
اي غلب ويقال اعال الرجل اذا كثر عياله واما عال معنى كثر فقد انكره
قول الاصمعي وما ذهب اليه الامام الشافعي فقد استدرك ابن الانباري على الاصمعي
وقوله جاء من زيد فقد ان اطلق من على الناس وايهام وقد سبقا الامام الشافعي
اليه واما ما ذكره ابن العزيز من الحصر وعدم الصحة فليس على اطلاقه وقد ذكر مضمم عال الامر
اذا اشتد واقام وحكاه الجوهري وقال المرزوقي في غريبه وقال ابو بكر يقال عال الرجل في
الارض يعيل فيها اذا اعتمل فيها وقال الاحمر تقول مالي الشيء صيلني جيلا وصيلا اذا اعتمل
واما عال معنى كثر عياله ذكره الكسائي وابو عمر الدوري وابن الاعرابي قال الكسائي والعرب
تقول عال يعول وعال يعيل اي كثر عياله قال ابو حاتم كان الامام الشافعي اعلم باللغة الجيدة
منا ولعله لغة وحكى مضمم عن ابي القاسم بن حبيب قال سالت ابا عمر الدوري عن هذا وكان
اماما في اللغة غير مدافع فقال هي لغة حمير وانشد

وان الموت ياخذ كل حي ... بلا شك وان امشى وعالا

يعني وان كثرت ماشيته وعياله وقال ابو عمرو بن العلا لقد كثرت وجوه العرب حتى
استحييت ان آخذ عن لاحن لحنا وقدح الزجاج وغيره ايضا في تاويل من قال عال من العيال
واحتجوا بان الله تعالى قد اباح كثرة السراري وفي ذلك تكثير العيال فكيف يكون اقرب الى ان لا

كثير وهذا قدح غير صحيح لان السراري انما هو مال يتصرف فيه والله اعلم وقد تعلق
بهذه الآية من اجاز للمملوك ان يتزوج اربعا قال لان الله تعالى قال فانكحوا ما طاب لكم من
النساء مثنى وثلاث ورباع ولم يخص سبحانه عبدا من حر وهذا قول داود والطبري وهو المشهور
عن الامام مالك ومحصل مذهبه على ما في الموطا وكذلك روى عنه ابن القسم واشهب وذكر
ابن المواز ان ابن وهب روى عن الامام مالك ان العبد لا يتزوج الا اثنين قال وهو قول الليث
ابن سعد قال ابن عبد البر وقال الامام الشافعي والامام ابو حنيفه واصحابهما وسفين
الثوري والليث بن سعد لا يتزوج العبد اكثر من اثنتين وبه قال الامام احمد واسحق وهذا
القول مروي عن عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبد الرحمن بن عوف في ان العبد لا ينكح اكثر
من اثنين ولا اعلم لهم مخالفا من الصحابة رضي الله عنهم وهو قول الشعبي وعطا وابن سيرين والحكم
وابرهيم والحجة لهذا القول القياس الصحيح على طلاقه وحده وكل من قال ان حده نصف
حد الحر وطلاقه تطليقتان وايلاؤه شهران ونحو ذلك من احكام فغير بعيد ان يقال
ناقص في قوله ينكح اربعا والله اعلم بمراده قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة
قال الكلبي وجماعة من العلماء هذا خطاب للاولياء قال ابو صالح كان الرجل اذا زوج ايمته
اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وقيل ان ولي المراة كان اذا زوجها فان
كان معدما في العشيرة لم يعطها من ميراثها قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه
على بعير ولا يعطها من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق
الى اهله وقال الحضرمي كان اولياء النساء يعطي هذا اخته على ان يعطيه الآخر اخته ولا مهر
بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وامرهم بتسميه المهر في العقد وفي الصحيحين
عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار والشغار ان يزوج الرجل
ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقال ابن عباس وقتاده وابن زيد
وابن جريج هذا الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين
وهم الازواج امرهم الله تعالى بايتاء نسايهم الصداق قال بعضهم لان الضمائر كلها واحدة وهي
بجملتها للازواج فهم المراد لان الله تعالى قال فان خفتم ان لا تقسطوا في اليامى فانكحوا الى قوله

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فعمم سبحانه وذلك يوجب تناقض الضمائر وان يكون الاول فيها
هو الآخر والله اعلم والى العلما وهذه الاية تدل على وجوب الصداق للمراة وهو مجمع عليه
لقوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فعمم سبحانه وقال تعالى فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن
اجورهن بالمعروف واجمع العلما ايضا انه لاحد لاكثر الصداق واختلفوا فى قليله على ما ياتى
بيانه فى قوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا وقرا الجمهور وآتوا النساء صدقاتهن بفتح الصاد
وضم الدال وقرا قتادة صدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال وقرا النخعى وابن وثاب صدقتهن
بضم الصاد والتوحيد والله اعلم والصدقات هى المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم
الدال قال الاخفش وبنو تميم يقولون صدقة فى الواحد وفى الجمع صدقات وان شئت
فتحت وان شئت اسكنت قال المازنى يقال صداق المراة بالكسر ولا يقال بالفتح وحكى
عن بعضهم الفتح وقوله نحلة النحلة بكسر النون وضمها لغتان واصلها من العطاء
تقول نحلت فلانا شيا اعطيته فالصداق عطية من الله تعالى للمراة قال قتادة نحلة اى
فريضة مسماة وقيل فريضة واجبة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة تعنى عن طيب نفس
واصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهو اخص من الهبة وسمى الصداق نحلة من حيث انه
لا يجب فى مقابلته غير التمتع دون عوض مالى لما روى فى الصحيحين عن عقبة بن عامر رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان توفوا بها ما استحللتم به الفروج
وقال الزجاج معنى نحلة اى تدينا والنحلة الديانة والملة تقول هذا نحلته اى دينه
وهذا يحسن مع كون الخطاب للاولياء الذين كانوا ياخذون صداق النساء فى الجاهلية حتى قال
بعض النساء فى زوجها لا ياخذ الحلوان من بناتنا ولا
تقول لا يفعل ما يفعله غيره فانتزعه الله تعالى منهم وامر به للنساء والله اعلم وقوله تعالى
فان طبن يعنى النساء المتزوجات لكم يعنى للازواج عن شى منه يعنى من الصداق ومن هنا
لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المراة لزوجها جميع صداقها جاز وقوله نفسا
نصب على التمييز عند بعضهم ومعناه فان طابت نفوسهن عن شى من ذلك الصداق المعين فوهبن
ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا فلذلك وحد النفس

وقل لفظهُ واحد ومعناه الجمع فكلوهُ يعني ما وهبته لكم هنيآ مريآ يعني طيبا سائغا
وقل الهني الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء والمري المحمود العاقبة التام الهضم الذي
لا يضر ولا يودي يقول لا تخافون في الدنيا به مطالبة ولا في الآخرة تبعة ويدل عليه ما
روى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن هذه الاية فان طبن لكم
عن شيء منه نفسا قال اذا جادت له بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى عليكم به سلطان
ولا يواخذكم الله به في الآخرة وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال اذا اشتكى احدكم
شيا فليسال امراته دراهم من صداقها ثم ليستر به عسلا فليشربه بماء السما فيجمع الله له
الهنيء والمريء والماء المبارك قال العلما وفي هذه الاية دليل على اباحة هبة المراة صداقها
وانها تملكه ولا حق للولي فيه قوله تعالى ولا تؤتوا السفهآ اموالكم قال العلما
امر الله سبحانه بدفع اموال اليتامى اليهم في قوله وآتوا اليتامى اموالهم وايصال الصدقات الى
الزوجات بين في هذه الاية ان السفيه وغير البالغ لا يجوز دفع ماله اليه فدلت الاية على ثبوت
الوصي والولي والكفيل للايتام واجمع اهل العلم على ان الوصية الى المسلم الحر الثقة العدل
جايزة واختلفوا في الوصية الى المراة الحرة فقال عامة اهل العلم ان الوصية الى المسلم
الحر الثقة العدل جايزة لها جايزة واحتج بعضهم بان عمر اوصى الى حفصة واختلفوا في
الوصية الى العبد فمنعه الامام الشافعي وابو ثور وابو يوسف ومحمد بن الحسن واجازه الامام
مالك والاوزاعي وجماعة من العلما وهو ايضا قول النخعي وقد مضى في سورة البقرة واختلف
العلما في هولا السفهآ من هم فروى سفين عن حميد عن الاعرج عن مجاهد انه قال هم النسآء
نهى الله الرجال ان يوتوا النسآ اموالهم سواكن ازواجا او بنات او امهات وروى اسمعيل
ابن ابي خالد عن ابي مالك ان السفهآ هم الاولاد خاصة يقول تعالى لا تعط ولدك السفيه مالك
الذي هو قيامك بعد الله فيفسده عليك وتبقى بلا شيء وقل هي امراتك وابنك السفيه
قال ابن عباس رضي الله عنه لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك
وابنتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت
الذي تشفق عليهم في رزقهم ومونتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة وان

ولده سفيه مفسد لا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده. وقال سعيد بن جبير
هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه. وانفق عليه منه حتى يبلغ. قال العلماء وانما اضاف
سبحانه المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها. واصل السفه الخفة. واستعمل في خفة
النفس لنقصان العقل في الامور الدنيوية والدينية. والسفيه المستحق للحجر هو الذي يكون
مبذرا في ماله ومفسدا في دينه. فلا يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله. وقيل ان السفه المذكور
في هذه الآية ليس هو صفة ذم لهؤلاء. وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم. ونقصان تمييزهم وضعفهم
عن القيام بحفظ المال الذي جعل الله لكم قياما اي قوام معايشكم. يقول المال هو قوام الناس
وقوام معايشهم. كن انت قيم اهلك انفق عليهم. ولا تخط ما لك امرأتك وولدك فيكونوا هم الذين يقومون
عليك. ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل
المبالغة لان به يقام الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار. وقال بعضهم المراد
بالسفهاء هم الجهال بالاحكام. لما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال من لم يتفقه فلا
يتجر في سوقنا. ويقال ايضا لا يدفع المال الى الكفار. ولهذا كره العلماء ان يوكل المسلم ذميا
بالشراء والبيع او يدفع اليه مالا مضاربة او غير ذلك. وقال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه
المراد بالسفهاء في الآية كل من يستحق الحجر. وهذا القول جامع. قال بعض المفسرين اما الحجر
على السفيه فله احوال. في حالة يحجر عليه لصغره. وفي حالة يحجر عليه لعدم عقله بجنون او غيره
وفي حالة يحجر عليه لسوء نظره لنفسه في ماله. واما المغمى عليه فاستحسن الامام مالك وجماعة
ان لا يحجر عليه لسرعة زوال ما به. والحجر يكون مرة في حق الانسان. ومرة في حق غيره ف
فالمحجور عليه في حق نفسه من ذكرنا. والمحجور عليه في حق غيره. فكالعبد والمديون والمريض
في بقية المال. وذات الزوج لحق الزوج. والبكر في حق نفسها. فاما الصغير والمجنون فلا خلاف
في الحجر عليهما. واما الكبير فلانه لا يحسن النظر لنفسه في ماله. ولا يؤمن منه اتلاف ماله في غير
وجه فاشبه الصبي. وفيه خلاف يذكر ان شاء الله. ولا خلاف بين ان تلف ماله في المعاصي او
في القرب والمباحات. واختلفوا فيما اذا اتلف ماله في القرب وابواب الخير. فقال بعضهم
يحجر عليه. وقال بعضهم لا يحجر عليه. والعبد لا خلاف فيه. واما المديون فانه يشرع ما في يده

لا نفقه عليه الا ان يكونوا زمنى وسوا فى ذلك الذكور والاناث مالم يكن لهم اموال وسوا فى ذلك ولده او ولد ولده وان سفلوا مالم يكن لهم اب دونه ممن يقدر على النفقه عليهم وهذا قول الامام الشافعى ٥ واوجبت طا نفة النفقه لجميع الاطفال والبالغين من الرجال والنسا اذا لم يكن لهم اموال يستغنون بها عن نفقه الوالد واستدلوا بظاهر قول النبى صلى الله عليه وسلم لهند بنت عتبه خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف ٥ وفى حديث ابى هريرة تقول الا ن اطعمنى الى من تدعنى يدل على انه انما يقول ذلك من لا طاقه له على الكسب والتحرف واما من بلغ سن الحلم فلا يقول ذلك لانه قد بلغ حد السعى على نفسه والكسب لها بدليل قول الله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح الآية فجعل تعالى بلوغ النكاح حدا فى ذلك ٥ وفى قوله تقول المراة اما ان تطعمنى واما ان تطلقنى رد على من قال لا نفرق بين الزوجين بالاعسار ويلزم المراة الصبر وان نفقتها تتعلق بذمة الزوج بحكم الحاكم والى هذا ذهب عطا والزهرى واهل الكوفة مستدلين بقول الله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسره قالوا فوجب ان ينظر الزوج الى ان يوسر ٥ وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الآية قالوا فندب الله تعالى الى انكاح الفقير فلا يجوز ان يكون الفقر سببا للفرقة وهو مندوب معه الى النكاح والله اعلم وقيل ان الخطاب لولى اليتيم لسفو عليه من ماله الذى له تحت نظره على ما تقدم من الخلاف فى اضافه المال فالوصى سفو على اليتيم على قدر ماله وحاله فان كان صغيرا وماله كثيرا اتخذ له ظئرا وحواضن ووسع عليه فى النفقه وان كان كبيرا قدر له ما عم اللباس وشهى الطعام والخدم وان كان دون ذلك فبحسبه وان كان دون ذلك فحسن الطعام واللباس بقدر الحاجة وان كان اليتيم فقيرا لا مال له وجب على الامام القيام به من بيت المال فان لم يفعل الامام وجب ذلك على المسلمين الاخص فالاخص وامه اخص به فيجب عليها ارضاعه والقيام به من غير ان ترجع عليه ولا على احد وقد مضى ذلك فى سوره البقره عند قوله والوالدات يرضعن اولادهن والله اعلم ٥ وقوله تعالى وقولوا لهم قولا معروفا يعنى قولا جميلا لان القول الجميل يوثر فى القلب وتزيل السفه وقيل معناه عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطا تقول له اذا رجعت اعطيتك وان غنمت قسمت لك حظا وقيل معناه الدعا اى ادعوا لهم وقال ابن زيد ان لم

يكن ممن تجب عليك نفقته فقل له عافانا الله وايّاك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم
قولا تطيب به انفسهم وهو ان تقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا امين عليه فاذا بلغت
ورشدت اعطيتك مالك وقال بعضهم ايضا ادعوا لهم بارك الله فيكم وحاطكم وصنع لكم وانا ناظر
لكم وهذا الاحتياط يرجع نفعه اليكم وقيل عِدُوهم وعدا حسنا اي ان رشدتم دفعنا اليكم اموالكم
ونقول الاب لابنه مالي اليك مصيرُه وانت ان شاء الله صاحبه اذا ملكتم رشدكم وعرفتم
تصرفكم وقال الزجاج معناه علّموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم وما يصلحهم
مما يتعلق بالعلم والعمل والله تعالى اعلم قوله عز وجل وابتلوا اليتامى الآية والابتلا
هو الاختبار قال المفسرون انزل الله عز وجل هذه الآية في ثابت بن رفاعة وفي عمّه وذلك ان
رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمّه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول
الله ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله عز وجل هذه الآية
وابتلوا اليتامى اي اختبروهم في عقولهم وادياتهم وحفوظ اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح اي مبلغ
الرجال والنساء فان آنستم منهم رشدا يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه
ومعنى آنستم اي ابصرتم وعرفتم رشدهم فادفعوا اليهم اموالهم فصل في احكام تتعلق
بالحجر وفيه مسايل المسئلة الاولى الابتلا يختلف باختلاف احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف
بالبيع والشرا في الاسواق يدفع اليه شيا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا
يتصرف في الاسواق فيختبر سفقته على اهله وعبيده واجرائه وتصرفه في احوال داره ويختبر
المراة في امر مغزلها وحفظ متاعها وغزلها واستغزالها فاذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن
تصرفه في الامور مرارا يغلب على الظن رشده دفع اليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله
وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يونس منه الرشد عند جماعة من العلماء المسئلة الثانية
قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة وقال الامام الشافعي هي غير
صحيحة واحتج الامام ابو حنيفة بهذه الآية وذلك لان قول الله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا
النكاح يقتضي ان هذا الابتلا انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلا اختبار حاله في جميع
تصرفاته فثبت ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاولياء بالاذن لهم في البيع والشرا قبل البلوغ ٥

واجاب الامام الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم حال الصغر بدليل
قوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وانما يدفع اليهم اموالهم بعد البلوغ
وايناس الرشد فيتعين بهذه الآية ان لا يدفع اليه ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه
حال الصغر وانما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستبراء حاله في معرفة المصالح والمفاسد
والله اعلم المسألة الثالثة في بيان البلوغ وذلك باربعة اشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان
يختصان بالنساء اما الذي يشترك فيه الرجال والنساء فاحدهما السن فاذا استكمل المولود
خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جاريه وهذا عند الامام الشافعي وجماعة بدليل
ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع
عشرة سنة فردني ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني ٥
وقال الامام ابو حنيفه وجماعة من العلماء ان بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ
الغلام باستكمال ثمان عشرة سنه والثاني الاحتلام وهو انزال المني الدافق سواء انزل باحتلام
او جماع فاذا وجد ذلك من الصبي والجارية حكم ببلوغه لقول الله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم
الحلم ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل خذ من كل حالم دينارا امّا انبات الشعر
الخشن حول الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت
من سبي قريظه فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم ينبت
وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد المسلمين قال بعضهم يكون بلوغا كما في اولاد
المشركين وقال بعضهم لا يكون ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد
اولاد المسلمين والرجوع الى قول اباءهم بخلاف الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم ولا تقبل
في ذلك قول اباءهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم واما
الذي يختص بالنساء فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها
وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل المسألة
الرابعة في بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب
الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون مبذرا ٥

والتبذير ان سفو ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنياوية ولا مثوبة اخروية ولا يحسن التصرف
فيغبن في البيع والشرا. فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم تفك عنه الحجر ولا تسفذ تصرفه
في ماله وبه قال الامام الشافعي. وقال الامام ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله زال عنه الحجر
وان كان مفسدا لدينه. واذا كان مفسدا لماله لا يدفع اليه المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة
غير انه تنفذ تصرفه فيه. المسالة الخامسة اذا بلغ الصبي والجاريه واونس منه الرشد زال
عنه الحجر ودفع اليه ماله سواء تزوج او لم يتزوج. وقال الامام مالك ان كانت امراة لا يدفع
اليها المال ما لم تتزوج. فاذا تزوجت دفع اليها مالها. ولا تنفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم
تكبر وتجرب. المسالة السادسة اذا بلغ الصبي رشيدا وزال عنه الحجر. فلو عاد سفيها
ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه. وان كان مفسدا في دينه فعلى وجهين احدهما انه يعاد
عليه الحجر كما استدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة. والثاني لا حجر عليه لان حكم الدوام اقوى من
حكم الابتدا هذا عند الامام الشافعي ومن وافقه. وعند الامام ابي حنيفه ومن وافقه لا
حجر على الحر العاقل البالغ بحال. والدليل للامام الشافعي ومن وافقه على اثبات الحجر ما اتفاق
الصحابة ما روى عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا بسخة ستين الف
درهم. فقال علي رضي الله عنه لآتين عثمان ولاحجرن عليك. فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك
فقال الزبير انا شريكك في بيعك. فاتى علي عثمان فقال احجر على هذا. فقال الزبير انا شريكه
فقال عثمان كيف احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير. فكان اتفاقهم على جواز الحجر حتى
احتال الزبير لدفعه. والله اعلم. وذكر بعض المفسرين مسايل الحجر بعباره اخرى فقال
اختلف العلما في معنى الاختبار. فقيل هو ان يتامل الوصي اخلاق يتيمه وستمع الى اغراضه
فيحصل له العلم بخابته والمعرفه بالسعي في مصالحه وضبط ماله والاهمال لذلك. فاذا توسم
الخير قال العلما لا باس ان يدفع اليه شيا من ماله يبيح له التصرف فيه. فان نماه وحصل النظر
فيه وجب عليه امساك ماله عنه. وليس في العلما من يقول انه اذا اختبر الصبي فوجده رشيدا
ترتفع الولاية عنه. وانه يجب دفع المال اليه. والخلاف بيده في التصرف. لقول الله تعالى حتى
اذا بلغوا النكاح. وقال جماعة من الفقها الصغير لا يخلو من احد امرين اما ان يكون غلاما

او جارية. فان كان غلاما رد النظر اليه فى نفقة الدار شهرا. واعطاه نزرا يتصرف فيه
ليعرف كيف تدبيره وتصرفه. وهو مع ذلك يراعيه ليلا تتلفه. فان تلف فلا ضمان على الوصى فاذا
راه متوخيا سلم اليه ماله واشهد عليه. وان كان جارية رد اليها ما يرد الى ربة البيت من
تدبير شتها والنظر فيه فى الاستغزال والاستقصا على الغزالات فى دفع القطن واجرته
واستيفا الغزل وجودته. فان راها رشده سلم اليها مالها واشهد عليها. والا بقيا تحت الحجر
حتى يونس رشدهما. وقال الحسن ومجاهد وغيرهما اختبروهم فى عقولهم وادانهم وتنمية
اموالهم. وقوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح. اى الحلم لقول الله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
اى البلوغ. وحال النكاح والبلوغ تخمسة اشيا ثلاثة تشترك فيها الرجال والنسا. واثنان تختص
بالنسا وهما الحيض والحبل. فاما الحلم والحيض فلم تختلف العلما فى انه بلوغ. وان الفرايض والاحكام
تجب بهما. واختلفوا فى الثلاث. فاما الانبات والسن فقال الامام الشافعى والاوزاعى والامام
احمد بن حنبل خمس عشرة سنة لمن لم يحتلم. وهو قول ابن وهب واصبغ. وعبد الملك بن الماجشون
وعمر بن عبد العزيز وجماعة من اهل المدينة. وتجب الحدود والفرايض عندهم على من بلغ هذا
السن. وقال اصبغ بن الفرج والذى نقول به ان حد البلوغ والذى يلزم به الفرايض والحدود
خمس عشرة سنة. وذلك احب ما فيه الى واحسنه عندى. لانه الحد الذى يسهم فيه فى
الجهاد ولمن حضر الجهاد. واحتج بحديث ابن عمر اذ عرض يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة
فاجيز. ولم يجز يوم احد. لانه كان ابن اربع عشرة سنة اخرجه مسلم. وقال ابن عبد البر هذا فيمن
عرف مولده. واما من جهل مولده وعدم سنه او جحده فالعمل فيه على ما روى نافع عن اسلم عن
عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كتب الى امرا الاجناد ان لا يضربوا الجزية الا من جرت عليه
المواسى. وقال عثمان رضى الله عنه فى غلام سرق انظروا. فان كان قد اخضر ميزره فاقطعوه.
وقال عطيه القرظى عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظه فكل من انبت منهم قتله
بحكم سعد بن معاذ. ومن لم ينبت منهم استحياه. فكنت فيمن لم ينبت فتركنى. وقال الامام مالك
والامام ابو حنيفه وجماعة لا حكم لمن لم يحتلم حتى يبلغ ما لا يبلغه احد الا احتلم. وذلك سبع
عشرة سنة. فيكون عليه حينئذ الحد. وقال الامام مالك مرة ببلوغه بان يغلظ صوته

يكون ح

ونشق ارنبته • وعن الامام ابی حنیفه روایة اخری تسع عشرة سنة • وهی الاشهر • وقال فی
الجاریة بلوغها لسبع عشرة • وعلیها النظر • وروی عنه ایضا ثمان عشرة سنة • وقال
داود لا سلخ به السن مالم یحتلم ولو بلغ اربعین سنة • واما الانبات فمنهم من قال یستدل
به علی البلوغ • وهو مروی عن القاسم وسالم • وقاله الامام مالک مرة • والامام الشافعی فی احد
قولیه • وبه قال الامام احمد واسحق وابو ثور • وقیل هو بلوغ لانه یحکم به فی الکفار فیقبل
من ابنت • ویجعل من لم ینبت فی الذراری • وقاله الامام الشافعی فی القول الآخر لحدیث عطیه
القرظی • ولا اعتبار بالخضرة والرعب • وانما یترتب الحکم علی الشعر • وقال ابن القاسم سمعت
الامام مالکا یقول العمل عندی علی حدیث عمر بن الخطاب رضی الله عنه لو جرت علیه المواسی
لحددته • قال اصبغ وقال لی ابن القاسم واحب الی ان لا یقام علیه الحد الا باجتماع الانبات
والبلوغ • وقال الامام ابو حنیفه لا یستحلوا بالانبات حکم • ولیس هو ببلوغ ولا دلالة للبلوغ •
وقال الزهری وعطا لا حد علی من لم یحتلم • وهو قول الامام الشافعی • ومال الیه الامام مالک مرة •
وقال به بعض اصحابه • وظاهره عدم اعتبار الانبات والسن • والله اعلم • وذلک قول الله تعالی فان
انستم منهم رشدا الآیة • واختلف العلماء فی تاویل رشدا • فقال الحسن وقتادة وغیرهما یعنی
صلاحا فی العقل والدین • وقال ابن عباس والسدی والثوری صلاحا فی العقل وحفظ المال •
قال سعید بن جبیر والشعبی ان الرجل لیاخذ لحیته وما بلغ رشده • فلا یسلم الی الیتیم ماله وان
کان شیخا حتی یونس منه رشده • وهکذا قال الضحاک • لا یعطی الیتیم وان بلغ مایة سنة حتی یعلم منه
اصلاح ماله • وقال مجاهد معنی رشدا یعنی فی العقل خاصة • واکثر العلماء علی ان الرشد لا
یکون الا بعد البلوغ • وعلی انه اذا لم یرشد بعد البلوغ وان شاخ لا یزول الحجر عنه • وهذا
مذهب الامام مالک وجماعة من العلماء • وقال الامام ابو حنیفه وجماعة لا یحجر علی الحر البالغ
اذا بلغ مبلغ الرجال ولو کان مفسدا لدینه مبذرا لماله اذا کان عاقلا • وبه قال زفر بن الهذیل
والنخعی وجماعة • واحتجوا فی ذلک بما رواه قتادة عن انس رضی الله عنه ان حبان بن منقذ کان
یبتاع وفی عقده ضعف • ففقل یا رسول الله احجر علیه فانه یبتاع وفی عقده ضعف •
فاستدعاه النبی صلی الله علیه وسلم فقال لا تبع • فقال لا اصبر یا رسول الله • فقال له فاذا بایعت

فقل

فقل لا خلابة ولك الخيار ثلاثا. قالوا فلما سأله القوم الحجر عليه لما كان في تصرفه من الغبن ولم
يفعل صلى الله عليه وسلم ثبت ان الحجر لا يجوز. وقال الامام الشافعي ان كان مفسدا لماله ودينه
او كان مفسدا لماله دون دينه حجر عليه. وان كان مفسدا لدينه مصلحا لماله فعلى وجهين
احدهما انه يحجر عليه. والثاني لا يحجر عليه. والاول اختيار ابي العباس بن سريج. والثاني اختيار
ابي اسحق المروزي. وهو الاظهر من مذهب الامام الشافعي. قال الثعلبي وهذا الذي ذكرناه من
امر السفيه قول عثمان وعلي والزبير وعائشة وابن عباس وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم وبه
قال شريح من التابعين. وهو قول الامام مالك واهل المدينة والاوزاعي واهل الشام. وابي يوسف
ومحمد بن الحسن. والامام احمد واسحق وابو ثور. اذا ثبت هذا فاعلم ان دفع المال الى اليتيم يكون
بشرطين احدهما ايناس الرشد. الثاني البلوغ. فان وجد احدهما دون الاخر لم يجز تسليم المال
اليه. هذا نص عليه الايمة الكريمة. وهو قول جماعة الفقهاء الا الامام ابا حنيفة وزفر والنخعي.
فانهم اسقطوا ايناس الرشد ببلوغ خمس وعشرين سنة. قال الامام ابو حنيفة لكونه جدا.
واختلفوا في دفع المال الى المحجور عليه هل يحتاج الى السلطان ام لا. فقالت فرقة لا بد من رفعه
الى السلطان. ويثبت عنده رشده ثم يدفع اليه ماله. وقالت فرقة ذلك موكول الى اجتهاد الوصي
دون ان يحتاج الى رفعه الى السلطان وثبوت الرشد عنده لما حفظ من تواطي الاوصيا على ان
يرشد الوصي ويبرى المحجور لسفهه وقلة تحصيله في ذلك الوقت. فاذا سلم اليه المال لوجود
الرشد ثم عاد الى السفه بظهور تبذيره وقلة تدبيره عاد عليه الحجر عند الامام مالك
والامام الشافعي في احد قوليه. وقال الامام ابو حنيفة لا يعود لانه بالغ عاقل. بدليل جواز
اقراره في الحدود والقصاص. والله اعلم. ويجوز للوصي ان يصنع في مال اليتيم ما كان للاب ان
يصنعه من تجارة وابضاع وبيع وشرا. وعليه ان يودي الزكاة من ساير امواله عين وحرث
وماشية. وصدقة فطر. ويودي عنه اروش الجنايات. وقيم المتلفات. ونفقة الوالدين. وساير
الحقوق اللازمة. ويجوز ان يزوجه ويوفي عنه الصداق. ويشتري له جارية يتسررها. ويصالح
له وعليه على وجه النظر له. واذا قضى الوصي بعض الغرما وبقي من المال بقية تفي بما عليه من
الدين كان فعل الوصي جايزا. فان تلف باقي المال فلا شي عليه لباقي الغرما. ولا على الذين اقتضوا.

وان قضى الغرما جميع المال ثم اتى غرما آخرون فان كان عالما بالدين الباقي او كان الميت
موصوفا بالدين لزم الوصي الضمان لهولا الغرما ما كان نصيبهم في المحاصة ورجع على الدين
اقتضوا دينهم بذلك وان لم يكن عالما ولا كان الميت معروفا بالدين فلا شئ على الوصي واذا دفع
الوصي دين الميت بغير اشهاد ضمن واما اذا اشهد وطال الزمان حتى مات الشهود فلا شئ عليه
وقد مضى في سورة البقره عند قوله تعالى وان تخالطوهم من احكام الوصي في الانفاق وغيره ما
فيه كفاية والحمد لله فذلك وبالله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقوله
ولا تاكلوها اسرافا قال العلما هذا الخطاب للاولياء يعني يا معشر الاولياء لا تاكلوا اموال اليتامى
بغير حق وبدارا ان يكبروا يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطون في انفاقها وتقولون تنفق
كما تشتهي قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم وقال بعضهم ليس يريد سبحانه ان اكل مالهم
من غير اسراف وجائز فيكون ذلك دليل خطاب بل المراد ولا تاكلوا اموالهم فانه اسراف فنهى الله
سبحانه الاوصيا عن اكل اموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم والاسراف في اللغه هو الافراط
ومجاوزة الحد وقد تقدم في آل عمران والسرف هو الخطا في الانفاق ومنه قول الشاعر
اعطوا هنيده تحدوها ثمانيه ما في عطاياهم منّ ولا سرف
اي ليس يخطيون موضع العطاء وقال آخر
وقال قايلهم والخيل تخبطهم اسرفتم فاجبنا اننا سرف
وقال النضر من شميل السرف التبذير والسرف الغفلة وسياتي لمعنى الاسراف زيادة بيان
في سورة الانعام ان شاء الله تعالى وقوله وبدارا اي ومبادرة كبرهم وهو حال البلوغ والبدار
والمبادرة كالقتال والمقاتلة والمعنى لا تستغنم مال محجورك فتاكله وتقول ابادر كبره
من غير اسراف وجائز فيكون ذلك دليل خطاب بل المراد ولا تاكلوا اموالهم فانه اسراف فنهى الله
سبحانه الاوصيا عن اكل اموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم والاسراف في اللغه هو الافراط
ومجاوزة الحد وقد تقدم في آل عمران والسرف هو الخطا في الانفاق ومنه قول الشاعر
اعطوا هنيده تحدوها ثمانيه ما في عطاياهم منّ ولا سرف
اي ليس يخطيون موضع العطاء وقال آخر
وقال قايلهم والخيل تخبطهم اسرفتم فاجبنا اننا سرف
وقال النضر من شميل السرف التبذير والسرف الغفلة وسياتي لمعنى الاسراف زيادة بيان
في سورة الانعام ان شاء الله تعالى وقوله وبدارا اي ومبادرة كبرهم وهو حال البلوغ والبدار
والمبادرة كالقتال والمقاتلة والمعنى لا تستغنم مال محجورك فتاكله وتقول ابادر كبره
ليلا يرشد وياخذ ماله ثم بين سبحانه حال الاولياء وقسمهم قسمين فقال تعالى ومن كان غنيا
فليستعفف اي فلمتنع من اكل مال اليتيم ولا يرزاه قليلا ولا كثيرا ومن كان فقيرا يعني محتاجا
الى مال اليتيم وهو يحفظه فلياكل بالمعروف روى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شئ ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير
مسرف ولا مبادل ولا متاثل واختلف العلما في حكم هذه الآية فروي عن عمر وابن عباس

وابن

وابن جبير وابى العالية وعبيدة السلمانى وابى وايل ومجاهد ومقاتل انه ياخذ من مال اليتيم
على وجه القرض واختلفوا فى انه هل يلزمه القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا ايسر
وهو المراد من قوله تعالى فليأكل بالمعروف والمعروف القرض اى يستقرض من مال اليتيم اذا
احتاج اليه فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وهو قول الاوزاعى ولا
يستسلف اكثر من حاجته قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى انزلت نفسى من مال الله بمنزلة
مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت ٥
وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضاء بل يكون ما ياكله كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن
والشعبى والنخعى وقتادة وقال الشعبى لا ياكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم
القائلون بجواز الاكل من مال اليتيم اختلفوا فى قوله تعالى فليأكل بالمعروف فقال عطاء وعكرمة
ياكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يكتسى منه ولا يلبس الكتان ولا الخز لكن ياكل ما يسد
به الجوع ويلبس ما يستر به العورة والدليل على صحة هذا القول اجماع الامة على ان الامام
الناظر للمسلمين لا يجب عليه غرم ما اكل بالمعروف لان الله تعالى فرض سهمه فى مال الله ٥
وقال الحسن ياكل من ثمر نخله ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فاما الذهب والفضة
فلا ياخذ منه شيا فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبى المعروف هو ركوب الدابة وخدمة
الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيا وروى ان رجلا قال لابن عباس ان لى يتيما وان له ابلا
افاشرب من لبن ابله فقال ان كنت تبغى ضالة ابله وتهنأ جربها وتلوط حوضها
وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وقال قوم المعروف
ان ياخذ من ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عائشة وجماعة
من اهل العلم وفرق الحسن بن صالح بين وصى الاب ووصى الحاكم فلوصى الاب ان ياكل بالمعروف
واما وصى الحاكم فلا سبيل له الى المال بوجه وروى عن مجاهد انه قال ليس له ان ياخذ قرضا
ولا غيره وذهب الى ان الاية منسوخة بقول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ياكلوا اموالكم بينكم
بالباطل الا ان تكون تجارة وهذا ليس بتجاره وقال زيد بن اسلم الرخصة فى هذه الاية منسوخة
بقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الآية وحكى بشر بن الوليد عن ابى يوسف انه

قال لا ادری لعل هذه الآیة منسوخة بقوله ان الذین یاکلون اموال الیتامی ظلما الآیة یا ایها الذین
امنوا لا تاکلوا اموالکم بینکم بالباطل الا ان تکون تجارة عن تراض منکم ۰ وفرق بعضهم بین السفر
والحضر فیتسع اذا کان مقیما معه فی المصر ۰ فاذا احتاج ان یسافر من اجله فله ان یاخذ ما
یحتاج الیه ولا یقتنی شیئا ۰ وبه قال الامام ابو حنیفه ۰ وصاحباه ابو یوسف ومحمد بن الحسن ۰
وقال ابن عباس رضا والنخعی المراد ان یاکل الوصی بالمعروف من مال نفسه حتی لا یحتاج الی مال
یتیمه ۰ قال بعضهم وهذا من احسن ما روی فی تفسیر هذه الآیة لانا لا اموال محضورة لا یطلق شی
منها الا بحجة قاطعة ۰ وقد اختار هذا القول الطبری فی احکام القرآن له ۰ فقال توهم
متوهمون من السلف بحکم الآیة ان للوصی ان یاکل من مال الصبی قدرا لا ینتهی الی حد السرف ۰ وذلک
خلاف ما امر الله تعالی فی قوله لا تاکلوا اموالکم بینکم بالباطل الا ان تکون تجارة عن تراض منکم ولا
یتحقق ذلک فی الیتیم ۰ فقوله تعالی ومن کان غنیا فلیستعفف یرجع الی مال نفسه ۰ دون مال الیتیم
فمعناه ولا تاکلوا اموال الیتیم مع اموالکم ۰ بل اقتصروا علی اکل اموالکم ۰ وقد دل علیه قوله تعالی
ولا تاکلوا اموالهم الی اموالکم انه کان حوبا کبیرا ۰ وظهر بقوله ومن کان غنیا فلیستعفف ومن
کان فقیرا فلیاکل بالمعروف الاقتصار علی البلغة حتی لا یحتاج الی اکل مال الیتیم ۰ فهذا تمام
معنی الآیة ۰ فقد وجدنا ایات محکمات تمنع اکل مال الغیر دون رضاه ۰ لا سیما فی حق الیتیم ۰
ووجدنا هذه الآیة محتملة للمعانی فحملها علی موجب الآیات المحکمات متعین ۰ فان قال
من ینصر مذهب السلف ان القضاة یاخذون ارزاقهم لاجل عملهم للمسلمین فهلا کان الوصی کذلک
اذا عمل للیتیم ۰ ولم لا یاخذ الاجرة بقدر عمله ۰ قیل له اعلم ان احدا من السلف لم یجوز
للوصی ان یاخذ من مال الصبی مع غنی الوصی ۰ بخلاف القاضی ۰ فذلک فارق بین المسالتین ۰ وایضا
فالذی یاخذه الفقها والقضاة والخلفا القائمون بامور الاسلام لا یتعین له ملک ۰ وقد جعل له
ذلک المال الضایع لاصناف باوصاف ۰ والقضاة من جملتهم ۰ والوصی انما یاخذ بعمله مال شخص
معین من غیر رضاه ۰ وعمله مجهول ۰ واجرته مجهوله ۰ وذلک بعید عن الاستحقاق ۰ وکان
بعض المشایخ یقول ان کان مال الیتیم کثیرا یحتاج کبیر قیام علیه بحیث یشغل الولی عن حاجاته
ومهماته فرض له فیه اجرة عمله ۰ وان کان المال تافها لا یشغله عن حاجاته فانه لا یاکل

منه شيا غير انه يستخف له شرب قليل اللبن واكل القليل من الطعام والسمن غير مضر به
ولا مستكثر له بل على ما جرت العادة بالمسامحة فيه ثم قال فاين هذا القول وما ذكرته
من الاجرة ونيل السير من التمر واللبن كل واحد منهما معروف فصلح حمل الاية على ذلك
والله اعلم قال بعضهم والاحتراز عنه افضل ان شاء الله وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم
اموالهم فاشهدوا عليهم قال العلما هذا امر ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولي
بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت
عليه بينة كان ابعد من ان يدعي عدم القبض ويظهر بذلك امانة الوصي وتسقط عنه اليمين
عند انكار اليتيم القبض والله اعلم قال العلما وكما على الوصي والكفيل حفظ مال يتيمه والتثمير له
كذلك عليه حفظ الصبي في بدنه والمال بحفظه بضبطه والبدن بحفظه بادبه وقد مضى
هذا المعنى في سورة البقرة وروى ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ان في حجري
يتيما آكل من ماله قال نعم غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال يا رسول الله افاضربه
قال ما كنت ضاربا منه ولدك وقوله وكفى بالله حسيبا يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا به
ففي هذا وعيد لكل جاحد حق والله اعلم قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون قال العلما لما ذكر الله سبحانه امر اليتامى وصله بامر المواريث وهذه الآية
نزلت في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة يقال لها ام كحة وثلاث بنات له منها فقام
رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته
ولا بناته شيا من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النسا ولا الصغير من الذكور وانما
كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعطي الا ارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجات
ام كحة امراة اوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس بن ثابت وترك
ثلاث بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن ما لا حسنا وهو عند سويد
وعرفجة ولم يعطياني ولا لبناته منه شيا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين
عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفا حتى انظر ما يحدث الله لي فيهن فانزل الله عز وجل

هذه الآية ردا عليهم وابطالا لقولهم وتصرفهم بجهلهم وذلك ان الورثة الصغار كان ينبغي ان يكونوا
احق بالمال من الكبار لعدم تصرفهم والنظر في مصالحهم فعكسوا الحكم وابطلوا الحكمة فضلوا
بما هوآيهم واخطاوا في آرايهم وتصرفاتهم وبين سبحانه ان الارث غير مختص بالرجال بل هو امر
يشترك فيه الرجال والنسآء فقال تعالى للرجال يعني الذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اي حظ
مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث وللنسآء نصيب يعني وللاناث من اولاد الميت حظ
مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر يعني من المال المخلف عن الميت نصيبا مفروضا
يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو آكد من الواجب فلما نزلت هذه الاية مجملة ولم
يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيأ فان الله
عز وجل قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله عز وجل
يوصيكم الله في اولادكم الآية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان
ادفعا الى امكحه الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما ما بقي من المال فال العلما انصا وفي هذه
الاية فوايد ثلاثة احدها بيان علة الميراث وهي القرابة الدانيه عمود القرابة كيف ما تصرفت
من قريب او بعيد الثالثة اجمال النصيب المفروض وذلك مبين في آية المواريث فكان في هذه
الآية توطية للحكم وابطال لذلك الراي الفاسد حتى وقع البيان الشافي والله اعلم وثبت ان
ابا طلحة رضي الله عنه لما تصدق بماله بيرحا وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال له اجعلها
في فقرا اقاربك فجعلها لحسان وابي رضي الله عنهما قال انس رضي الله عنه وكانا اقرب اليه مني
قال ابو داود بلغني عن محمد بن عبد الله الانصاري انه قال ابو طلحة الانصاري زيد بن سهل بن
الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار وحسان بن
ثابت بن المنذر بن حرام يجتمعان في الاب الثالث وهو حرام وابي بن كعب بن قيس بن عتيك
ابن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار قال الانصاري بن ابي طلحة وابي ستة اباء
قال وعمرو بن مالك يجمع حسان وابي بن كعب وابا طلحة قال ابن عبد البر في هذا ما يقضي
على القرابة انها ما كانت في هذا النعدد ونحوه وما كان دونه فهو اخرى ان يلحقه اسم القرابة
والله اعلم واستدل جماعة من العلما بهذه الآية في قسمة المتروك على الفرايض اذا كان فيه

علمنا ان ذلك غير واجب ۞ قال ابن عباس امر الله تعالى المومنين عند قسمة مواريثهم ان يصلوا
ارحامهم ويتاماهم ومساكينهم من الوصية فان لم يكن وصية وصل اليهم من الميراث ۞ قال
بعضهم وهذا احسن ما قيل في الاية ان يكون على الندب والترغيب في فعل الخير والشكر لله عز وجل ۞
وقيل في معنى الآية ان المراد بالقسمة الوصية ۞ فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقربا والسامى
والمساكين امر الله الوصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ۞ ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا ۞
وهو ان لا يتبع العطية بالمن والاذى ۞ والله اعلم ۞ وروى قتادة عن يحيى بن يعمر قال بلاث
ايات محكمات ترك لهن الناس هذه الاية ۞ وآية الاستيذان ۞ وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من
ذكر وانثى ۞ والله اعلم ۞ قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا يعني
اولادا صغارا خافوا عليهم يعني الفقر قال اكثر المفسرين هذا خطاب للذين يجلسون عند المريض
وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيا قدم
لنفسك اعتق تصدق اعط فلانا كذا ۞ وفلانا كذا ۞ فلا يزالون به حتى يأتي على عامة ماله
او يستغرقه ولا يبقى لورثته شي ۞ فنهاهم الله عز وجل عن ذلك ۞ وامرهم بان يامروه بالنظر لولده ۞
ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف ۞ والمعنى كما انكم تكرهون بقا اولادكم في الضعف والجوع
من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الضعفا من ماله ۞ وحاصل هذا
الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم ۞ وكما انه لو كان هذا
القايل هو الموصي لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون
الناس مع ضعفهم وعجزهم ۞ وقيل هو الرجل يحضره الموت ويريد ان يوصي بشي ۞ فيقول له من
حضره من الرجال اتق الله وامسك مالك لولدك ۞ فيمنعوه من الوصية لاقاربه المحتاجين ۞
وقيل يحتمل ان تكون الآية خطابا بالمن قرب اجله ۞ ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية ليلا
تبقى ورثته فقرا ضعفا يعني بعد موته ۞ ثم ان كانت نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد
منها ان لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة ۞ وان كانت نزلت بعد تقدير الثلث كان المراد
منها ان يوصي بالثلث او ما قل منه ۞ اذا خاف على ورثته كما روي عن كثير من الصحابة انهم وصوا
بالقليل لاجل ذلك ۞ وكانوا يقولون الخمس في الوصية افضل من الربع ۞ والربع افضل من الثلث ۞

وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث كثير • لان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عاله يتكففون
الناس يعني يسالونهم باكفهم • وهو قيل خطاب لاوليا اليتامى • والمعنى وليخش من يخاف على ولده
من بعد موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في حجره • والمقصود من الاية
ان من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليه او وصيه وليفعل به ما يحب ان يفعل باولاده من بعده
فليتقوا الله يعني في الامر الذي تقدم ذكره وليقولوا قولا سديدا يعني عدلا وصوابا • فالقول
السديد من الجالسين عند المريض هو ان يامروه بان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده
وورثته وان لا يحيف في وصيته • والقول السديد من الاوصيا واوليا اليتامى ان يكلموهم كما
يكلمون اولادهم ولا يوذوهم بقول ولا فعل • قوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما قال مقاتل بن حيان نزلت هذه الآية في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد • ولي مال
يتيم • وكان اليتيم ابن اخيه فاكله • فانزل الله عز وجل هذه الآية ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما يعني حراما بغير حق انما ياكلون في بطونهم نارا يعني سياكلون يوم القيامة نارا فسمى الذين
ياكلون نارا بما يوول اليه امرهم يوم القيامة • قال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة
ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من راه ياكل مال اليتيم •
وفي حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري
به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل • وقد وكل بهم من ياخذ بمشافرهم
ثم يجعل في افواههم صخرا من نار تخرج من اسافلهم قلت يا جبريل من هولا قال هولا الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا • وقيل انما ذكر اكل النار على سبيل التمثيل
والتوسع في الكلام • والمراد ان اكل مال اليتيم ظلما يفضي به الى النار • وانما خص الاكل بالذكر
وان كان المراد ساير انواع الاتلافات وجميع التصرفات الرديه المتلفه للمال لان الضرر
يحصل ذلك لليتيم • فعبر عن جميع ذلك بالاكل • لانه معظم المقصود • وانما ذكر البطون للتاكيد •
فهو كقولك رايت بعيني وسمعت باذني • وسيصلون سعيرا يعني باكلهم اموال اليتامى ظلما والسعير
النار الموقده المسعرة • ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى
واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله وان تخالطوهم فاخوانكم • وقد توهم بعضهم ان

بكلهم

قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الآية واردة من المنع
من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الآثام
وقوله وان تخالطوهم فاخوانكم فانها واردة على سبيل الاصلاح فى اموال اليتامى والاحسان
اليهم وهو من اعظم القرب والله اعلم وقرا ابن عامر وعاصم فى رواية ابن عباس وسيُصلون سعيرا
بضم الياء على ما لم يسم فاعله من اصلاه الله حر النار اصلاءً قال الله تعالى ساصليه سقر وقرا
ابو حيوة وسَيُصَلَّون بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام من التصلية لكثرة الفعل مرة بعد
اخرى ويقال تصليت اى استدفيت بالنار وقرا الباقون بفتح الياء من صَلَا النار يصلاها
صَلًا وصَلاة قال الله تعالى لا يصلاها الا الاشقى والصَّلا هو التسخن بقرب النار او مباشرتها
والسعير هو الجمر المشتعل والله اعلم قال العلماء وهذه الآية من ايات الوعيد ولا حجة فيها
لمن يُكفِّر بالذنوب والذى يعتقده اهل السنة ان ذلك نافذ على بعض العصاة فنصلى بها ثم تحترق
ويموت خلاف اهل النار فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون فكان هذا جمعا بين الكتاب والسنة
لئلا يقع الخبر فيهما على خلاف مخبره وهو ساقط بالمشيئة عن بعضهم لقوله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهكذا القول فى كل ما يرد عليك من هذا المعنى
وروى مسلم فى صحيحه عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار بذنوبهم
او قال بخطاياهم فاماتتهم اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن بالشفاعة فجئ بهم ضبابير ضبابير
فبُثُّوا على انهار الجنة ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون كما تنبت الحبة تكون فى
حميل السيل فقال رجل من القوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يرعى بالبادية
والله اعلم قوله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين قال المفسرون
بيّن الله تعالى فى هذه الآية ما اجمله فى قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب فدل هذا على ان خبر
البيان عن وقف السوال وهذه الآية ركن من اركان الدين وعمده من عمد الاحكام وام من امهات
الآيات فان علم الفرائض من اعظم العلوم قدرا واشرفها ذخرا وافضلها ذكرا وهى ركن من
اركان الشريعة وفرع من فروعها فى الحقيقة اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها

وتكلموا فى فروعها واصولها • ويكفى فى فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه • وانزلها
فى كتابه مبينه من محل قدسه • وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه
ابو هريرة رضى الله عنه • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض والقران وعلموا
الناس فانى مقبوض اخرجه الترمذى • واخرجه الامام احمد بن حنبل • وزاد فيه فانى امرو مقبوض
والعلم مرفوع • ويوشك ان يختلف اثنان فى الفريضة فلا يجدان احدا يخبرهما • وعن عبد الله بن
مسعود رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القران وعلموه الناس • وتعلموا
الفرايض وعلموها الناس • وتعلموا العلم وعلموه الناس • فانه امرء مقبوض • وان العلم سيقبض
وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان فى الفريضة لا يجدان من يفصل بينهما • وعن ابى هريرة رضى الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض وعلموها • فانه نصف العلم • وهو ينسى
وهو اول شى ينزع من امتى • واذا ثبت هذا فاعلم ان الفرايض كان جل علم الصحابة رضى الله عنهم
وعظيم مناظرتهم • لكن الخلق ضيعوه • وقد روى مطرف عن الامام مالك قال قال عبد الله بن مسعود
من لم يتعلم الفرايض والطلاق والحج فبم يفضل اهل البادية • وروى ابو داود الطيالسى والدارقطنى
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما
سوى ذلك فهو فضل • آية محكمة • او سنة قائمة • او فريضة عادلة • قال ابو سليمان الخطابى
الآية المحكمة هى كتاب الله • واشترط فيها الاحكام • لان من الآى ما هو منسوخ لا يعمل به • وانما
يعمل بناسخه • والسنة القائمة هى الثابتة مما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من السنن الباينة
وقوله او فريضة عادلة تحتمل وجهين من التاويل • احدهما ان تكون من العدل فى القسمة
فتكون معدلة على الانصباء والسهام المذكورة فى الكتاب والسنة • والوجه الآخر ان تكون
مستنبطة من الكتاب والسنة ومن معناهما • فتكون هذه الفريضة تعدل ما اخذ من الكتاب
والسنة • اذ كانت فى معنى ما اخذ عنهما نصا • واختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية
فروى الترمذى وابو داود وابن ماجة والدارقطنى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان امراة
سعد بن الربيع قالت يا رسول الله ان سعدا هلك وترك ابنتين واخاه • فعمد اخوه فقبض ما ترك
سعد • وانما تنكح النسا على اموالهن • فلم يجبها فى مجلسها ذلك • ثم جاءته فقالت يا رسول الله

فانى امرو

اول علم

سوا كان القتل خطا او عمدا لما روى عن ابى هريره رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذى وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند اهل العلم
ان القاتل لا يرث كان القتل عمدا او خطا وقال بعضهم اذا كان القتل خطا فانه يرث وهو
قول الامام مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا او انهدم
عليهما بنا فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الآخر بل يكون كل واحد منهما ممن كان
فى حياته بقينا بعد موته من ورثته فصل والسهام المحدودة فى الفرايض المذكورة
فى كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس
فالنصف فرض ثلاثة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت
الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب وللام اذا لم يكن ولد لاب وام
والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة
مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا او لبنات الابن عند عدم ولد الصلب وفرض
الاختين فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت
ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا فى مسالتين احدهما زوج وابوان والاخرى
زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقى بعد نصيب الزوج او الزوجة وفرض الاثنين
فصاعدا من اولاد الام ذكرهم وانثاهم فيه سوا وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام
ذكرهم وانثاهم فيه سوا وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن فى المسالة صاحب فرض
فكان الثلث خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب
اذا كان للميت ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات
وفرض الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان فى المسالة صاحب فرض وكان السدس
خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من اولاد
الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة للثلثين وفرض
الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة للثلثين وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقى فهو لاولى رجل ذكر

مثوان ١

وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله
من ذلك ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس
والثلث وجعل للمراة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع **فصل** روى عن زيد بن
ثابت رضى الله عنه قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم وانثاهم
كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة
وابن ابن ذكرا كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقى لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض
باهلها فما بقى فهو لاولى رجل ذكر ففى هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض
والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب
النقصان فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع
الى الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام
من الثلث الى السدس واما الثانى وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات
واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد وولد
الابن واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة بالاب والابن وابن
الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت وهو قول عمر وعثمان
وعلى وابن مسعود وبه قال الامام مالك والاوزاعى والامام الشافعى والامام احمد
واولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام وذهب قوم الى ان الاخوة
جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابى بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابى
الدرداء وعائشة رضى الله عنهم وبه قال الحسن وعطاء وطاوس والامام ابو حنيفة والاقرب
من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب
ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام او للاب
يشتركان فى الميراث فان لم يكن جد فالاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنوا الاخوة
يقدم اقربهم سواء كان لاب وام او لاب فان استويا فى الدرجة فالذى هو لاب وام
اولى ثم العم لاب وام ثم العم لاب ثم بنوهم على ترتيب بنى الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد

اسفل منها لم يرد عليها مراعيا في ذلك قول الله سبحانه فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فلم يجعل للبنات وان كثرن الا الثلثين هكذا ذكر بعضهم هذا التفصيل عن ابن مسعود والذي ذكره ابن المنذر وغيره ان ما فضل من بنات الصلب يكون لبني الابن دون بنات الابن ولم يفصل وحكاه ابن المنذر عن ابي ثور وحكى نحوه ابن عبد البر قال وخالف في ذلك ابن مسعود فقال اذا استكمل البنات الثلثين فالباقي لبني الابن دون اخواتهم ودون من فوقهم من بنات الابن ومن بحتهم والى هذا ذهب ابو ثور وداود بن علي ورُوي مثله عن علقمة وحجة من ذهب الى هذا المذهب حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقسموا المال بين اهل الفرايض على كتاب الله فما ابقت الفرايض فلاولى رجل ذكر اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ومن حجة الجمهور قول الله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين لان ولد الولد ولد ومن جهة النظر والقياس ان كل من تعصب في درجته في جملة المال فواجب ان يعصبه في الفاضل من المال كاولاد الصلب فوجب بذلك ان يشارك ابن الابن اخته كما يشارك الابن للصلب اخته والله اعلم وقوله تعالى فان كن يعني المتروكات من الاولاد نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وقوله فوق اثنتين يعني بنتين فصاعدا واجمعت الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الآية وقال للبنتين فرض البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فجعل للنساء اذا زدن على الثنتين وعذره ان فرض البنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فمنها حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل سبحانه النصف للواحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني ان في الآية تقديما وتاخيرا فالتقدير فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق ها هنا صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا الاعناق وانما سمي الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة تدليل قول الله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا البنتين الثلثين بتاويل القرآن

لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف بقوله وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت
الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين
الثلثين بقوله وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين
الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين لابنتي
سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسالة والله اعلم وقوله تعالى وان كانت واحدة يعني
البنت واحدة فلها النصف يعني فرضها هذا قرا نافع واهل المدينة وان كانت واحدة
بالرفع على معنى وقعت وحدثت فهي كان التامة كما قال الشاعر

اذا كان الشتا فادفيوني فان الشيخ يهدمه الشتاء

وقرا الباقون بالنصب وهذه قراة حسنة والمعنى وان كانت المتروكة واحدة او المولودة
واحدة مثل قوله فان كن نساء فان كان مع بنات الصلب بنات ابن وكان بنات الصلب
اكثر فصاعدا حجبن بنات الابن ان يرثن بالفرض لانه لا مدخل لبنات الابن ان يرثن بالفرض
في غير الثلثين فان كانت بنات الصلب واحدة فان ابنة الابن او بنات الابن يرثن مع
بنت الصلب تكملة للثلثين لانه فرض ورثه البنتان فما زاد وبنات الابن بمنزلة بنات الصلب
عند عدمهن وكذلك ابناء البنين يقومون مقام البنين في الحجب والميراث فلما عدم من
يستحق منهن السدس كان ذلك لبنت الابن وهي اولى بالسدس من الاخت الشقيقة للمتوفى
وعلى هذا جمهور الفقهاء من الصحابة والتابعين الا ما يروى عن ابي موسى وسلمان بن ربيعة
ان للبنت النصف والنصف الباقي للاخت ولا حق في ذلك لبنت الابن وقد صح عن ابي موسى ما
يقتضي انه رجع عن ذلك رواه البخاري قال حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال حدثنا
ابو قيس سمعت هزيل بن شرحبيل يقول سئل ابو موسى عن بنت وابنة ابن واخت فقال
للبنت النصف وللاخت النصف وات ابن مسعود فانه سيتابعني فسئل ابن مسعود واخبر
بقول ابي موسى فقال لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين اقضي فيها بما قضى النبي صلى الله عليه
وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة للثلثين وما بقي فللاخت فاتيا ابا موسى
فاخبرناه بقول ابن مسعود فقال لا تسالوني ما دام هذا الحبر فيكم فان كان مع بنت

الابن

الابن اوبنات الابن ابن ابنٍ فى درجتها اواسفل منها عصّبها. فكان النصف الباقى بينهما
للذكر مثل حظ الانثيين بالغا ما بلغ. خلافا لابن مسعود على ما تقدم. اذا استوفى بنات الصلب
اوبنت الصلب وبنات الابن السدسين. وكذلك تقول فى الاخت لاب وام. واخوات واخوة
لاب. فللاخت من الاب والام النصف. والباقى للاخوة والاخوات مما لم يصبهن فى المقاسمة
اكثر من السدس. فان اصابهن اكثر من السدس اعطاهن السدس تكملة للثلثين. ولم يزدهن
على ذلك. وبه قال ابو ثور. والله اعلم. واذا مات الرجل وزوجته حبلى. فان المال يوقف
حتى يتبين ما تضع. واجمع اهل العلم على ان الرجل اذا مات وزوجته حبلى ان الولد الذى فى
بطنها يرث ويورث اذا خرج حيا فاستهل. وقالوا جميعا اذا خرج ميتا لم يرث. فان
خرج حيا ولم يستهل. فقالت طائفة لا ميراث له وان تحرك اوعطس مالم يستهل. وهذا
قول الامام مالك. والقاسم بن محمد. وابن سيرين والشعبى والزهرى وقتادة. وقالت
طائفة اذا عرفت حياة المولود بتحريك اوصياح اورضاع اونفس فاحكامه احكام الحى.
وهذا قول الامام الشافعى وسفين الثورى. والاوزاعى. قال ابن المنذر والذى قاله الامام
الشافعى يحتمل النظر. غير ان الخبر ممنوع منه. وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود
يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان الا ابن مريم وامه. وهذا
خبر. ولا يقع على الخبر الناسخ. والله اعلم. قال العلماء ولما قال الله تعالى فى اولادكم تناول
الخنثى. وهو الذى له فرجان. واجمع العلماء على انه يورثه من حيث يبول. ان بال من حيث
بول الرجل ورث ميراث رجل. وان بال من حيث تبول المراة ورث ميراث المراة. فان
بال منهما معا فالعبرة للاسبق. وهذا قول سعيد بن المسيب. والامام ابى حنيفة والامام احمد
واسحق. وروى قتادة عن سعيد بن المسيب انه قال فى الخنثى يورثه من حيث يبول. فان بال
منهما جميعا فنصف ذكر ونصف انثى. وقال ابو يوسف ومحمد بن الحسن من ايهما خرج اكثر
ورث. وحكى هذا عن الاوزاعى. وقال الامام ابو حنيفه اذا خرج منهما معا فهو مشكل.
ولا انظر الى ايهما اكثر. وروى عنه انه وقف عليه اذا كان هكذا. وحكى عنه انه قال
اذا اشكل يعطى اقل النصيبين. وقال يحيى بن ادم اذا بال من حيث بول الرجل وحيض كما تحيض

المراة ورث من حيث يبول. لان في الاثر ورث من مباله. وفي قول الامام الشافعي اذا خرج
منهما جميعا ولم يسبق احدهما الآخر يكون مشكلا. ويعطى من الميراث ميراث انثى. ويوقف الباقي
سنه وسن سايز الورثه حتى يسير امره او يصطلحوا. وبه قال ابو ثور. وقال الشعبي يعطى
نصف ميراث الذكر ونصف ميراث الانثى. وبه قال الاوزاعي. وهو مذهب الامام مالك.
وقال ابن شاس في جواهره الثمينه. على مذهب مالك عالم المدينة. ان الخنثى يعتبر اذا كان
ذا فرجين فرج الرجل وفرج المراة بالمبال منهما. فيعطى الحكم لما بال منه. فان بال منهما اعتبر
الكثره من ايتهما. فان تساوى الحال اعتبر السبق. فان كان ذلك منهما معا اعتبر نبات اللحيه
او كبر الثديين. ومشابهتهما الثدى النسا. فان اجتمع الامران اعتبر الحال عند البلوغ. فان
وجد الحيض حكم به. وان وجد الاحتلام وحده حكم به. فان اجتمعا فهو مشكل. وكذلك لو لم
يكن فرج. لا المختص بالرجال ولا المختص بالنسا. بل كان له مكان يبول منه فقط. انتظر به
البلوغ. فان ظهرت علامة مميزه والا فهو مشكل. ثم حيث حكمنا بالاشكال فميراثه نصف
نصيبي ذكر وانثى. وهذا الذي ذكروه من العلامات في الخنثى المشكل. وقد اشرنا
الى علامة في سوره البقره وصدر هذه السورة تلحقه باحد النوعين. وهي اعتبار الاضلاع.
وهي مروية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه. وبها حكم. وقد نظم بعض العلما حكم الخنثى
المشكل في ابيات كثيره. وفيها نقول ۞

وانه معتبر الاحوالِ ❊ بالثدى واللحيةِ والمبالِ ❊
وان تكن قد استوت حالاتهُ ❊ ولم تبنِ واشكلت آياتهُ ❊
فحظهُ من مورثِ القريبِ ❊ ستة اثمانٍ من النصيبِ ❊
هذا الذي استحق للاشكالِ ❊ وفيه ما نقص من النكالِ ❊
وواجب في الحق ان لا ينكحا ❊ ما عاش في الدنيا وان لا ينكحا ❊
اذ لم يكن من خالصِ العيالِ ❊ ولا اعتدى من جملة الرجالِ ❊
وكل ما ذكرتهُ في النظمِ ❊ قد قاله سراةُ اهلِ العلمِ ❊
وقد ابى الكلام فيه قومُ ❊ منهم ولم يجنح اليه لومُ ❊

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في الارث والنكاح والاحرام [illegible]

وان تزد ضلعا على الذكران [illegible]

لان للنسوان ضلعا زايدة [illegible]

اذ نقصت من آدم فيما سبق [illegible] هذا القول حق

عليه مما قاله الرسول [illegible] صلى عليه ربنا دليل

قال ابو الوليد بن رشد ولا يكون الخنثى المشكل زوجا ولا زوجة ولا ابا ولا امّا

وقد قيل انه قد وجد من له ولد من بطنه وظهره قال ابن رشد فاذا صح ورث

ابن ابنه لصلبه ميراث الاب كاملا ومن ابنه لبطنه ميراث الام كاملا وهذا بعيد والله اعلم

وروى الدارقطني في سننه عن ابي عاصم عمر بن بشر قال سئل عامر الشعبي عن مولود

ليس بذكر ولا انثى ليس له ما للذكر ولا ما للانثى فخرج من سرته كذكر البول والغايط

فسئل عامر الشعبي عن ميراثه فقال عامر نصف حظ الذكر ونصف حظ الانثى والله اعلم

وقوله تعالى ولابويه يعني ابوي الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه لكل واحد

منهما السدس مما ترك ان كان له ولد يعني ان للاب والام مع وجود الولد وولد الابن

لكل واحد منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات

الميت وترك ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك بنات فان للاب السدس بالفرض

وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي من

التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب وقال بعض المفسرين

ايضا قوله تعالى ولابويه اي لابوي الميت وهو كناية عن غير مذكور وجاز ذلك لدلالة الكلام

عليه كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله انا انزلناه في ليلة القدر والابوان تثنية

الاب والابة واستغنى بلفظ الام عن ان يقال لها ابة ومن العرب من يجري المختلفين

لمجرى الاخوة • وحجة الجمهور ان هذا ذكر لا تعصب اخته • فلا يقاسم الجد كالعم وابن
العم ٥ قال الشعبي واول جد ورث في الاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه • مات
ابن لعاصم بن عمر وترك اخوين • فاراد عمر ان يستاثر بماله • فاستشار عليا وزيدا في ذلك •
فمثلا له مثلا • فقال لولا ان رايكما اجتمع ما رايت ان يكون ابني ولا اكون اباه • وروى
الدارقطني عن زيد بن ثابت • ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استاذن عليه يوما فاذن له
وراسه في يد جارية له ترجله • فنزع راسه • فقال عمر دعها ترجلك • فقال يا امير المومنين
لو ارسلت الي جيتك • فقال عمر انما الحاجة لي • جيتك لتنظر في امر الجد • فقال زيد لا والله •
ما نقول فيه • فقال عمر ليس هو بوحي تزيد فيه وتنقص منه • انما هو شي تراه • فان
رايته وافقني تبعته • والا لم علمك فيه شي • فابا زيد رضي الله عنه • فخرج عمر مغضبا •
فقال قد جيتك وانا اظن ستفرغ حاجتي • ثم اتاه مرة اخرى في الساعة التي اتاه في المرة
الاولى • فلم يزل به حتى قال فسا كتب لك فيه • فكتبه في قطعة قتب • وضرب له مثلا انما
مثله مثل شجرة نبتت على ساق واحدة فخرج فيها غصن • ثم خرج في الغصن غصن • فالساق
تسقي الغصن • فان قطعت الغصن الاول رجع الما الى الغصن الذي وان قطعت الثاني
رجع الما الى الاول • فاتى به فخطب عمر الناس • ثم قرا قطعة القتب عليهم • ثم قال ان زيد
ابن ثابت قد قال في الجد قولا وقد امضيته • قال وكان اول جد كان • فاراد ان ياخذ
المال كله مال ابن ابنه دون اخوته • فقسمه بعد ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥
واما الجدة فاجمع اهل العلم على ان للجدة السدس اذا لم يكن للميت ام • واجمعوا على ان
الام تحجب امها وام الاب • واجمعوا على ان الاب لا يحجب ام الام • واختلفوا في توريث
الجدة وابنها حي • فقالت طائفة لا ترث الجدة وابنها حي • وهذا مروي عن زيد بن ثابت
وعثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب • وبه قال الامام مالك وسفين الثوري والاوزاعي وابو
ثور واهل الكوفة • وقالت طائفة ترث الجدة مع ابنها • وهذا مروي عن عمر وابن
مسعود • وعثمان وعلي ايضا • وابي موسى الاشعري • وبه قال شريح وجابر بن زيد وعبد الله
ابن الحسن وشريك والامام احمد واسحق وابن المنذر • وقال كما ان الجد لا يحجبه الا

الاب • كذلك الجده لا يحجبها الا الام • وروى الترمذى عن عبد الله قال فى الجده مع ابنها
ابنها اول جدة اطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم سدسها مع ابنها وابنها حي • ٥
واختلف العلما فى ورثت الجدات • فقال الامام مالك لا يرث الا جدتان • امّ امٍّ • وامّ ابٍ
وامهاتهما • وكذلك روى ابو ثور عن الامام الشافعي • وبه قال جماعة من التابعين • فان
انفردت احداهما فالسدس لها • وان اجتمعا وقرابتهما سوا فالسدس بينهما • وكذلك ان
كثرن اذا تساوين فى القعدد • وهذا كله مجمع عليه • فان قربت التى من قبل الام كان
لها السدس دون غيرها • وان قربت التى من قبل الاب كان بينها وبين التى من قبل الام
وان بعدت • ولا يرث الا جدة واحدة من قبل الام • ولا ترث الجدة ام ابى الام على حال
هذا مذهب زيد بن ثابت رضى الله عنه • وهو ايضا ما روى عنه فى ذلك • وهو قول الامام مالك
واهل المدينة • وقيل ان الجدات امهات • فاذا اجتمعن فالسدس لاقربهن • كما ان الابا
اذا اجتمعوا كان احقهم بالميراث اقربهم • وكذلك البنون • والاخوة • وبنو الاخوة • وسوا هم
اذا اجتمعوا كان احقهم بالميراث اقربهم • فكذلك الامهات • قال ابن المنذر وهذا اصح
وبه اقول • وكان الاوزاعى يورث ثلاث جدات • واحدة من قبل الام • واثنتين من قبل الاب
وهو قول الامام احمد بن حنبل • ورواه الدارقطنى عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا • وروى
عن زيد بن ثابت عكس هذا • انه كان يورث ثلاث جدات • ثنتين من قبل الام وواحدة من قبل
الاب • وقول علي رضى الله عنه كقول زيد هذا • وكانا يحجبان السدس لاقربهما من قبل
الاب كانت او من قبل الام • ولا يشركهما فيه من ليس فى قعددها • وبه قال سفين الثورى
والامام ابو حنيفة واصحابه وابو ثور • واما عبد الله بن مسعود وابن عباس فكانا يورثان
ثلاث الجدات الاربع • وهو قول الحسن البصرى • ومحمد بن سيرين • وجابر بن زيد • قال
ابن المنذر وكل جده اذا سبت الى الميت وقع فى نسبها اب بين امّين فليست ترث فى
قول كل من نحفظ عنه من اهل العلم والله اعلم • وذلك قول الله تعالى ولابويه لكل واحد منهما
السدس مما ترك ان كان له ولد • وقوله فان لم يكن له ولد يعنى للميت وورثه ابواه
فلامه الثلث يعنى ان الميت اذا مات عن ابوين وليس له وارث سواهما فان الام ياخذ الثلث

يعني ان هذه الاشياء [illegible] انما تقسم بعد [illegible] الدين وانما الوصية للميت في [illegible]
وذكر الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان [illegible] او لا توجب الترتيب وانما
هي لاحد الشيئين كانه قال من بعد اخذ هذين [illegible] او مضموما الى الآخر قال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه انكم تقرؤون الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين
قبل الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما لان الدين
حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة فان قيل ما الحكمة
في تقديم ذكر الوصية على ذكر الدين والدين المقدم عليها بالاجماع وقد روى الترمذي عن
الحارث عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية وانتم تقرؤون
الوصية قبل الدين قال والعمل على هذا عند عامة اهل العلم انه يبدا بالدين قبل الوصية
وروى الدارقطني من حديث عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الدين قبل الوصية ولا وصية لوارث رواه عنهما ابو اسحق الهمداني قيل له
الجواب عنه من خمسة اوجه الوجه الاول انما قصد تعالى تقديم هذين الفصلين
على الميراث ولم يقصد ترتيبهما في انفسهما فلذلك تقدمت الوصية في اللفظ الوجه
الثاني لما كانت الوصية اقل لزوما من الدين قدمها اهتماما بها كما قال لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الوجه الثالث قدمها لكثرة وجودها ووقوعها فصارت كاللازم لكل ميت
مع نص الشرع عليها واخر الدين لشذوذه فانه قد يكون وقد لا يكون فبدا بذكر الذي
لا بد منه وعطف الذي قد يقع احيانا ويقوى هذا العطف باو ولو كان الدين راسا
لكان العطف بالواو الوجه الرابع انما قدمت الوصية اذ هي حظ مساكين وضعفاء
واخر الدين اذ هو حظ غريم يطلبه بقوة وسلطان وله فيه مقال الوجه الخامس
لما كانت الوصية ينشئها من قبل نفسه قدمها والدين ثابت مؤدى سواء ذكره او لم يذكره
والله اعلم بمراده ولما ثبت هذا تعلق الامام الشافعي بذلك في تقديم دين الزكوة والحج
على الميراث فقال ان الرجل اذا فرط في زكاة ماله وجب اخذ ذلك من راس ماله وهذا
القول ظاهر ببادي الراي لانه حق من الحقوق فيلزم اداؤه عنه لحقوق الادميين لا سيما

والزكاة

والزكوة مصرفها الى الادمى ٥ وقال الامام ابو حنيفه والامام مالك ان اوصى بها أديت
من ثلث ماله ٥ وان سكت عنها لم يخرج عنه شئ ٥ قالوا لان ذلك موجب لترك الورثه فقراء لانه
قد يتعمد ترك الكل حتى اذا مات استغرق ذلك جميع ماله ٥ فلا يبقى للورثه حق ٥ والله اعلم ٥
قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قيل هذا كلام معترض
بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ٥ ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ٥
ومعنى هذا الكلام فى قول ابن عباس ان الله عز وجل يشفع المومنين بعضهم فى بعض ٥ فاطوعكم
لله تعالى من الاباء والابناء ارفعكم درجة ٥ فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله
اليه ولده ٥ وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم ٥
فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ٥ لان احدهما لا يعرف منفعة صاحبه له فى الجنة
وسبقه الى منزلة عالية يكون سببا لرفعه اليها ٥ وقيل ان هذا كلام معترض بينهما ٥
ومعناه متعلق بمعنى الآية يقول تعالى اباؤكم وابناؤكم يعنى الذين ترثونكم ٥ لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا ٥ اى لا تعلمون ايهم انفع لكم فى الدين والدنيا ٥ فمنكم من يظن ان الاب انفع له
فيكون الابن انفع له ٥ ومنكم من يظن ان الابن انفع له ٥ فيكون الاب انفع له ٥ ولكن الله تعالى هو
الذى دبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ٥ ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم ٥
فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث ٥ وتمنعون من يستحق الميراث ٥ وقال بعضهم ايضا
ان هذه الاية متعلقة بما تقدم ٥ وذلك انه تعالى عرف العباد انهم كفوا مووونه الاجتهاد
فى انصبا القرابة مع اجتماعهم فى القرابة ٥ اى ان الاباء والابناء يشفع بعضهم لبعض فى الدنيا
بالتناصر والمواساة ٥ وفى الآخرة بالشفاعة ٥ واذا تقرر ذلك فى الاباء والابناء تقرر
فى جميع الاقارب ٥ فلو كانت القسمة موكولة الى الاجتهاد لوجب النظر فى غنا كل واحد
منهم ٥ ومع ذلك يخرج الامر عن الضبط ٥ اذ قد يختلف الامر ٥ فبين الرب تبارك وتعالى ان
الاصلح للعبد ان لا يوكل الى اجتهاده فى مقادير المواريث ٥ بل بين سبحانه المقادير شرعا
بقوله فريضة من الله يعنى ما قدر من المواريث لاهلها فريضة من الله واجبة ان الله
كان عليما حكيما يعنى كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرايض وفرض من

من الاحكام ۰ وقيل معناه كان عليما بخلقه قبل ان يخلقهم ۰ حكيما حيث فرض للصغار مع
الكبار ۰ ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل ۰ قال العلماء وفي معنى لفظة
كان ثلاثة اقوال ۰ احدها ان الله تعالى كان عليما بالاشياء قبل خلقها ۰ ولم يزل كذلك ۰ الثاني
حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا قيل
لهم ان الله كان عليما كذلك ۰ ولم يزل الله على ما شاهدتم ۰ الثالث قال الخليل الخبر عن الله
عز وجل بمثل هذه الاشياء كالخبر بالحال والاستقبال ۰ لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها
الزوال والتقلب ۰ والله اعلم بمراده ۰ قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم
يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ۰
هذا ميراث الازواج من الزوجات ۰ والخطاب في قوله ولكم للرجال ۰ وقال تعالى في ميراث
الزوجات من الازواج ولهن يعني للزوجات الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم
ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين قال العلماء لما جعل الله تعالى
في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل في الموجب السببي للرجل مثل حظ الانثيين
واعلم ان الواحدة من النساء لها الربع او الثمن ۰ وكذلك لو كن اربع زوجات ۰ فانهن يشتركن
في الربع او الثمن ۰ واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ۰ ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد
البنت في ذلك ۰ وسواء كان الولد للرجل من الزوجة او من غيرها ۰ والله اعلم ۰ قوله تعالى وان
كان رجل يورث كلالة او امراة قال العلماء تقدير الآية وان كان رجل او امراة يورث
كلالة ۰ واختلفوا في الكلالة ۰ فذهب اكثر الصحابة رضي الله عنهم الى ان الكلالة من لا ولد له
ولا والد ۰ وروى الشعبي قال سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن الكلالة فقال اقول فيها
قولا برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان ۰ ارى ما خلا الوالد
والولد ۰ فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال اني لاستحي الله ان ارد شيا قاله ابو بكر رضي الله
عنه ۰ وهذا قول علي بن ابي طالب وابن مسعود وزيد بن ثابت ۰ واحدى الروايتين عن عمر
وابن عباس ۰ وهذا القول هو الصحيح المختار ۰ ويدل على صحته ان اشتقاق الكلالة من كلة
الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم ۰ فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا

الوجه. وقال ان الكلالة فى اصل اللغة عبارة عن الاحاطة. ومنه الاكليل لاحاطته بالراس.
فمن عدا الوالد والولد من القرابة انما سموا كلاله لانهم كالدايرة المحيطة بالانسان. اما
نسبة الولادة فلست كذلك. لان فيها تنوع البعض عن البعض. وتولد البعض من البعض.
فهو كالشى الواحد الذي تتزايد على نسق واحد. فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم
الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما حصل نسبهم اتصال واحاطة بالمنسوب
اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد. والرواية الاخرى عن عمر
وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له. وبه قال طاوس. واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل
الله يفتيكم فى الكلالة ان امرو هلك ليس له ولد. وبيانه عند عامة العلماء ما خوذ من حديث
جابر رضى الله عنه ان الآية نزلت فيه. ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن. لان اباه قتل يوم
احد. وآية الكلالة نزلت فى آخر عمر النبى صلى الله عليه وسلم. فصار شان جابر بيانا للمراد
الآية التى فى آخر السورة لنزولها فيه. واختلفوا فى ان الكلالة اسم لمن. فمنهم من قال
هو اسم للميت. وهو قول على بن ابى طالب. وابن مسعود. وابن عباس. لانه مات عن ذهاب طرفيه
فكل عمود نسبه. وقال هم اسم للحى من الورثة. وهو قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه.
وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون الوالد والولد. ويدل عليه حديث
جابر انما يرثنى كلالة. اى يرثنى ورثه ليسوا بولد ولا والد. فان كان المراد بالكلاله الميت
الموروث. فالمراد يرثه غير الوالد والولد. وان كان المراد الوارثين فهو غير الوالد والولد.
وقال ابن زيد الكلالة الذى لا ولد له ولا والد. والحى والميت كلهم كلالة. هذا يرث
بالكلالة. وهذا يورث بالكلالة. وقال ابو الخير سال رجل عقبة عن الكلالة. فقال الا
تعجبون من هذا يسالنى عن الكلالة. وما اعضل باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم شى مما اعضل
بهم الكلالة. وفى الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ثلاث وددت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهى اليه الجد والكلالة. وابواب من ابواب
الربا. وهذا طرف حديث فى ذكر الخمر. وعن معدان بن ابى طلحة قال خطب عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فقال انى لا ادع بعدى شيا اهم عندى من الكلالة. ما راجعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما راجعته فى الكلالة • وما اغلظ لى فى شئ ما اغلظ لى فى الكلالة • حتى طعن باصبعه
فى صدرى وقال يا عمر الا يكفيك آية الصيف التى فى آخر سورة النسآء • وانى ان اعش اقض
فيها بقضية يقضى بها من يقرا القران ومن لا يقرا القران • لفظ مسلم • قوله صلى الله عليه
وسلم لعمر الا يكفيك آيه الصيف • اراد ان الله عز وجل انزل فى الكلالة اثنين • احدهما فى الشتآء •
وهى التى فى اول سورة النسآء • والآية الاخرى فى الصيف • وهى التى فى آخر السورة • وفيها من البيان
ما ليس فى آية الشتآء • فلذلك احاله عليها • وذكر بعض المفسرين ايضا معنى الكلالة • قال الكلالة
مصدر من تكلله النسب • اى احاط به • وبه سمى الاكليل • والاكلل منزلة من منازل القمر •
لاحاطتها بالقمر اذا دخل بها • ومنه الاكليل ايضا وهو التاج والعصابه المحيطه بالراس •
فاذا مات الرجل وليس له ولد ولا والد فورثته كلاله • وهذا قول ابى بكر • وعمر • وعلى • وجمهور
اهل العلم • وذكر يحيى بن ادم عن شريك وزهير وابى الاحوص عن ابى اسحق عن سليمان بن عبدٍ قال
ما رايتهم الا وقد تواطوا • واجمعوا على ان الكلالة من مات ليس له ولد ولا والد • وهكذا قال
صاحب كتاب العين • وابو منصور اللغوى • وابن عرفة • والقتبى • وابو عبيد • وابن الانبارى •
فالاب والابن طرفان للرجل • فاذا ذهبا تكلله النسب • ومنه قيل روضة مكللة اذا
حفت بالنور • وانشد امرو القيس •

اصاح ترى برقا اريك وميضه ٭ كلمع اليدين فى حبى مكلل ٭

فسموا القرابه كلالة لانهم اطافوا بالميت من جوانبه وليسوا منه ولا هو منهم • واحاطتهم
به انهم لينتسبون معه • كما قال اعرابى • مالى كبير ورثنى كلالة متراخ نسبهم •
وقال الفرزدق •

ورثتم قناة المجد لا عن كلالةٍ ٭ عن ابنى منافٍ عبدِ شمس وهاشمِ ٭

وقال آخر •

وان ابى المرء احمى له ٭ ومولى الكلالة لا يعصبُ ٭ •

وقيل ان الكلالة ماخوذه من الكلال • وهو الاعياء • فكانه يصير الميراث الى الوارث عن بعدٍ
واعياء • وقال الاعشى •

فى كتاب الله • وقوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين تقدم تفسيره • وبقى شئ من
الاحكام نذكرها هنا • وذلك ان ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وبعضه • وفى معنى
الآية ما روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ
مسلم له شئ يوصى فيه • وفى رواية له شئ يريد ان يوصى به ان تبيت ليلتين • وفى رواية ثلاث
ليال الا ووصيته مكتوبة عنده • قال نافع سمعت عبد الله بن عمر رضى الله عنه يقول ما
مرت على ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا وعندى وصيتى مكتوبة •
اخرجاه فى الصحيحين • ففى ظاهر الحديث ما يدل على اطلاق الوصية • لكن ورد فى السنة ما يدل
على تقييد هذا المطلق وتخصيصه • وهو قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد بن ابى
وقاص قال الثلث والثلث كثير • انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون
الناس • اخرجاه فى الصحيحين • ففى هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من الثلث • وان
النقصان عن الثلث جايز • ولا تجوز الوصية لوارث • ويدل عليه ما روى عن عمرو
ابن خارجة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل اعطى كل
ذى حق حقه • فلا وصية لوارث • والولد للفراش • وللعاهر الحجر • اخرجه الترمذى والنسايى •
وعن ابى امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اعطى كل ذى
حق حقه • فلا وصيه لوارث • اخرجه ابو داود • فهذه جملة من علم الفرايض تضمنها الآية
الكريمة • والله الموفق للهدايه • وكانت الوراثه فى الجاهليه وبدء الاسلام بالمحالفة • قال الله
عز وجل والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم • ثم صارت بعد المحالفة بالهجرة • قال الله
عز وجل والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا • وسياتى هناك • وما فيه
القول على ذوى الارحام وميراثهم ان شاء الله تعالى • وما ثبت ايضا فى سورة النور ميراث الملاعنة
وولد الزنا والمكاتب ان شاء الله بحوله وقوته • والجمهور من العلماء على ان الاسير المعلوم حياته
ان ميراثه ثابت • لانه داخل فى حكم المسلمين الذين احكام الاسلام جارية عليهم • وقد روى عن
سعيد بن المسيب انه قال فى الاسير فى يد العدو لا يرث • وقد تقدم ميراث المرتد فى سورة
البقرة • والله اعلم • وقوله تعالى غير مضار يعنى غير مدخل الضرر على الورثه بمجاوزة

الثلث فى الوصية وهو ان يوصى باكثر من الثلث • وقيل هو ان يوصى بدين ليس عليه او بقرمانه
او باكثره لاجنبى ويترك ورثته • واجمع العلما على ان اقراره بدين لغير وارث حالة المرض جائز
اذا لم يكن عليه دين فى الصحة • فان كان عليه دين فى الصحة ببينه واقر لاجنبى بدين فقالت
طائفة يبدا بدين الصحة • وهو قول النخعى والكوفيين • قالوا فاذا استوفاه صاحبه فاصحاب
الاقرار فى المرض يتحاصون • وقالت طائفة هما سوا • اذا كان لغير وارث • وهذا قول الامام
الشافعى وابى ثور وابى عبيد • وذكر ابو عبيد انه قول اهل المدينه • ورواه عن الحسن • والله اعلم •
وقد مضى فى تفسير سوره البقرة الوعيد فى الاضرار فى الوصيه ووجوهها • وروى ابو داود
من حديث شهر بن حوشب وهو مطعون فيه عن ابى هريره رضى الله عنه حدثه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الرجل او المراة ليعمل بطاعة الله ستين سنه ثم يحضرهما الموت فيضاران
فى الوصية فتجب لهما النار • قال قرا على ابو هريرة من ها هنا من بعد وصية توصى بها او دين
غير مضار حتى بلغ ذلك الفوز العظيم • وقال ابن عباس رضى الله عنهما الاضرار فى الوصيه من
الكباير • وقال قتادة كره الله الضرار فى الحياه وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه • وقول
ابن عباس ان الاضرار فى الوصية من الكبايرة • وذلك لان مخالفة امر الله كبيره • وقد نهى الله عز
عن الاضرار فى الوصيه • فدل على ان ذلك من الكبايرة • واعلم ان الاولى للانسان ان ينظر عند
الموت فى قدر ما خلف من المال • ومن خلف من الورثة • ثم يجعل وصيته بحسب ذلك • فان كان
ماله قليلا وفى الورثه كثرة فالاولى به ان لا يوصى بشى • لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابى
وقاص انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس • وان كان فى المال
كثرة او صى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده فى القله والكثره • وقوله تعالى
وصية من الله اى فريضة من الله • وقيل عهد امر الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات
منكم والله عليم يعنى انه تعالى عليم بمالح عباده ومضارهم وبما يفرض عليهم من الاحكام • وقيل
عليم بمن يجور فى وصيته وبمن لا يجور حليم يعنى انه تعالى ذو حلم وذو اناة فى ترك العقوبة
عن من جار فى وصيته • وقال ابو سليمان الخطابى الحليم ذو الصفح والاناة الذى لا يستفزه
غضب ولا يستخفه جهل جاهل • والحليم هو الصفوح مع القدرة المتانى الذى لا يعجل بالعقوبة •

فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن
الموت او يجعل الله لهن سبيلا

[illegible] فاستشهدوا عليهن اربعة منكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الشهادة على الزنا خاصة [illegible]
[illegible] في الزنا حكم ثابت في التورية والانجيل والقران قال الله تعالى
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقال هنا فاستشهدوا عليهن
اربعة منكم وروى ابو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال جاءت اليهود برجل وامراة
منهم زنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ايتوني باعلم رجلين منكم فاتوه بابني صوريا فقال لهما
كيف تجدان امر هذين في التوراة قالا نجد في التورية اذا شهد اربعة انهم راوا ذكره في
فرجها كالميل في المكحلة رجما قال فما منعكما ان ترجموهما قالا ذهب سلطاننا فكرهنا
القتل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهود فجاؤا فشهدوا انهم راوا ذكره في فرجها
كالميل في المكحلة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما وقال قوم انما كان الشهود
في الزنا اربعة ليترتب شاهدان على كل واحد من الزانيين كسائر الحقوق اذ هو حق يوخذ
من كل واحد منهما وهذا ضعيف لان اليمين يدخل في الاموال واللوث في القسامة ولا
مدخل لواحد منهما هنا قال العلماء ولا بد ان يكون الشهود ذكورا لقوله تعالى منكم ولا خلاف
في ذلك بين الائمة وان يكونوا عدولا لان الله تعالى شرط العدالة في البيوع والرجعة فهذا
اعظم وبذلك اولى وهذا من حمل المطلق على المقيد بالدليل على ما هو مذكور في اصول الفقه
ولا يكون الشهود ذمة وان كان الحكم في ذمة وسياتي ذلك في سورة المائدة فصل
اتفق العلماء على ان هذه الاية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان
ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القران بالسنة
وذهب بعضهم الى ان الاية منسوخة باية الحد التي في سورة النور وقيل ان هذه
الاية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ باية الجلد وقال ابو سليمان الخطابي لم

يحصل النسخ فى هذه الآية ولا فى الحديث • وذلك لان قوله تعالى فامسكوهن فى البيوت حتى
يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل على امساكهن فى البيوت ممدود الى غاية
ان يجعل الله لهن سبيلا • وان ذلك السبيل كان مجملا • فلما قال النبى صلى الله عليه وسلم خذوا
عنى قد جعل الله لهن سبيلا الحديث • فصار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا
لها • واجمع العلما على جلد البكر الزانى مائة • ورجم المحصن • وهو الذى اجتمع فيه اربعة
اوصاف • البلوغ • والعقل • والحرية • والاصابة فى نكاح صحيح • وهو الثيب • واختلفوا فى
جلد الثيب ورجمه • فذهبت طائفة الى انه يجب الجمع بينهما • وبه قال على بن ابى طالب رضى الله
عنه • والحسن البصرى • واسحق بن راهويه • وداود • واهل الظاهر • وروى عن على بن ابى طالب رضى
الله عنه انه جلد شراحة الهمدانيه يوم الخميس • ورجمها يوم الجمعة • وقال جلدتها
بكتاب الله • ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال جماهير العلما الواجب
على المحصن الزانى الرجم وحده • لان النبى صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما •
واما تغريب البكر الزانى سنة • فهو مذهب الامام الشافعى وجمهور العلما • وقال
الامام ابو حنيفه وحماد وجماعة من العلما لا يقضى بالنفى حدا الا ان يراه الحاكم تعزيرا •
وقال الامام مالك والاوزاعى لا نفى على النسا • ويروى مثله عن على بن ابى طالب رضى الله عنه •
والولا ان المراة عورة • وفى نفيها تضييع لها وتعريض لها للفتنة • وحجة الامام الشافعى
والجمهور ظاهر حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه • وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم
البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة • وروى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه
وسلم ضرب وغرب • وان ابا بكر ضرب وغرب • وان عمر ضرب وغرب • وان كان الزانى
عبدا فعليه جلد خمسين • وفى تغريبه قولان • فان قلنا انه يغرب • فمنه قولان اصحهما
انه يغرب نصف سنة • قياسا على حده • وان كان الزانى مجنونا او غير بالغ فلا حد عليه
والله اعلم • قوله عز وجل واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال العلما اللذان تثنية
الذى • وكان القياس ان يقال واللذيان • قال سيبويه انما حذفت الياء للفرق بين الاسما
المتمكنه وبين الاسما المبهمات • وقال ابو على الفارسى انما حذفت الياء تخفيفا • وقرا

ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وهي لغة قريش وعلّته انه جعل التشديد عوضا
من ألف ذا على ما ياتي بيانه في سورة القصص عند قوله فذانك برهانان وفيه لغة
اخرى واللذا بحذف النون وهذا قول الكوفيين وقال البصريون انما حذفت النون
لطول الاسم بالصلة وكذلك قرا ان هذانّ وفذانك برهانان بالتشديد فيهما وقرا
الباقون بالتخفيف وشدد ابو عمرو فذانك وحدها واللذان مرفوع بالابتدا قال
سيبويه المعنى وفيما يتلى عليكم اللذان ياتيانها يعني الفاحشة وقوله منكم يعني من
رجالكم ونسايكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية الاولى
وقيل المراد بمن ذكر في الاولى النسا وهذه للرجال لان الله حكم في الآية الاولى بالحبس في
البيت على النسا وهو اللايق بحالهن لان المراة انما تقع في فعل الفاحشة عند الخروج فاذا
حبست في البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لانه يحتاج
الى الخروج في اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الاذية
بالقول والفعل وقوله فآذوهما يعني غيرهما بالقول باللسان وهو ان يقال اما خفت
الله اما استحييت من الله حيث زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية
عنه قال هو باللسان واليد يوذى بالتعيير ويضرب بالنعال وقوله فان تابا يعني
من الفاحشة واصلحا يعني العمل فيما ياتي فاعرضوا عنهما اي اتركوهما ولا توذوهما ان الله
كان توابا رحيما يعني انه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه ٥
قال العلما وهذا الحكم كان في ابتدا الاسلام كان حد الزاني الاذى بالتوبيخ والتعيير بالقول
واللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى بالآية التي في سورة النور وهو
قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة
في دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن
وسوا في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين
زنيا وكانا قد احصنا وقال الامام ابو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن

والله اعلم

قوله عز وجل انما التوبة على الله يعني التوبة التي يقبلها الله فتكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى اي من الله وقال اهل المعاني ان الله عز وجل وعد قبول التوبة من المومنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيا انجز ميعاده وصدق فيه فمعنى قوله على الله اي اوجب على نفسه من غير ايجاب احد عليه لانه تعالى يفعل ما يريد وقال بعضهم هذه الآية عامة لكل من عمل ذنبا وقيل لمن جهل فقط واما التوبة لكل من عمل ذنبا ففي موضع آخر واتفقت الامة على ان التوبة فرض على المومنين لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون وتصح التوبة من ذنب مع الاقامة على غيره من غير نوعه خلافا للمعتزلة في قولهم لا يكون تايبا من اقام على ذنب ولا فرق بين معصية ومعصية هذا مذهب اهل السنة واذا تاب العبد فالله سبحانه بالخيار ان شا قبلها وان شا لم يقبلها وليس قبول التوبة واجب على الله تعالى من طريق العقل كما قال المخالف لاهل السنة لان من شرط الواجب ان يكون اعلا رتبة من الموجب عليه والحق سبحانه خالق الخلق وما لكهم والمكلف لهم فلا يصح ان يوصف بوجوب شي عليه تعالى عن ذلك غير انه قد اخبر سبحانه وهو الصادق في وعده بانه يقبل التوبة على العاصين من عباده بقوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقوله واني لغفار لمن تاب فاخباره سبحانه وتعالى عن اشيا اوجبها على نفسه يقتضي وجوب تلك الاشيا والعقيدة انه لا يجب عليه شي سبحانه فاما السمع فظاهره قبول توبة التايب قال ابو المعالي وغيره وهذه الظواهر انما تعطي غلبة الظن لا قطعا على الله تعالى بقبول التوبة وقال ابن عطية قد خولف ابو المعالي وغيره في هذا المعنى فاذا فرضنا رجلا قد تاب توبة نصوحا تامة الشروط فقال ابو المعالي يغلب على الظن قبول توبته وقال غيره يقطع على الله بقبول توبته كما اخبر عن نفسه عز وجل قال ابن عطية وكان ابي رحمه الله يميل الى هذا القول ويرجحه وبه اقول والله تعالى ارحم بعباده من ان يخرم في هذا التايب المفوض معنى قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقوله تعالى واني لغفار لمن تاب اذا تقرر هذا فاعلم ان في قوله على الله حذفا وليس على ظاهره وانما المعنى على فضل الله ورحمته لعباده وهذا نحو قول

النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل اتدري ما حق الله على العباد. قال الله ورسوله اعلم.
قال ان يدخلهم الجنة. فهذا كله معناه على فضله ورحمته بوعده الحق وقوله الصدق.
دليله قوله تعالى كتب على نفسه الرحمة اي وعد بها. وقيل ان على ها هنا بمعنى عند. كما
قدمنا. والمعنى واحد. التقدير عند الله اي انه وعد ولا خلف في وعده انه يقبل التوبة
اذا كانت بشروطها المصححة لها. وهي اربعة الندم بالقلب. وترك المعصية في الحال. والعزم
على ان لا يعود الى مثلها. وان يكون ذلك حيا من الله لا من غيره. فاذا اختل شرط من هذه
الشروط لم تصح التوبة. وقال بعضهم من شروط التوبة الاعتراف بالذنب. وكثرة الاستغفار.
وقيل ان على بمعنى من. اي انما التوبة من الله للذين يعملون السوء. وسياتي الكلام ايضا على الوجه
في سورة التحريم ان شاء الله. وقوله للذين يعملون السوء يعني الذنوب والمعاصي سميت سوءا
لسوء عاقبتها اذ لم تنج منها. وقال بعضهم ايضا السوء في هذه الاية والتي في الانعام يعم الكفر
والمعاصي. فكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته. قال قتادة اجمع اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم على ان كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره. وكل من عصى الله فهو
جاهل. وقال ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد من عمل السوء فهو جاهل. من جهالته عمل
السوء. فكل من عصى الله سمي جاهلا. وسمي فعله جهلا. وانما سمي من عصى الله جاهلا لانه لم
يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب. واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار.
وقيل معنى الجهالة ان ياتي الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب. لكنه يجهل عقوبته.
وروي عن الضحاك ومجاهد انهما قالا الجهالة هنا العمد. وقال عكرمة امور الدنيا كلها
جهالة. يريد الخاصة بها الخارجة عن طاعة الله. وهذا القول جار مع قوله تعالى اعلموا
انما الحياة الدنيا لعب ولهو. وقال الزجاج معنى قوله تعالى بجهالة هو اختيارهم اللذة الفانية
على اللذة الباقية. وقيل معنى قوله بجهالة اي لا يعلمون كنه العقوبة. والله اعلم. وقوله
تعالى ثم يتوبون من قريب يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب. ليلا يعد في
جملة المصرين. وقال ابن عباس والسدي القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته.
وروي عن الضحاك انه قال كلما كان قبل الموت فهو قريب. وقال ابو مجلز والضحاك وعكرمة

بجهالة هـ

فاولئك يتوب الله عليهم يعني يقبل توبتهم وكان الله عليما حكيما قال ابن عباس رضي الله عنه
علم سبحانه ما في قلوب المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق
ناقة وقيل معنى الآية علم ان عبده انما اتى تلك المعصية لاسيما الشقوة والجهالة
عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها واناب عن قريب وروى انه اجتمع اربعة من اصحاب النبي

قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له • رواه ابن ماجه • وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر له قبل ان يستغفره •
رواه الحاكم • وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لو
لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم • رواه مسلم وغيره •
وعن عمران بن حصين رضي الله عنه ان امراة من جهينة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله اصبت حدا فاقمه علي • فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليها فقال احسن اليها فاذا وضعت فاتني بها • ففعل • فامر بها نبي الله صلى الله عليه
وسلم فشكت عليها ثيابها • ثم امر بها فرجمت • ثم صلى عليها • فقال له عمر تصلي عليها يا رسول
الله وقد زنت • فقال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم • وهل
وجدت افضل من ان جادت بنفسها لله تعالى • رواه مسلم • وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو لم اسمعه الا مرة او مرتين حتى عد سبع
مرات ولكني سمعته اكثر • سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الكفل من بني اسرائيل
لا يتورع من ذنب عمله • فاتته امراة فاعطاها ستين دينارا على ان يطأها • فلما قعد منها
مقعد الرجل من امراته ارعدت وبكت • فقال ما يسكيك اكرهتك • قالت لا ولكنه عمل
ما عملته قط • وما حملني عليه الا الحاجة • قال تفعلين انت هذا وما فعلته قط • اذهبي
فهي لك • وقال والله لا اعصي الله تعالى بعدها ابدا • فمات من ليلته • فاصبح مكتوبا على بابه
ان الله قد غفر للكفل • رواه الترمذي وغيره • وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان قريتان
احداهما صالحة والاخرى ظالمة • فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية الصالحة
فاتاه الموت حيث شاء الله • فاختصم فيه الملك والشيطان • فقال الشيطان والله ما عصاني
قط • وقال الملك انه قد خرج يريد التوبة • فقضى الله تعالى بينهما ان ينظر الى ايهما اقرب •
فوجدوه اقرب الى القرية الصالحة بشبر فغفر له • وقال معمر سمعت من يقول قرب الله
تعالى اليه القرية الصالحة • رواه الطبراني باسناد صحيح • وعن ابي سعد الخدري رضي الله عنه
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل

عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعه وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل
الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبه فقال لا
فقتله وكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل
له من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا
يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا نصف
الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكه الرحمة وملائكه العذاب فقالت ملائكه الرحمة
قد جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكه العذاب انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم
ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهو له
فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكه الرحمة وفي رواية فكان
الى القرية الصالحة اقرب بشبر فجعل من اهلها وفي رواية فاوحى الله تعالى الى هذه ان
تباعدي والى هذه ان تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه الى هذه اقرب بشبر فغفر له
وفي رواية قال قتاده قال الحسن ذكر لنا انه لما اتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها
رواه البخاري ومسلم وابن ماجة بنحوه وعن ابي عبد رب انه سمع معاوية بن ابي سفيان رضي الله
عنهما على المنبر يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا اسرف على نفسه
فلقي رجلا فقال ان الآخر قتل تسعة وتسعين نفسا كلهم ظلما فهل تجد لي من توبه فقال
ان حدثتك ان الله لا يتوب على من باب كذبتك ولكن ها هنا قوم تعبدون الله فاتهم تعبد الله
معهم فتوجه اليهم فمات على ذلك فاختصمت ملائكه الرحمة وملائكه العذاب فنعب الله
اليهم ملكا فقال قيسوا ما بين المكانين فايهم كان اقرب فهو منهم فوجدوه اقرب الى
دير التوابين بانملة فغفر له رواه الطبراني وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله
بارض فلاه رواه البخاري ومسلم وعن الحارث بن سويد عن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله افرح بتوبة عبده المومن من رجل نزل في ارض دوية
مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت

رواه الحاكم

وليست التوبة للذين يعملون السيئات

كانت الاشارة الى الجميع فهو فى جهنم الحصاة عذاب لاخلود معه • وهذا على ان السيات
مادون الكفر اى لست التوبة لمن عمل دون الكفر من السيات ثم تاب عند الموت • ولا
لمن مات كافرا فتاب يوم القيامة • والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم
ان ترثوا النساء كرها قال المفسرون هذا متصل بما تقدم ذكره من الزوجات • والمقصود
نفى الظلم عنهن واضرارهن • والخطاب فى الاية للاولياء • وقيل خطاب للازواج • وهذه
الآية نزلت فى اهل المدينة • وذلك انهم كانوا فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات الرجل
وخلف امراة جاء ابنه من غيرها او قريبه من ذوى عصبته فالقى ثوبه على تلك المراة او
على خبائها • فصار احق بها من نفسها ومن غيره • فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق
الاول الذى اصدقها الميت • وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها • وان شاء عضلها
ومنعها من الازواج ليضارها بذلك لتفتدى منه بما ورثت من الميت او تموت هى فيرثها •
فان ذهبت المراة الى اهلها قبل ان يلقى عليها ولى زوجها ثوبه كان احق بنفسها • وكانوا
على ذلك حتى توفى ابو قيس بن الاسلت الانصارى وترك امراته كبيشة بنت معن الانصارية •
فقام ابن له من غيرها فقال له حصن • وقيل اسمه قيس بن ابى قيس فطرح ثوبه عليها •
فورث نكاحها • ثم تركها ولم يقربها يضارها بذلك لتفتدى منه • فاتت كبيشة
رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفى وورث نكاحى ابنه • فلا
هو يقربنى ولا هو يدخل بى • ولا يخلى سبيلى • فقال صلى الله عليه وسلم اقعدى فى بيتك حتى
ياتى امر الله فيك • فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها يعنى
ميراث نكاح النساء • وقيل معناه ان ترثوا اموالهن كرها يعنى وهن كارهات ولا تعضلوهن
اى ولا تمنعوهن من الازواج • واصل العضل المنع لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن يعنى
لتضجر فتفتدى ببعض مالها • وقيل هو خطاب للازواج كما قدمنا • قال ابن عباس
رضى الله عنه هذا فى الرجل يكون له امراة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فضارها
لتفتدى منه وترد اليه ما ساق اليها من المهر • فنهى الله عز وجل عن ذلك • وقيل كان الرجل
يطلق امراته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك • فنهوا عن ذلك • وقيل هو خطاب

لاولیآ المیت فنهاهم الله تعالی عن عضل المراة • وقیل کان یکون عند الرجل عجوز ونفسه
تتوق الی الشابة فیکره فراق العجوز لما لها فیمسکها • ولا یقربها حتی تفتدی منه بمالها
او تموت فیرث مالها • فنزلت هذه الآیة • وامر الزوج ان یطلقها اذا کره صحبتها ولا یمسکها
کرها • فذلک قوله تعالی لا یحل لکم ان ترثوا النسآء کرها • والمقصود من الآیة اذهاب ما کانوا
علیه فی جاهلیتهم • وان لا یجعل النسآء کالمال یورث عن الرجال کما یورث المال • وقرا حمزه
والکسای لا یحل لکم ان ترثوا النسآء کرها بضم الکاف • وقرا الباقون بالفتح • وهما لغتان • وقال
القتبی الکره بالفتح معنی الاکراه • والکره بالضم المشقه • وقوله تعالی الا ان یاتین
بفاحشة مبینة یعنی فحینئذ یحل لکم ضرارهن لتفتدی منکم • واختلفوا فی معنی الفاحشه
المبینه • فقال الحسن هو الزنا • واذا زنت البکر فانها تجلد مائة وتنفی سنة وترد الی زوجها
ما اخذت منه • وقال بعضهم یعنی ان المراة اذا نشزت او زنت حل للزوج ان یسالها الخلع
وقیل کانت المراة اذا اصابت فاحشة اخذ منها زوجها ما ساق الیها واخرجها فنسخ الله
ذلک بالحدود • وقیل المراد بالفاحشة هنا النشوز • وعن جابر بن عبد الله رضی الله عنهما
ان رسول الله صلی الله علیه وسلم خطب الناس فقال اتقوا الله فی النسآء فانکم اخذتموهن بامانه
الله • واستحللتم فروجهن بکلمة الله • ولکم علیهن ان لا یوطین فرشکم احدا تکرهونه • فان فعلن
فاضربوهن ضربا غیر مبرح • ولهن علیکم رزقهن وکسوتهن بالمعروف • وقال بعضهم هو
الاجمال بالقول والمبیت والنفقه • وقال ابو قلابة اذا زنت امراة الرجل فلا باس ان
یضارها ویشق علیها حتی تفتدی منه • وقال السدی اذا فعلن ذلک فخذوا مهورهن • وقال
ابن سیرین وابو قلابة ایضا لا یحل له ان یاخذ منها فدیة الا ان یجد علی بظنها رجلا • قال
الله تعالی الا ان یاتین بفاحشة مبینة • وقال ابن مسعود وابن عباس والضحاک وقیادة الفاحشة
المبینه فی هذه الایة هی البغض والنشوز • قالوا فاذا نشزت حل له ان یاخذ مالها وهذا
مذهب الامام مالک • وقال قوم الفاحشة البذآ باللسان وسوء العشرة قولا وفعلا •
وهذا فی معنی النشوز • ومن العلما من یجیز اخذ المال من الناشز علی جهة الخلع الا انه یری
ان لا یتجاوز ما اعطاها • رکونا الی قول الله تعالی لتذهبوا ببعض ما اتیتموهن • وقال الامام

مالک

مالک وجماعة من اهل العلم للزوج ان ياخذ من الناشز جميع ما تملک ٥ قال ابن عطية
والزنا اصعب على الزوج من النشوز والاذى ٥ وكل ذلک فاحشة يحل اخذ المال ٥ والله اعلم ٥
وقوله تعالى وعاشروهن بالمعروف قيل هذا راجع الى الكلام الذى قبله ٥ والمعنى
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف ٥ والمعاشرة بالمعروف هو الاجمال
فى القول ٥ والمبيت ٥ والنفقة ٥ وقال بعضهم فى قوله وعاشروهن بالمعروف ٥ اى على ما امر الله به
من حسن المعاشرة ٥ وذلک مثل قوله فامساک بمعروف ٥ وهو ان يوفيها حقها من المهر والنفقة ٥
وان لا يعبس فى وجهها بغير ذنب ٥ وان يكون متلطفا بالقول لا فظا ٥ ولا غليظا ٥ ولا مظهرا
ميلا الى غيرها ٥ والعشرة المخالطة والممازجة ٥ فامر الله سبحانه بحسن صحبة النساء
اذا عقدوا عليهن ليكون ادامة ما بينهم وصحبتهم على الكمال ٥ فانه اهدأ للنفس ٥ واهنا للعيش ٥
وهذا واجب على الزوج ٥ ولا يلزمه فى القضاء ٥ وقال بعضهم هو ان يتصنع لها كما يتصنع له ٥
قال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلى اتيت محمد بن الحنفية فخرج الى فى ملحفة حمراء ولحيته
تقطر من الغالية ٥ فقلت ما هذا ٥ قال ان هذه الملحفة كانت على امراتى ٥ ودهنتنى بالطيب ٥ وانهن
تشتهين منا ما نشتهيه منهن ٥ وقال ابن عباس رضى الله عنه انى احب ان اتزين لامراتى
كما احب ان تتزين المراة لى ٥ وهذا داخل فيما ذكرناه ٥ قال ابن عطيه والى معنى الآية ينظر
قول النبى صلى الله عليه وسلم فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ٥ اى لا يكن منک
سوء عشرة مع اعوجاجها ٥ فغنها تنشا المخالفة ٥ وبها يقع التشاق ٥ وهو سبب الخلع ٥ والله اعلم ٥
واستدل الامام مالک واصحابه بقول الله تعالى وعاشروهن بالمعروف على ان المراة اذا كانت
لا يكفيها خادم واحد ان عليه ان يخدمها قدر كفايتها ٥ كابنة الملک ٥ والخليفة وشبهها ٥
ممن لا يكفيها خادم واحد ٥ وان ذلک هو المعاشرة بالمعروف ٥ وقال الامام ابو حنيفة
والامام الشافعى لا يلزمه الا خادم واحدة ٥ لان الخادم الواحد يكفيها خدمة نفسها ٥ وليس
فى العالم امراة الا وخادم واحد يكفيها ٥ وهذا كالمقاتل يكون له افراس عدة ولا يسهم له
الا لفرس واحد ٥ لانه لا يمكنه القتال الا على واحد ٥ اجاب اصحاب الامام مالک بان هذا ضعيف ٥
لان مثل بنات الملوک اللاتى لهن ابهة كبيرة لا يكفيها خادم واحد لانها تحتاج من غسل

من غسل ثيابهما واصلاح مطبخهما وغير ذلك الى ما لا يقوم به الخادم الواحد وهذا بين والله اعلم
وقوله تعالى فان كرهتموهن يعني فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن
وقيل فان كرهتموهن لذمامة او سوء خلق من غير ارتكاب فاحشة او نشوز فهذا ندب
فيه الى الاحتمال فعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال ابن عباس رضي الله
عنهما ربما رزق منها ولدا صالحا فجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتقلب تلك الكراهة محبة
والنفرة رغبة. قلنا ومن هذا المعنى ما ورد في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفرك مومن مومنة ان كره منها خلقا رضي منها آخر
او قال غيره معناه لا يبغضها بغضا كليا يحمله على فراقها اي لا ينبغي له ذلك بل يغفر
سيئها لحسنها ويتغاضى عما يكره لما يحب. وقال مكحول سمعت ابن عمر يقول ان الرجل
ليستخير الله فيخار له فيسخط على ربه فلا يلبث ان ينظر في العاقبة فاذا هو قد خير له
وذكر ابن العربي رحمه الله قال اخبرني ابو القاسم بن حبيب بالمهدية عن ابن القسم السيورك
عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال كان الشيخ ابو محمد بن زيد من العلم والدين في المنزلة والمعرفة
وكانت له زوجة سيئة العشرة وكانت تقصر في حقوقه كبرا وتوذيه بلسانها فيقول
له في امرها ويعذل في الصبر عليها فيقول انا رجل قد اكمل الله على النعمة في صحة بدني
ومعرفتي وما ملكت يميني فلعلها ابتليت عقوبة على ذنبي فاخاف ان افارقها ان ينزل بي
عقوبة هي اشد منها. قال بعض العلماء وفي هذا دليل على كراهة الطلاق مع الاباحة لما
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لا يكره شيا اباحه الا الطلاق والاكل وان
الله تعالى ليبغض المعاء اذا امتلا. وقال بعضهم ايضا في الآية ندب الى امساك المراة مع
الكراهة لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق عليها واحسن هو
صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى. وقيل في معنى الآية انكم
ان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بان
تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه والله اعلم. وقوله عز وجل
وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الى قوله غليظا. قال المفسرون لما مضى في الآية

لك وتكلفت حتى عرقت عرق القربه وهو سيلانها • وقال الاصمعى عرق القربة كلمة
معناها الشره • قال ولا ادرى ما اصلها • قال وسمعت ابن ابى طرفة وكان من افصح من
رايت تقول سمعت مشايخنا يقولون لفيت من فلان عرق القربة يعنون الشره • وقال ابو
عبيد اراد انه يسمح الكلمة تغيظه وليست بشتم فناخذ صاحبها بها وقد ألفت اليه
كعرق السقاء • ومن الدليل ايضا فى عدم المغالات • ما روى عروة عن الزهرى عن عائشه رضى الله
عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يمن المراة ان تتيسر صداقها وان تتيسر
رحمها • قال عروة وانا اقول من عندى من اول شومها ان تكثر صداقها • وعن ابى هريرة
رضى الله عنه قال كان صداقنا منذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة اواق • او
اربعماية درهم • وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى على عبد
الرحمن بن عوف اثر صفره • فقال ما هذا قال يا رسول الله تزوجت امراة على وزن نواة من ذهب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك اولم ولو بشاة • ونقال هى خمسة دراهم • وعن
سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءته امراة فقالت يا رسول
الله انى وهبت نفسى منك • فقامت قياما طويلا • فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها
ان لم يكن لك بها حاجة • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شى تصدقها اياه •
فقال ما عندى الا ازارى هذا • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعطيتها اياه جلست
لا ازار لك • فالتمس شيا • فقال له ما اجد • قال التمس ولو خاتما من حديد • فالتمس فلم يجد •
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل معك من القران شى • قال نعم سورة كذا وسورة كذا •
لسور سماها • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد زوجتكها بما معك من القران • وعن
عاصم بن عبيد الله بن عبد الله بن عامر عن ابيه رضى الله عنهما ان رجلا تزوج امراة على نعلين •
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من مالك بهاتين النعلين • قالت نعم • فاجازه
رسول الله صلى الله عليه وسلم • وعن ابى حدرد الاسلمى رضى الله عنه • قال اتى النبى صلى الله
عليه وسلم استعنته فى مهر امراة • فقال كم اصدقتها • قلت مايتى درهم • فقال لو كنتم تغرفون
من بطحان ما زدتم • وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من اعطى في صداق ملء كفه من برا وسويقا او تمر فقد استحل ٭ وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام سلمة على عشرة دراهم ٭ وعن ابرهيم
ابن عبد الله الكناني ان سعيد بن المسيب رضي الله عنه زوج ابنته على درهمين ٭ وعن يحيى بن
عبد الرحمن بن ابي لبيبه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استحل بدرهم فقد
استحل ٭ قال وكيع يعني في النكاح ٭ وعن عبد الله بن زيد مولى الاسود ان رجلا بشر بجارية
له فكرهها فقال له رجل هبها لي فوهبها له فذكر ذلك لسعيد بن المسيب ٭ فقال ان الهبة
لم تجز لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٭ ولو اصدقها سوطا لحلت ٭ وعن ابرهيم
قال السنة في الصداق الرطل من الورق ٭ وكانوا يكرهون ان تكون مهور الحرائر مثل اجور
البغايا الدرهم والدرهمين ٭ ويحبون ان يكون عشرين درهما ٭ وقد اجمع العلما على انه لا تحديد
في اكثر الصداق ٭ لقول الله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا ٭ واختلفوا في اقله ٭ وسيأتي زيادة
بيان فيه ان شا الله ٭ وقد مضى الكلام في تحديد القنطار في سورة آل عمران ٭ والله اعلم وقوله
تعالى فلا تاخذوا منه شيا يعني من القنطار الذي آتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا
فلا تاخذوا منه شيا ٭ وذلك ان سوى العشرة اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة ٭
فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المراة فلا يحل له ان ياخذ شيا من صداقها ٭ وان كان
النشوز من قبل المراة جاز له ذلك ٭ وقال بكر بن عبد الله المزني لا ياخذ الزوج من المختلعة
شيا لقول الله تعالى فلا تاخذوا ٭ وجعلها ناسخة لاية البقرة ٭ وقال ابن زيد وغيره
هي منسوخة بقول الله تعالى في سورة البقرة فلا تاخذوا مما اتيتموهن شيا الاية ٭ والصحيح ان
هذه الآيات محكمات وليس فيها ناسخ ولا منسوخ ٭ وكلها يبنى بعضها على بعض ٭ والله اعلم وقوله
تعالى اتاخذونه هذا استفهام بمعنى التوبيخ بهتانا يعني ظلما وقيل باطلا واثما مبينا
يعني اتاخذونه مباهتين آثمين ٭ فلا يفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع والعقل ٭
ثم قال تعالى وكيف تاخذونه وهذه كلمة تعجب ٭ والمعنى لاي وجه يفعلون مثل هذا الفعل ٭
وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيا بذله لزوجته عن طيب نفس ٭ وقيل هو استفهام معناه
التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ٭ ثم ذكر سبحانه السبب في ذلك ٭ فقال عز من قايل وقد

واخوتكم ولكم الى حضر

من الانكاح

وابى معيط واعمامهما ومن ذلك ايضا صفوان بن امية من خلف تزوج بعد ابيه امراته
فاختة بنت الاسود بن المطلب بن اسد وكان امية قتل عنها ومن ذلك ايضا منظور
ابن زبان خلف على مليكة بنت خارجة وكانت تحت ابيه زبان بن سيار ومن ذلك ايضا
حصن بن ابى قيس تزوج امراة ابيه كبيشة بنت معن ومن ذلك ايضا الاسود بن خلف تزوج
امراة ابيه وقال الاشعث بن سوار توفى ابو قيس وكان من صالحى الانصار فخطب ابنه
قيس امراة ابيه فقالت انى اعدك ولدا ولكنى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره
فاتته فاخبرته فانزل الله تعالى هذه الآية وقد كان فى العرب من تزوج ابنته وهو
حاجب بن زرارة ذكر ذلك النضر بن شميل فى كتاب المثالب فنهى الله عز وجل المؤمنين عما
كان عليه اباؤهم من هذه السيرة وقوله تعالى الا ما قد سلف تقدم الكلام عليه وقوله
انه كان فاحشة قال العلماء انما سماه فاحشة لان زوجة الاب فى منزلة الام ونكاح الامهات
حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصى ومقتا يعنى انه يورث
المقت من الله وهو اشد البغض وغاية الخزى والخسار وساء سبيلا اى وبئس ذلك طريقا
لانه يودى الى مقت الله تعالى ولهذا عقبه بالذم البالغ المتتابع فدل ذلك على انه فعل قد
انتهى من القبح الى الغاية قال ابو العباس المبرد سالت ابن الاعرابى عن نكاح المقت فقال
هو ان يتزوج الرجل امراة ابيه اذا طلقها او مات عنها ويقال لهذا الرجل الضيزن
وقال ابن عرفة كانت العرب اذا تزوج الرجل امراة ابيه فاولدها قيل للولد المقتى واصل
المقت البغض من قولك مقته يمقته مقتا فهو ممقوت ومقيت وكانت العرب تسمى ولد
الرجل من امراة ابيه مقيت فسمى الله سبحانه هذا النكاح مقتا اذ هو فاحش مقت يلحق فاعله
وقيل المراد بالاية النهى عن ان يطا الرجل امراة وطيها الاباء الا ما قد سلف من الاباء
فى الجاهلية من الزنا بالنسا الاعلى وجه المناكحة فانه جايز لكم زواجهن وان تطوا العقد
النكاح ما وطيه اباؤكم من الزنا وهذا قول ابن زيد وغيره فعلى هذا يكون الاستثنا متصلا
ويكون اصلا وان الزنا لا يحرم النكاح بالعقد على ما ياتى بيانه وخلاف العلماء فيه والله اعلم
وعن البرا بن عازب رضى الله عنه قال مر بى خالى ومعه لوا فقلت اين تذهب قال بعثنى

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه آتيه براسه ٥ قوله عز وجل
حُرمت عليكم امهاتكم الى اخرها قال المفسرون بين الله عز وجل في هذه الآية المحرمات من
النسا سبب الوصلة اما سبب او نسب ٥ روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حرم
من النسب سبع ٥ ومن الصهر سبع ٥ ثم قرا حُرمت عليكم امهاتكم الآية ٥ فجُمله المحرمات
من النسا بنص الكتاب اربعة عشر صنفا ٥ فامّا المحرمات بالنسب فالامهات والبنات
والاخوات ٥ والعمات ٥ والخالات ٥ وبنات الاخ وبنات الاخت ٥ فقوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم
قال العلما بيّن الله تعالى المحرمات بالنسب ٥ والامهات جمع اُمّ ٥ واصل امهات اُمّات ٥ وانما
زيدت الها للتوكيد ٥ وقال بعضهم امهات جمع امّهه ٥ وهما لغتان ٥ تقال امّ وامهه بمعنى واحد
وجا القران العظيم بهما ٥ وقد تقدم بيانه في تفسير الفاتحه ٥ والامّ هي الوالدة القريبه ٥ ويدخل
في حكمها كل امراة رجع النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او درجات ٥
وهن جميع الجدات وان علون ٥ فيحرم نكاح الام وجميع الجدات ٥ وقوله تعالى وبناتكم
قال العلما والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او بدرجات بانات
كبنت البنت وان سفلت ٥ وكذا بنت الابن ٥ وقوله واخواتكم جمع اخت ٥ وهي عبارة عن كل
امراة شاركتك في اصلك او اصليك ٥ فدخل فيه الاخوات من الاب والام ٥ والاخوات من
الاب ٥ والاخوات من الام ٥ وقوله وعماتكم جمع عمة ٥ وهي كل امراة شاركت اباك في اصله
وهن جميع اخوات الاب ٥ واخوات اباه ٥ وان علون ٥ وقد تكون العمة من جهة الام ايضا ٥
وهي اخت ابي الامّ ٥ وقوله وخالاتكم جمع خالة ٥ وهي كل امراة شاركت امك في اصليك
او في احدهما ٥ فدخل فيهن جميع اخوات الام ٥ واخوات امهاتها ٥ وقد تكون الخالة
من جهة الاب ايضا ٥ وهي اخت ام الاب ٥ وقوله وبنات الاخ وبنات الاخت وهي عبارة
عن كل امراة لاخيك او لاختك علمها ولادة وترجع نسبها الى الاخ او الاخت ٥ فدخل فيهن
جميع بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن ٥ فهذه الاصناف السبعه محرمة بسبب النسب
بنص الكتاب ٥ وجملته انه حرم على الرجل اصوله وفصوله ٥ وفصول اول اصوله ٥ واول
فصل من كل اصل بعده اصل ٥ فالاصول هن الامهات والجدات ٥ والفصول هن البنات وبنات

الاولاد • وفصولُ اول اصوله من الاخوات • وبنات الاخوة والاخوات • واول فصلٍ
من كل اصل بعده اصلٌ • هُنّ العمات والخالات وان علون • قال العلماء كل امراة حرّم
الله نكاحها بالنسب والرحم فحُرمة موبدة لا تحل بوجه من الوجوه • والله اعلم • الصنف
الثانى المحرمات بالسبب • وهن سبع ايضا • الاول والثانى المحرمات بالرضاع • وذلك فى قوله
تعالى وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة كل انثى انتسبتَ باللبن اليها فهى امتك •
وبنتها اختك • وانما نص الله تعالى على ذكر الام والاخت ليدل بذلك على جميع الاصول والفروع •
فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب • ويدل على ذلك ما روى عن عائشة رضى الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة • اخرجاه فى
الصحيحين • وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنت حمزة
انها لا تحل لى يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب • وانها ابنة اخى من الرضاعة • فكل من
حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب الرضاعة • وانما سمى الله عز وجل المرضعات امهات
لاجل الحرمة فيحرم عليه نكاحها ويحل له النظر اليها والخلوة بها والسفر معها • ولا يترتب
عليه جميع احكام الامومة من كل وجهٍ • فلا يتوارثان • ولا يجب على كل واحد منهما نفقة
الآخر وغير ذلك من الاحكام • وانما ثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع
الصبى فى حال الصغر • وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقول الله تعالى والوالدات يرضعن
اولادهن حولين كاملين • وقوله تعالى وفصاله فى عامين • وعن ام سلمة رضى الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء فى الثدى وكان قبل
الفطام • اخرجه الترمذى • وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال لا رضاعة الا ما كان فى الحولين •
اخرجه الامام مالك فى الموطا باطول من هذا • واخرجه ابو داود مختصرا • قال قال عبد الله بن
مسعود لا رضاع الا ما شد اللحم • وقال الامام ابو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقول
الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا • وحمله الآخرون على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع •
لان مدة الحمل داخله فيه • واقله ستة اشهر • الشرط الثانى ان يوجد خمس رضعات
متفرقات • وهذا مذهب الامام الشافعى • وهذا القول مروى عن عائشة رضى الله عنها وبه قال

عبد الله بن الزبير واستدل الشافعي بما روى عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تحرم المصة ولا المصتان اخرجه مسلم وروى ايضا عن ام الفضل رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان وفي رواية ان رجلا من بني عامر
ابن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا وروى ايضا عن عائشة رضي الله
عنها قالت كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات
فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرا من القران قولها فتوفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهن فيما يقرا من القران يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لا يتلى
فهو مما نسخ تلاوته وبقي حكمه وذهب جمهور العلماء الى ان قليل الرضاع وكثيره يحرم
وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب وإليه ذهب الثوري والاوزاعي
والامام مالك وابن المبارك والامام ابو حنيفة والامام احمد في احدى الروايتين عنه والرواية
الاخرى كمذهب الامام الشافعي واحتج مذهب الجمهور بمطلق الآية لانه عمل بعموم القران
وظاهره ولم يذكر عددا والله اعلم وقال زفر بن الهذيل ما دام يجتزى باللبن ولم يفطم
فهو رضاع وان اتى عليه ثلاث سنين وقال الاوزاعي اذا فطم لسنة واستمر فطامه فليس بعده
رضاع وانفرد الليث بن سعد من بين العلماء بان ارضاع الكبير يوجب التحريم وهو قول عائشة
وابي موسى وروى ما يدل على انه رجع عن هذا القول وهو ما رواه ابو حصين عن ابي عطية
قال قدم رجل بامراته من المدينة فوضعت وتوءم ثديها فجعل الرجل يمصه ويصبه
فدخل في بطنه جرعة منه فسال ابا موسى فقال بانت منك واتى ابن مسعود فاخبره ففعل
فاقبل الاعرابي الى ابي موسى وقال ارضيعا ترى هذا الاشمط انما يحرم من الرضاع ما نبت
اللحم والعظم فقال الاشعري لا تسالوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم فقوله لا تسالوني
يدل على انه رجع عن ذلك واحتجت عائشة رضي الله عنها بقصة سالم مولى ابي حذيفة وانه
كان رجلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسهلة بنت سهيل ارضعيه اخرجه الامام مالك وعنه
وقال داود لا يحرم الا بلاث رضعات واحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحرم
الاملاجة ولا الاملاجتان اخرجه مسلم وهو مروي عن عائشة وابن الزبير وبه قال الامام

فلا جناح عليكم يعنى فى نكاح بناتهن اذا طلقتموهن او مُتن عليكم • واجمع العلماء على ان الرجل اذا تزوج المراة ثم طلقها او مات قبل ان يدخل بها حل له نكاح ابنتها • واختلفوا فى معنى الدخول بالامهات الذى يقع به تحريم الربايب • فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الدخول الجماع • وهو قول طاوس • وعمرو بن دينار وغيرهما • وابقى الامام مالك وسفين الثورى والامام ابو حنيفه والاوزاعى والليث بن سعد على انه اذا مسها بشهوة حرمت امها وابنتها • وحرمت على الاب والابن • وهو احد قولى الامام الشافعى • واختلفوا فى النظر • فقال الامام مالك اذا نظر الى شعرها او صدرها او شئ من محاسنها للذه حرمت عليه امها وابنتها • وقال الكوفيون اذا نظر الى فرجها للشهوة كان بمنزله اللمس للشهوة • وقال الثورى اذا نظر الى فرجها متعمدا او لمسها ولم يذكر الشهوه • وقال ابن ابى ليلى لا تحرم بالنظر حتى يلمس • وهو قول الامام الشافعى • والدليل على ان بالنظر يقع التحريم ان فيه نوع استمتاع • فجرى مجرى النكاح • اذ الاحكام تعلق بالمعانى لا بالالفاظ • وقد يحتمل ان يقال ان نوع من الاجتماع بالاستمتاع فان النظر اجتماع ولقا وفيه بين المحبين استمتاع • وقد بالغ فى ذلك الشعرا فقالوا ؎

اليس الليل يجمع ام عمرو • وايانا فذاك بنا تدانى ؎

نعم وترى الهلال كما اراه ؎ ويعلوها النهار كما علانى ؎

فكيف بالنظر والمجالسة واللذه • والله اعلم • وقوله تعالى وحلايل ابنايكم يعنى ازواج ابنايكم • والحلايل جمع حليله • والرجل حليل • سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه • وقيل لان كل واحد يحل حيث يحل صاحبه فى ازار واحد • وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه من الحل بفتح الحا • وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنايه وابنا ابنايه وان سفلوا من النسب والرضاعة • وذلك بنفس العقد • وقال بعضهم ايضا اجمع العلماء على تحريم ما عقد عليه الاب على الابنا وما عقد عليه الابنا على الاب سوا كان معه العقد وطى او لم يكن • لقول الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباوكم • وقوله وحلايل ابنايكم • فان نكح احدهما نكاحا فاسدا حرم على الآخر العقد عليها كما يحرم بالصحيح • لان النكاح الفاسد لا يخلوا اما

ان يكون متفقا على افساده او مختلفا فيه فان كان متفقا على افساده لم يوجب حكما
وكان وجوده كعدمه وان كان مختلفا فيه فتعلق به من الحرمة ما يتخلو بالصحيح لاحتماله
ان يكون نكاحا فيدخل تحت مطلق اللفظ والفروج اذا تعارض فيها التحليل والتحريم
غلب التحريم والله اعلم وقال ابن المنذر اجمع كل من نحفظ عنه من علمآ الامصار على ان
اذا وطى امراة بنكاح فاسد انها تحرم على ابيه وابنه وعلى اجداده وولد ولده واجمع
العلمآ على ان عقد الشرآ على الجارية لا يحرمها على ابيه وابنه فاذا اشترى رجل جارية
فلمسها او قبلها حرمت على ابيه وابنه قال ابن المنذر لا اعلمهم يختلفون فيه فوجه تحريم
ذلك تسليمها لهم ولما اختلفوا في تحريمها بالنظر دون اللمس لم يجز ذلك لاجل اختلافهم
قال ولا يصح عن احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلناه وقال ابو
يوسف ومحمد بن الحسن اذا نظر رجل الى فرج امراة من شهوة حرمت على ابيه وابنه وتحرم
عليه امها وابنتها وقال الامام مالك اذا وطى الامة او قعد منها مقعدا لذلك وان لم
يفض اليها او قبلها او باشرها او غمزها لذذا فلا تحل لابنه وقال الامام الشافعي
انما تحرم باللمس ولا تحرم بالنظر دون اللمس وهو قول الاوزاعي واختلفوا في الوطى
بالزنا هل تحرم ام لا فقال اكثر اهل العلم لو اصاب رجل امراة بزنا لم تحرم عليه نكاحها
بذلك وكذلك لا تحرم عليه امراته اذا زنى بامها او بابنتها وحسبه ان تقام عليه
الحد ثم يدخل بامراته ومن زنا بامراة ثم اراد نكاح امها او ابنتها لم تحرما عليه
بذلك وقالت طائفة تحرم عليه وهذا القول مروى عن عمران بن حصين وبه قال
الشعبي وعطا والحسن وسفيان الثوري والامام احمد واسحق والكوفيون وهو مروى
عن الامام مالك وان الزنا يحرم الام والابنة وانه بمنزلة الحلال وهو قول اهل العراق
والصحيح من قول الامام مالك واهل الحجاز ان الزنا لا حكم له لان الله سبحانه قال وامهات
نسايكم ولست التي زنى بها من امهات نسايه ولا ابنتها من ربايبه وهو قول الامام
الشافعي وابي ثور لانه لما ارتفع الصداق في الزنا ووجوب العدة والميراث ولحوق
الولد ووجب الحد ارتفع ان يحكم له بحكم النكاح الجايز وروى الدارقطني من حديث

وطئ احدى امتيه لم يطأ الاخرى. فان باع الاولى او زوجها ثم رجعت اليه امسك عن
الاخرى. وله ان يطأ ما دامت اختها فى العدة من طلاق او وفاة. فاما بعد انقضاء العدة
فلا حتى يملك فرج التى يطأ غيره. وروى معنى ذلك عن على بن ابى طالب رضى الله عنه. قالوا
لان الملك الذى منع وطئ الزوجة فى الابتدا موجود. فلا فرق بين عودها اليه وبين
بقائها فى ملكه. والله اعلم. واجمع العلما على ان الرجل اذا طلق زوجته طلاقا يملك به
رجعتها انه ليس له ان ينكح اختها او اربعا سواها حتى تقضى عدة المطلقه. واختلفوا
فيما اذا طلقها طلاقا لا يملك رجعتها. فقالت طائفة ليس له ان ينكح اختها ولا اربعة سواها
حتى تقضى عدة التى طلق. وهذا القول مروى عن على. وزيد بن ثابت. وهو مذهب مجاهد.
وعطا بن ابى رباح. والنخعى وسفين الثورى. والامام ابى حنيفة والامام احمد. وقالت طائفة
له ان ينكح اختها واربعا سواها. وهو مروى عن عطا ايضا. وروى ايضا عن زيد بن ثابت.
وبه قال سعيد بن المسيب. والحسن والقاسم. وعروة ابن الزبير. وابن ابى ليلى والامام
الشافعى. وابو ثور. وابو عبيد. قال ابن المنذر ولا احسبه الا قول الامام مالك. وبه
نقول. والله اعلم. وقوله تعالى الا ما قد سلف يعنى لكن ما قد مضى فهو معفو عنه.
دليل قوله تعالى ان الله كان غفورا رحيما وقيل ان فائدة هذا الاستثنا ان انكحة الكفار
كانت صحيحة. فلو اسلم عن اختين فقيل له اختر ايتهما شئت. ويدل عليه ما روى عن الضحاك
ابن فيروز عن ابيه. قال قلت يا رسول الله انى اسلمت وتحتى اختان. قال طلق ايتهما شئت.
اخرجه ابو داود رحمه الله. قوله عز وجل والمحصنات من النسا الى قوله حكيما. قال
العلما هذا عطف على المحرمات المذكورات قبل. واصل الاحصان فى اللغة المنع. والتحصن
المنع. ومنه الحصن لانه يمتنع فيه. ومنه قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم
من باسكم. اى لتمنعكم. ومنه الحصان للفرس بكسر الحا. لانه يمنع صاحبه من الهلاك ٥
والحصان بفتح الحا هى المراة العفيفة لمنعها نفسها من الهلاك. ويطلق الاحصان على المراة
ذات الزوج والحرة والعفيفه والمراه المسلمة. وقال حسان بن ثابت فى عايشه رضى الله عنها

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ٥

والمراد من الاحصان فی قوله والمحصنات ذوات الازواج من النسآء فلا یحل لاحد نکاحهن
قبل مفارقه ازواجهن وهذه هی السابعة من النسآء اللاتی حرمن بالسبب قال ابوسعید
الخدری رضی الله عنه نزلت هذه الآیة فی نسآء کن هاجرن الی رسول الله صلی الله علیه وسلم ولهن
ازواج فتزوجن بعض المسلمین ثم یقدم ازواجهن مهاجرین فنهی الله المسلمین عن
نکاحهن وقال بعض المفسرین ایضا فی معنی قوله والمحصنات انهن ذوات الازواج یقال
امراة محصنة ای متزوجة ومحصنة ای حرة ومنه قوله والمحصنات من المومنات والمحصنات
من الذین اوتوا الکتاب ومحصنة ای عفیفة قال الله تعالی محصنات غیر مسافحات وقال
تعالی محصنین غیر مسافحین ومحصنة ومحصنة وحصان ای عفیفة ممتنعة من الفسق
والحریة تمنع الحرة مما یتعاطاه العبید قال الله تعالی والذین یرمون المحصنات ای
الحرایر وکان عرفوا الامة فی الجاهلیة الزنا الا ترک الی قول هند بنت عتبة للنبی صلی الله
علیه وسلم حین بایعته وهل تزنی الحرة ویستعمل الاحصان ایضا فی الاسلام لانه حافظ
ومانع ولم یرد فی الکتاب ولکنه ورد فی السنة ومنه قول النبی صلی الله علیه وسلم الایمان
قید الفتک ومنه قول الهذلی ۵

فلیس کعهد الدار یا ام مالک ۞ ولکن احاطت بالرقاب السلاسل ۞

وقال الشاعر ایضا ۵

قالت هلم الی الحدیث فقلت لا ۞ یابی علیک الله والاسلام ۞

ومنه ایضا قول سحیم ۵

کفی الشیب والاسلام للمرء ناهیا ۞

اذا ثبت هذا فقد اختلف العلما فی تاویل هذه الایة فقال ابن عباس وابو قلابة
وابن زید ومکحول والزهری وابو سعید الخدری المراد بالمحصنات هنا المسبیات اللاتی
سبین ولهن ازواج فی دار الحرب فیحل لمالک الذی یقعن فی سهمه وطهن بعد الاستبرا
وهو قول الامام الشافعی لان السبا یقطع الحرمة ویرتفع به النکاح بینها وبین زوجها
ورواه ابن وهب وابن عبد الحکم عن الامام مالک وبه قال اشهب ویدل علیه ما روی مسلم

ابی سعید الخدری رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم یوم حنین بعث جیشا الی
اوطاس فلقوا العدو فقاتلوهم فظهروا علیهم واصابوا لهم سبایا فکانّ ناسًا من اصحاب
رسول الله صلی الله علیه وسلم تحرجوا من غشیانهن من اجل ازواجهن من المشرکین فانزل
الله عز وجل فی ذلک والمحصنات من النسآء الا ما ملکت ایمانکم ای فهن لکم حلال اذا انقضت عدتهن
وهذا نص صریح صحیح فی ان الآیة نزلت بسبب تحرج اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم
عن وطئ المسبیات ذوات الازواج فانزل الله عز وجل فی جوازهن الا ما ملکت ایمانکم فهن
لکم حلال وبه قال الامام مالک والامام ابو حنیفة واصحابه والامام الشافعی والامام احمد
واسحق وابو ثور وهو الصحیح ان شآء الله واختلفوا فی استبرآئها بماذا یکون فقال الحسن کان
اصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم یستبرئون المسبیة بحیضة وقد روی ذلک من حدیث
ابی سعید الخدری فی سبایا اوطاس لا توطأ حامل حتی تضع ولا حایل حتی تحیض ولم یجعل
لفراش الزوج السابق اثرا حتی یقال ان المسبیة مملوکة ولکنها کانت زوجة زال نکاحها
فتعتد عدة الاما کما نقل عن الحسن بن صالح انه قال علیها العدة حیضتان اذا کان لها
زوج فی دار الحرب وکافة العلماء راوا استبرآءها واستبرآء التی لا زوج لها حیضة
واحدة والمشهور من مذهب الامام مالک انه لا فرق بین ان یسبی الزوجان مجتمعین او
متفرقین وروی ابو بکر عنه انهما ان سبیا جمیعا واستبقی الرجل اقرا علی نکاحهما
فرآی فی هذه الروایة ان استبقاءه استبقآء لما یملکه لانه قد صار له عهد وزوجة من
جملة ما یملکه فلا تحال بینه وبینه وهو قول الامام ابی حنیفة وسفیان الثوری وبه قال
ابن القاسم ورواه عن الامام مالک والصحیح قوله الاول لما ذکرنا ولکن الله تعالی قال الا ما
ملکت ایمانکم فاحال علی ملک الیمین وجعله هو الموثر فتعلق من حیث العموم والتعلیل جمیعا
الا ما خصه الدلیل وفی الآیة ایضا قول ثالث قاله عبد الله بن مسعود وسعید بن المسیب
والحسن بن ابی الحسن وابی بن کعب وجابر بن عبد الله وابن عباس فی روایة عکرمة علی ان
المراد بالایه ذوات الازواج ای فهن حرام الا ان یشتری الرجل الامة ذات الزوج فان
بیعها طلاقها والصدقة بها طلاقها وان ورث طلاقها وتطلیق الزوج طلاقها

قال ابن مسعود اذا بيعت الامة ولها زوج فالمشترى احق بضعها وكذلك المسبية كل
ذلك موجب للفرقة بينها وبين زوجها قالوا واذا كان كذلك فلابد ان يكون بيع الامة طلاقا
لها لان الفرج محرم على اثنين فى حال واحده باجماع المسلمين وقال بعضهم وهذا يرده
حديث بريرة لان عائشة رضى الله عنها اشترت بريرة واعتقتها ثم خيرها النبى صلى الله
عليه وسلم وكانت ذات زوج وفى اجماعهم على ان بريره خيرت تحت زوجها مغيث
بعد ان اشترتها عائشه واعتقتها دليل على ان بيع الامة ليس طلاقا وعلى ذلك جماعة
فقهاء الامصار من اهل الراى والحديث وانه لا طلاق لها الا الطلاق وقد احتج بعضهم
بعموم قوله تعالى الا ما ملكت ايمانكم وقياسا على المسبيات وما ذكرناه من حديث بريرة يخصه
ويرده وهو الصواب والحق ان شاء الله وفى معنى الاية قول ثالث وهو ما روى سفين الثورى
عن مجاهد عن ابرهيم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال فى قوله تعالى والمحصنات من النسآء الا ما
ملكت ايمانكم قال يعنى ذوات الازواج من المسلمين والمشركين وقال على بن ابى طالب رضى الله
عنه ذوات الازواج من المشركين وروى الامام مالك فى الموطا عن سعيد بن المسيب والمحصنات
من النسآء ذوات الازواج ويرجع ذلك الى ان الله تعالى حرم الزنا وقالت طائفة
المحصنات فى هذه الايه يراد به العفايف اى كل النسآء حرام والبسهن اسم الاحصان من
كان منهن ذات زوج او غير ذات زوج اذ الشرايع فى انفسها تقتضى ذلك والله اعلم الا ما ملكت
ايمانكم قالوا معناه نكاح او شرا وهذا قول ابى العالية وعبيده السلمانى وطاوس وسعيد
ابن جبير وعطا ورواه عبيده عن عمر رضى الله عنه فادخلوا النكاح تحت ملك اليمين ويكون
معنى الاية عندهم فى قوله تعالى الا ما ملكت ايمانكم يعنى تملكون عصمتهن بالنكاح وتملكون
الرقبه بالشرا فكانهن كلهن ملك يمين وما عدا ذلك فزنا وهذا قول حسن وقد قال
ابن عباس المحصنات العفايف من المسلمين ومن اهل الكتاب قال ابن عطية ويهذا التاويل
يرجع معنى الآية الى تحريم الزنا واسند الطبرى ان رجلا قال لسعيد بن جبير اما ترانا ابن
عباس حين سيل عن هذه الآية فلم يقل فيها فقال سعيد كان ابن عباس لا يعلمها واسند
ايضا عن مجاهد انه قال لو اعلم من يفسر لى هذه الآية لضربت اليه اكباد الابل من قوله تعالى

والمحصنات

بين المراة وعمتها وبين المراة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا فلا تحل لزوجها الاول
حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تقضي عدتها ومن
ذلك ان من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة والقادر على كمال الحرة لم يجز
له ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج خامسة
ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن بالتابيد فهذه اصناف من المحرمات سوى
من ذكر في الاية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم ورد بلفظ العموم لكن العموم
دخله التخصيص فيكون عام مخصوص وسنزيده بيانا ايضا وقرا حمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص واحل لكم ما وراء ذلكم ردا على قوله حرمت عليكم وقرا الباقون
بالفتح ردا على قوله كتاب الله عليكم وهذا يقتضي ان لا يحرم من النساء الا من ذكر وليس كذلك
فان الله تعالى قد حرم على لسان نبيه من لم يذكر في الاية فيضم اليها قال الله تعالى وما
اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وروى مسلم وغيره عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها
قال ابن شهاب فنرى خالة ابيها وعمة ابيها بتلك المنزلة وقد قيل ان تحريم الجمع بين
المراة وعمتها وخالتها متلقى من الاية نفسها لان الله تعالى حرم الجمع بين الاختين والجمع
بين المراة وعمتها في معنى الجمع بين الاختين اولان الخالة في معنى الوالدة والعمة في معنى
الوالد والصحيح هو الاول لان الكتاب والسنة كالشيء الواحد فكانه تعالى قال واحللت
لكم ما وراء من ذكرنا في الكتاب وما وراء ما اكملت به البيان على لسان نبيي محمد صلى الله عليه
وسلم وروى ابو داود وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا العمة على بنت اخيها ولا المراة على خالتها ولا الخالة على
بنت اختها لا تنكح الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى وروى ابو داود ايضا عن
ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره ان يجمع بين العمة والخالة وبين
العمتين والخالتين والرواية تجمع برفع العين على الخبر عن المشروعية فيتضمن النهي عن
ذلك وهذا الحديث مجمع على العمل به في تحريم الجمع بين من ذكر فيه بالنكاح واجاز

الخوارج الجمع بين الاختين وبين المراة وعمتها وخالتها ولا يعتد بخلافهم للشريعة
فانهم مرقوا عن الدين وخرجوا منه ولانهم مخالفون للسنة الثابتة وقوله لا يجمع
بين العمتين والخالتين فد اشكل على بعض اهل العلم وتحير في معناه حتى حمله على ما
يبعد ولا يجوز فقال معنى ما ان العمتين على المجاز اى بين العمة وبنت اخيها فقيل
لهما عمتان كما قيل للعمرين ابو بكر وعمر وبين الخالتين مثله وهذا من التعسف الذى لا
يكاد يسمح بمثله وفيه ايضا انه يكون كلاما مكررا لغير فايدة لانه اذا كان المعنى وايضا
فلو كان كما قال لوجب ان يكون وبين الخالة وليس كذلك الحديث لان الحديث نهى ان يجمع
بين العمة والخالة فالواجب على لفظ الحديث ان يجمع بين امراتين احداهما عمة الاخرى
والاخرى خالة الاخرى قال وهذا يخرج على معنى صحيح يكون رجل وابنة تزوجا امراة
وابنتها تزوج الرجل البنت وتزوج الابن الام فولد لكل واحد منهما ابنة من هاتين الزوجتين
فابنة الاب عمة ابنة الابن وابن الابن خالها ابنة الاب واما الجمع بين خالتين فهذا
يوجب ان يكونا امراتين كل واحدة منهما خالة الاخرى وذلك ان يكون رجل تزوج ابنة
رجل وتزوج الاخر ابنه فولدت لكل واحد منهما ابنة فابنة كل واحدة منهما خالة
الاخرى واما الجمع بين العمتين فيوجب ان لا يجمع بين امراتين كل واحدة منهما عمة الاخرى
وذلك ان يكون رجل تزوج ابنة رجل تزوج رجلا من رجل وتزوج الاخر من الآخر
فولد لكل واحد منهما ابنة فابنة كل واحد منهما عمة الاخرى فهذا ما حرم الله على
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم مما ليس في القران واذا تقرر هذا فقد عقد العلما
ممن يحرم الجمع بينهم عقدا حسنا فروى معمر بن سليمان عن فضيل بن ميسرة عن ابى حرير
عن الشعبي قال كل امراتين اذا جعلت موضع احداهما ذكرا لم يجز له ان يتزوج الاخرى
فالجمع بينهما باطل فقلت له عمن هذا قال عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سفين الثورى بتفسيره عندنا ان يكون من النسب ولا يكون بمنزلة امراة وابنة زوجها
يجمع بينهما ان شاء قال ابن عبد البر وعلى هذا مذهب الامام ابى حنيفة والامام مالك
والامام الشافعي والاوزاعي وسائر فقهاء الامصار من اهل الحديث وغيرهم فيما علمت لا

تختلفون فى هذا الاصل • وقد كره قوم من السلف ان يجمع الرجل بين ابنة رجل وامراته
من اجل ان احدهما لو كان ذكرا لم يحل له نكاح الاخرى • والذى عليه العلماء انه لا باس
بذلك • وان المرعى هو النسب دون غيره من المصاهرة • ثم ورد فى بعض الاخبار التنبيه على
العلة فى منع الجمع بين من ذكر • وذلك لاجل ما يفضى اليه الجمع من قطع الارحام القريبة
بما يقع بين الضرائر من الشنآن والشرور بسبب الغيرة • فروى ابن عباس رضى الله عنه
قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوج الرجل المراة على العمة او على الخالة • وقال انكم
اذا فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم • ذكره الاصيلى فى فوايده • وابن عبد البر وغيرهما • ومن
مراسيل ابى داود عن حسين بن طلحة رضى الله عنه • قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تنكح
المراة على اخواتها مخافة القطيعة • وقد طرد بعض السلف هذه العلة • فمنع الجمع بين
المراة وقريبتها • وسواء كانت بنت عم او بنت عمة او بنت خال او بنت خاله • روى ذلك عن
اسحق بن طلحة • وعكرمة • وقتادة • وعطا فى رواية ابن ابى يحيى • وروى عنه ابن جريج انه لا
باس بذلك وهو الصحيح • وقد نكح حسن بن حسين بن على فى ليلة واحدة ابنة محمد بن على وابنة
عمر بن على • فجمع بين ابنتى عم • ذكره عبد الرزاق • وزاد ابن عيينه فاصبح نساؤهم لا
يدرون الى ايهما يهدون • وقد كره الامام مالك هذا • وليس بحرام عنده • وفى سماع
ابن القاسم سئل الامام مالك عن ابنتى العم اجمعان بنهما • فقال ما اعلمه حراما • قيل له
افتكرهه • قال ان ناسا ليتقونه • قال ابن القاسم وهو حلال لا باس به • وقال ابن
المنذر لا اعلم احدا ابطل هذا النكاح • وهما داخلتان فى جملة ما ابيح بالنكاح غير
خارجتين منه بكتاب ولا سنة ولا اجماع • وكذلك معنى الجمع بين ابنتى عمة وابنتى
خالة • وقال السدى وغيره فى قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم اعنى النكاح فما دون الفرج
وقيل معناه واحل لكم ما وراء ذوات المحارم من اقاربكم • وقال قتادة يعنى بذلك ملك
اليمين خاصة • والله اعلم • وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم قال العلماء فيه اضمار تقديره
واحل لكم ان تبتغوا • اى تطلبوا باموالكم • يعنى بنكحوا بصداق او تشتروا بثمن • فاباح سبحانه
الفروج بالاموال ولم يفصل • فوجب اذا حصل بغير المال ان لا تقع الاباحة به • لانها على

غير

الجهنى • وفى الصحيحين عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن متعه النسآ يوم خيبر • وعن اكل لحوم الحمر الانسيه • وهذا على مذهب من يقول ان
السنة تنسخ القران • ومذهب الامام الشافعى ان السنة لا تنسخ القران • فعلى هذا قيل
ان ناسخ هذه الاية قوله تعالى فى سوره المومنون والذين هم لفروجهم حافظون الا
على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين • والمنكوحة فى المتعة ليست بزوجة
ولا ملك يمين • واختلف الروايات عن ابن عباس رضى الله عنه فى المتعة • فروى عنه
ان الاية محكمة • وكان يرخص فى المتعة • قال عماره سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح
هى ام نكاح • فقال لا سفاح ولا نكاح • قلت فما هى • قال متعة كما قال الله تعالى • قلت هل
لها عدة • قال نعم حيضة • قلت هل يتوارثان • قال لا • وروى ان الناس لما ذكروا الاشعار
فى فتيا ابن عباس بالمتعة فقال قاتلهم الله • انا ما افتيت باباحتها على الاطلاق • لكنى قلت
انها تحل للمضطر كما تحل الميتة له • وروى انه رجع عنه • وقال بتحريمها • وروى عطا
الخراسانى عن ابن عباس فى قوله تعالى فما استمتعتم به منهن • انها صارت منسوخة
بقوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النسآ فطلقوهن لعدتهن • وروى سالم بن عبد الله بن عمر
ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه • ثم قال ما بال اقوام ينكحون
هذه المتعة • وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها • لا اجد رجلا نكحها الا رجمته
بالحجارة • وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث • قال الامام الشافعى
لا اعلم فى الاسلام شيا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعه • وقال ابو عبيد
المسلمون اليوم مجمعون على ان متعة النسآ قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة •
هذا قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق من اصحاب الاثر والراى •
وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره • وقال ابن الجوزى فى تفسيره وقد تكلف قوم
من مفسرى القران فقالوا المراد بهذه الاية نكاح المتعة ثم نسخت بما روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه نهى عن متعة النسآ • وهذا تكلف لا يحتاج اليه • لان النبى صلى الله عليه وسلم
اجاز المتعة • ثم هو منع منها وحرمها • فكان قوله منسوخا بقوله • واما الاية فانها

فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين
فدل ذلك على النكاح الصحيح وقال الزجاج معنى قوله فما استمتعتم به منهن فما
نكحتموه على الشريطة التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اى عاقدين التزوج
وقال ابن جرير الطبري اولى التاويلين في ذلك بالصواب ما ويل من تاوله فما نكحتموه منهن
فجامعتموهن فآتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النسآ على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين ايضا اختلف العلما كم مرة ابيحت المتعة ونسخت
في صحيح مسلم عن عبد الله رضي الله عنه قال كنا نغزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا
نسآ فقلنا الا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان ننكح المراة بالثوب الى اجل قال
ابو حاتم البستي في صحيحه قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم الا نستخصي دليل على ان المتعة
كانت محظوره قبل ان ابيح لهم الاستمتاع ولو لم تكن محظوره لم يكن لسوالهم عن هذا معنى
ثم رخص لهم في الغزو ان ينكح المراة بالثوب الى اجل ثم نهى عنها عام خيبر ثم اذن فيها
عام الفتح ثم حرمها بعد ثلاث فهي محرمة الى يوم القيامة وقال ابن العربي واما المتعة
فانها من غرايب الشريعة لانها ابيحت في صدر الاسلام ثم حرمت يوم خيبر ثم ابيحت في
غزوة اوطاس ثم حرمت بعد ذلك واستقر الامر على التحريم وليس لها اخت في الشريعة
الا القبلة فان النسخ طرا عليها مرتين ثم استقرت بعد ذلك وقال غيره ممن جمع طرق
الحديث فيها انها تقتضي التحليل والتحريم سبع مرات فروى ابن عمر انها كانت في صدر
الاسلام وروى سلمة بن الاكوع انها كانت عام اوطاس ومن رواية علي تحريمها يوم خيبر
ومن رواية الربيع بن سبره اباحتها يوم الفتح وهذه الطرق كلها في صحيح مسلم وفي غيره
عن علي رضي الله عنه نهيه عنها في غزوة تبوك رواه اسحق بن راشد عن الزهري عن عبد الله
ابن محمد بن علي عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال ابن عبد البر ولم يتابع اسحق بن راشد على هذه
الرواية عن ابن شهاب وفي مصنف ابي داود من حديث الربيع بن سبره النهي عنها في حجة
الوداع وذهب ابو داود الى ان هذا اصح ما روى في ذلك وروى عمرو عن الحسن ما حلت
المتعة قط الا ليلا في عمرة القضا ما حلت قبلها ولا بعدها وروى هذا ايضا عن

سبره ايضا فهذه سبعة مواطن اُحِلّت فيها المتعة وحُرمت • قال ابو جعفر الطحاوى وكل هولا الذين رووا عن النبى صلى الله عليه وسلم اطلاقها اخبروا انها كانت فى سفر وان النهى لحقها فى ذلك السفر بعد ذلك فمنع منها • وليس احد منهم يخبر انها كانت فى حضر • وكذلك روى عن ابن مسعود رضى الله عنه • فاما حديث سبره الذى فيه اباحة النبى صلى الله عليه وسلم لها فى حجة الوداع فخارج عن معانيها كلها • وقد اعتبرنا هذا الحرف فلم نجده الا فى رواية عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز خاصة • وقد رواه اسمعيل بن عياش عن عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز • فذكر ان ذلك كان فى فتح مكه • وانهم شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العزبة فرخص لهم فيها • ومحال ان يشكوا اليه العزبة فى حجة الوداع • لانهم كانوا حجوا بالنسا • وكان يزوج النسا بمكه بمكنهم • ولم يكونوا حينيذ كما كانوا فى الغزوات المتقدمة • ويحتمل انه لما كانت عادة النبى صلى الله عليه وسلم تكرير مثل هذا فى مغازيه وفى المواضع الجامعة ذكر تحريمها فى حجة الوداع لاجتماع الناس حتى يسمعه من لم يكن سمعه • فاكد ذلك حتى لا يبقى شبهة لاحد يدعى تحليلها • ولان اهل مكه كانوا كانوا يستعملونها كثيرا • والله اعلم • وقال ابن عبد البر لم يختلف العلما من السلف والخلف ان المتعة نكاح الى اجل لا ميراث فيه والفرقه تقع عند انقضا الاجل من غير طلاق • وقال ابن عطية كانت المتعة ان يتزوج المراة بشاهدين واذن الولى الى اجل مسمى • وعلى ان لا ميراث بينهما • ويعطيها ما اتفقا عليه فاذا انقضت المدة فليس له عليها سبيل • وتستبرئ رحمها • لان الولد لاحق فيه بلا شك • فان لم تحمل حلت لغيره • وقال بعضهم ان الولد لا يلحق فى نكاح المتعة • وانما المتعة ان تقول لها انزوجك يوما او ما اشبه ذلك على انه لا عدة عليك ولا ميراث بيننا ولا طلاق ولا شاهد نشهد على ذلك • قلنا هذا هو الزنا بعينه • ولم يبح قط فى الاسلام • ولذلك قال عمر رضى الله عنه لا اوتى برجل تزوج متعة الا غيبته تحت الحجاره • والله اعلم • واختلف اصحاب الامام مالك فيما اذا دخل فى نكاح المتعه هل يحد ولا يلحق به الولد او يدفع الحد للشبهة ويلحق الولد على قولين • ولكن يعزر ويعاقب • وحكى المهدوى عن ابن عباس ان نكاح المتعه كان بلا ولى ولا شهود • وفيه ضعف • وقال ابن العربى كان ابن عباس رضى الله عنه

نقول بجواز المتعة ثم ثبت رجوعه عنها فانعقد الاجماع على تحريمها • فاذا فعلها احد
رجم في مشهور مذهب الامام مالك • وفي رواية اخرى عن الامام مالك لا يرجم • لان نكاح
المتعة ليس بحرام • ولكن لاصل آخر لاصحاب الامام مالك • وهو اصل غريب انفرد وابه دون
سائر العلما • وهو ان ما حرم بالسنة هل هو مثل ما حرم بالقران ام لا • فمن رواية بعض
المدنيين عن الامام مالك انهما ليسا سواء • وهذا ضعيف • وقال ابو بكر الطرسوسي ولم يرخص
في نكاح المتعة الا عمران بن حصين • وابن عباس • وبعض الصحابة • وطائفة من اهل البيت • وفي
قول ابن عباس يقول الشاعر

افتى
اقول للركب اذا طال الثوا بنا • ياصاح هل لك في فتوى ابن عباس •
في نصه رخصة الاطراف ناعمة • تكون مثواك حتى مرجع الناس •

واتفق سائر العلما من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين على ان الآية منسوخة • وان
المتعه حرام • وقال ابن عبد البر ان اصحاب ابن عباس من اهل مكه واليمن كلهم يروون المتعه
حلالا على مذهب ابن عباس • وحرمها سائر الناس • وقال معمر قال الزهري ازداد
الناس لها مقتا حتى قال الشاعر •

قال المحدث لما طال مجلسه • ياصاح هل لك في فتوى ابن عباس • الى اخره • والله اعلم •
وقوله تعالى فآتوهن اجورهن يعم المال وغيره • فيجوز ان يكون الصداق منافع اعيان •
وقد اختلف فيه العلما فمنعه الامام مالك • والمزني • والليث بن سعد • والامام احمد • والامام
ابو حنيفه واصحابه • الا ان الامام ابا حنيفه قال اذا تزوج على ذلك فالنكاح جايز • وهو في حكم
من لم يسم لها مهرا • فيكون لها مهر المثل ان دخل بها • وان لم يدخل بها فلها المتعة • وقال
الامام الشافعي النكاح ثابت • وعليه ان يعلمها ما شرط لها • فان طلقها قبل الدخول
ففيها له قولان • احدهما ان لها نصف اجر التعليم بلا سوره • الثاني لها نصف مهرها •
وقال اسحق النكاح جايز • وقال ابو الحسن اللخمي ان القول بجواز جميع ذلك احسن • واما
الاجارة والحج فبغيرهما من الاموال التي تملك وتباع وتشترى • قال وانما كره ذلك الامام
مالك لانه يستحب ان يكون الصداق معجلا • والاجارة والحج في معنى الموجل • وقال الطحاوي

ثم خففه بعد ذلك • القول الثانى انه الحرة • وقد اختلف قول الامام مالك فى الحرة
هل هى طول ام لا • فقال فى المدونة لست الحرة بطول تمنع من نكاح الامة اذا لم يجد سعة
لاخرى وخاف العنت • وقال فى كتاب محمد ما تقتضى ان الحرة بمثابة الطول • قال اللخمى
وهو ظاهر القرآن • وروى نحو هذا عن ابن حبيب • وبه قال الامام ابو حنيفه • وهذا يقتضى ان
من كان عنده حرة لا يجوز له نكاح الامة وان عدم السعة وخاف العنت • لانه طالب الشهوة
وعنده امراة • وبه ايضا قال الطبرى واحتج له • وقال ابو يوسف الطول هو وجود الحرة
تحته • فاذا كان تحته حرة فهو ذو طول • فلا يجوز له نكاح الامة • القول الثالث ان
الطول هو الجلد والصبر لمن احب امة وهويها حتى صار لذلك لا يستطيع ان يتزوج غيرها •
فله ان يتزوج الامة اذا لم يملك هواها وخاف ان يزنى بها • وان كان يجد سعة فى المال
لنكاح حرة • وهذا قول قتادة والنخعى وعطاء وسفين الثورى • ويكون قوله تعالى لمن خشى
العنت على هذا التاويل فى صفة عدم الجلد • وعلى التاويل الاول يكون تزوج الامة
معلقا بشرطين احدهما عدم السعة فى المال • والثانى خوف العنت • فلا يصح الا باجتماعهما •
وهذا نص مذهب الامام مالك فى المدونة من رواية ابن نافع وابن القاسم وابن وهب وابن
زياد • وقال مطرف وابن الماجشون لا يحل للرجل ان ينكح امة • ولا يقر ان على النكاح الا
ان يجتمع الشرطان • كما قال الله تعالى • قال اصبغ وهذا القول مروى عن جابر بن عبد الله وابن
عباس وعطاء وطاوس والزهرى ومكحول • وبه قال الامام الشافعى وابو ثور والامام احمد
واسحق • واختاره ابن المنذر وغيره • فان وجد المهر وعدم النفقة • فقال الامام
مالك فى كتاب محمد لا يجوز له ان يتزوج الامة • وقال اصبغ يجوز • لان نفقة الامة على اهلها
اذا لم يضمها اليه • وفى الآية قول رابع • قال مجاهد ان ممن وسع الله على هذه الامة
نكاح الامة والنصرانية وان كان موسرا • وبه قال الامام ابو حنيفه ايضا • ولم يشرط خوف
العنت اذا لم يكن تحته حرة • قالوا الان كل مال يمكن ان يتزوج به الامة يمكن ان يتزوج به
الحرة • والآية على هذا اصل فى جواز نكاح الامة مطلقا • قال مجاهد وبه اخذ سفين
وذلك انى سالته عن نكاح الامة فحدثنى عن ابن ابى ليلى عن المنهال عن عباد بن عبد الله عن

علی بن ابی طالب رضی الله عنه قال اذا نکحت الحرة علی الامة کان للحرة یومان وللامة یوم
وحجة هذا القول عموم قول الله تعالی واحل لکم ما وراء ذلکم وقوله فانکحوا ما طاب لکم
من النساء وقوله فمن لم یستطع منکم طولا الی قوله ذلک لمن خشی العنت منکم لقوله فانکحوا
ما طاب لکم من النساء مثنی وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة وقد اتفق الجمیع
علی ان للحر ان یتزوج اربعا وان خاف ان لا یعدل قالوا فکذلک یجوز له ان یتزوج الامة وان
کان واجدا للطول غیر خائف للعنت وقد روی عن الامام مالک فی الذی یجد طول الحرة
انه یتزوج الامة مع قدرته علی طول الحرة وذلک ضعیف من قوله وقد قال مرة اخری
ما هو بالحرام البین واجوزه والصحیح انه لا یجوز للحر المسلم ان ینکح امة غیر مسلمة بحال
ولا له ان یتزوج الامة المسلمة الا بالشرطین المنصوص علیهما کما بینا والعنت الزنا فان
عدم الطول ولم یخش العنت لم یجز له نکاح الامة وکذلک ان وجد الطول وخاف العنت فان
قدر علی طول حرة کتابیة فهل یتزوج الامة اختلفوا فی ذلک فقال بعضهم یتزوج الامة
فان الامة المسلمة لا تلحق بالکافرة فامة مومنة خیر من حرة مشرکة وقال بعضهم
یتزوج الکتابیة لان الامة وان کانت تفضلها بالایمان فالکافرة تفضلها بالحریة وهی
زوجة وایضا فان ولدها یکون حرا لا استرقاق وولد الامة یکون رقیقا والله اعلم واختلف
العلماء فی الرجل یتزوج الحرة علی الامة ولم تعلم بالامة فقالت طائفة النکاح ثابت وهو
قول سعید بن المسیب وعطاء بن ابی رباح والامام ابی حنیفة والامام الشافعی وابی ثور وهذا
القول مروی عن علی بن ابی طالب رضی الله عنه وقیل ان للحرة الخیار اذا علمت ثم فی ای شی
یکون لها الخیار فقال الزهری وسعید بن المسیب والامام مالک والامام احمد واسحق لها
الخیار فی ان تقیم معه او تفارقه وقال بعضهم لها الخیار فی ان تقر نکاح الامة او تفسخه
وقال النخعی اذا تزوج الحرة علی الامة فارق الامة الا ان یکون له منها ولد فان کان له
منها ولد لم یفرق بینهما وقال مسروق یفسخ نکاح الامة لانه امر ابیح للضرورة کالمیتة
فاذا ارتفعت الضرورة ارتفعت الاباحة فان کان تحته امتان علمت الحرة بواحدة
ولم یعلمها بالاخری فانه یکون لها الخیار الا تری لو ان حرة تزوج علیها امة فرضیت ثم تزوج

على اخرى فانكرت كان ذلك لها فكذلك هذه اذا لم تعلم الا بعد ان علمت واحدة قال
ابن القاسم قال الامام مالك واذا جعلنا الخيار للحرة في هذه المسئلة فاعالت الامة
او قال ولولا ما قالوه لرايته حلالا لانه في كتاب الله حلال فان لم تكن الحرة واحتاج
اخرى ولم يقدر على صداقها جاز له ان يتزوج الامة حتى ينتهي الى الرجوع بالتزويج بنص
القران رواه ابن وهب عن الامام مالك وروى ابن وهب عنه انه لم يجز نكاحه وقال بعضهم
والاول اصح في الدليل وكذلك هو نص القران لان من رجل السبب المحقق [illegible] الترتب
عليه الا يكون لها خيار ولانها قد علمت ان له نكاح الاربع وعلمت انه لا يقدر على
نكاح حرة تزوج امة وما شرط الله سبحانه عليها كما شرطت على نفسها ولا يعتبر في شروط
الله تعالى عليها وهذا غاية التحقيق في الباب والانصاف فيه والله اعلم وذلك قوله تعالى
ومن لم يستطع منكم طولا يعني فضلا وسعة ان ينكح المحصنات يعني الحرائر فمما ملكت
ايمانكم يعني جاريته فتنكح المؤمن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية نفسه لانه رضي
الحقوق واختلافها من فتياتكم المؤمنات المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج
الامة المؤمنة والفتيات الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة وللعبد فتى
ففي الاية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما ان لا يجد مهر حرة
لانه جرت العادة في الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب ذلك اشتغالهن بخدمة
ساداتهن الشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم
وقال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق
ومكحول وعمرو بن دينار واليه ذهب الامام مالك والامام الشافعي والامام احمد وروي
عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد والزهري انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان
موسرا وهذا مذهب الامام ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر
من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا كانت الامة
رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم من
حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته

باجازة السيد. لان نقصان الانوثة فى الامة يمنع من انعقاد النكاح البته. وذهبت
طائفه الى ان العبد اذا نكح بغير اذن سيده فسخ نكاحه. وهو قول الامام الشافعى والاوزاعى
وداود بن على. وقالوا انه لا يجوز سواء اجازه المولى او لم يجزه. لان العقد الفاسد لا تصح
اجازته. فاذا اراد النكاح استقبله على سنته. ٥ واجمع علماء المسلمين على انه لا يجوز
نكاح العبد بغير اذن سيده. وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه يعد العبد بذلك زانيا وكذلك
وهو قول ابى ثور. وروى عبد الرزاق عن معمر عن ايوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما
انه اخذ عبدا له نكح بغير اذنه فضربه الحد وفرق بينهما وابطل صداقها. قال واخبرنا
ابن جريج عن موسى بن عقبة انه اخبره عن نافع عن ابن عمر انه كان يرى نكاح العبد بغير
اذن سيده زنا. ويرى عليه الحد. ويطلق الذين نكحوهما. قال واخبرنا ابن جريج عن عبد
الله بن محمد بن عقيل قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايما عبد نكح بغير اذن سيده فهو عاهر. وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نكاح
حرام. فان نكح باذن سيده فالنكاح بيد من يستحل الفرج. قال ابن عبد البر على هذا
مذهب جماعة فقهاء الامصار بالحجاز والعراق. ولم يختلف عن ابن عباس ان الطلاق بيد
السيد. وتابعه على ذلك جابر بن زيد وفرقة. وهو عند العلماء شذوذ لا يعرج عليه.
قال واظن ان ابن عباس تاول فى ذلك قول الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر
على شىء. واجمع اهل العلم على ان نكاح العبد جايز باذن مولاه. فان نكح نكاحا فاسدا.
فقال الامام الشافعى ان لم يكن دخل بها فلا شىء لها وان كان دخل فعليه المهر اذا عتق.
هذا هو الصحيح من مذهبه. وهو قول ابى يوسف. ومحمد بن الحسن انه لا مهر عليه حتى يعتق.
وقال الامام ابو حنيفه ان دخل عليها فلها المهر. وقال الامام مالك والامام الشافعى
اذا كان عبد بين اثنين فاذن له احدهما فى النكاح فنكح فالنكاح باطل. واما الامة
اذا استاذنت اهلها فى النكاح فاذنوا لها جاز. وان لم تباشر هى العقد لكن تولى من يعقده
عليها. والله اعلم. وقوله تعالى **وآتوهن اجورهن** يعنى مهورهن **بالمعروف** يعنى من غير
مطل ولا ضرار. وقيل معناه وآتوهن مهورا مثالهن. وقيل معناه وآتوهن اجورهن بالشرع

والسنة ومذهب الامام الشافعي وجماعة على ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف اليهن
المهر الى الاماء لانه ممن يضعهن وقال الامام مالك المهر للامة قال وفي الاية دليل على ان
احق بمهورهن من السادة والله اعلم وقوله محصنات يعني عفائف غير مسافحات اي
غير زانيات وقرا الكسائي محصِنات بكسر الصاد في جميع القران الا في قوله والمحصنات
من النساء وقرا الباقون بالنصب في جميع القران وقوله غير مسافحات اي غير زوان اي
معلنات بالزنا لان اهل الجاهلية كان فيهم الزواني في العلانية ولهن رايات منصوبات
كرايات البيطار وقوله ولا متخذات اخدانٍ جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك
في كل امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل الخدن فيمن يصاحب بشهوة يقال خِدن المراة
وخدنها يعني حبها الذي سرني بها في السر وقال بعضهم ايضا ولا متخذات اخدان اي
اصدقاء على الفاحشة وقال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تتبعه وذات اخدان
هي التي تختص بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية تعيب الاعلان بالزنا
ولا تعيب اتخاذ الاخدان ثم رفع الاسلام جميع ذلك وافرد الله سبحانه كل واحد من هذين
القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا واتزل سبحانه ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما
بطن وقوله تعالى فاذا احصن قرا حمزه والكسائي وعاصم فاذا أُحْصِنَّ بفتح الالف
والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن وقرا الباقون اُحصِنَّ بضم الالف
وكسر الصاد ومعناه زوجن فان اتين بفاحشة يعني بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب يعني فعلى الاماء اللاتي زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد
فيجلد العبد اذا زنا خمسين جلده ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد
خمسين ولا رجم عليه وهذا قول جماعة من العلماء وهو مروي عن ابن عباس وبه قال طاوس
انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنا لان الله تعالى قال فاذا احصن والذي لم
يتزوج ليس بمحصن واجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين هو الاسلام وان كان
المراد منه التزوج فليس المراد منه ان التزوج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه
التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحده

فحكم الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث وهو ما روى
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة
احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد
ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه
فى الصحيحين قوله ولا يثرب عليها اى لا يعيرها والتثريب كالتانيب والتعيير والاستقصاء
فى اللوم قال الشيخ محيى الدين النواوى وهذا البيع المامور به فى الحديث مستحب وليس بواجب
عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشئ الثمين
بالثمن الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشترى لانه عيب والاخبار
بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها استعف
عند المشترى بان يعفها بنفسه او يصونها لهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير
ذلك والله اعلم وقال بعض المفسرين فى قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
اختلف العلما فى ذلك فقال بعضهم معنى قوله فاذا احصن بالضم اى زوجن وبالفتح اى اسلمن
واسلامها هو احصانها فى قول الجمهور وابن مسعود والشعبى والزهرى وغيرهم فعلى
هذا لا تحد الكافرة اذا زنت وهو قول الامام الشافعى وقال آخرون احصانها التزوج
بحر فاذا زنت الامة المسلمة التى لم تتزوج فلا حد عليها وهو قول سعيد بن جبير
والحسن وقتادة وهو مروى عن ابن عباس وابى الدرداء وفى حديث عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انه سئل عن حد الامة فقال ان الامة القت فروة راسها من ورا الدار
قال الاصمعى الفروة جلدة الراس قال ابو عبيد ولم يرد عمر الفروة بعينها وكيف تلقى
جلده راسها من ورا الدار وانما هذا مثل اراد به القناع تقول ليس على الامة قناع ولا
حجاب وانما تخرج الى كل موضع يرسلها اهلها اليه لا تقدر على الامتناع من الفجور مثل
رعاية الغنم واداء الضريبة ونحو ذلك فكان عمر رضى الله عنه راى ان لا حد على الامة
اذا فجرت لهذا المعنى وقالت فرقة احصانها التزوج الا ان الحد واجب على الامة غير
المزوجة بالسنة قال الزهرى فالامة المتزوجة محدودة بالقران والمسلمة غير المتزوجة

محدودة بالحديث • وقال ابن عبد البر ظاهر قول الله عز وجل يقتضي ان لا حد على امة
وان كانت مسلمة الا بعد التزوج • ثم جاءت السنة بجلدها وان لم تحصن • فكان ذلك زيادة
بيان • وقال بعضهم ظهر المومن حمى لا يستباح الا بيقين • ولا يقين مع الاختلاف لولا
ما جاء في صحيح السنة من الجلد في ذلك • والله اعلم واختلف العلماء فيمن يقيم الحد على العبد
والامة • فقال ابن شهاب مضت السنة ان يحد العبد والامة اهلوهم في الزنا الا ان يرفع
امرهم الى السلطان • فانه ليس لاحد ان يقيمات عليه • وهو مقتضى قول النبي صلى الله عليه وسلم
اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في خطبته ايها
الناس اقيموا على ارقائكم الحد من احصن منهم ومن لم يحصن • ان امة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم زنت فامرني ان اجلدها • فاذا هي حديثة عهد بنفاس • فخشيت ان انا جلدتها
ان اقتلها • فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احسنت • رواه مسلم موقوفا على
علي رضي الله عنه • ورواه النسائي • وقال فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا الحدود
على من ملكت ايمانكم من احصن منهم ومن لم يحصن • وهذا نص في اقامة السادة الحدود على
المماليك من احصن منهم ومن لم يحصن • قال الامام مالك وجماعة يحد المولى عبده في الزنا
وشرب الخمر والقذف اذا شهد عنده الشهود بذلك • ولا يقطعه في السرقة • وانما يقطعه
الامام • وهو ايضا قول الليث بن سعد • وروي عن جماعة من الصحابة انهم اقاموا الحدود
على عبيدهم منهم عبد الله بن عمر • وانس بن مالك • ولا مخالف لهم من الصحابة • وروي عن ابن
ليلى انه قال ادركت بقايا الانصار يضربون الوليدة من ولايديهم اذا زنت في مجالسهم •
وقال الامام ابو حنيفة يقيم الحدود على العبيد والاماء السلطان دون المولى في الزنا وسائر
الحدود • وقال الامام الشافعي يحد السيد عبده في كل حد ويقطعه • وقال الثوري
والاوزاعي يحده في الزنا وهو مقتضى الاحاديث • والله اعلم • فاذا زنت الامة ثم عتقت
قبل ان يحدها سيدها لم يكن له سبيل الى حدها • والسلطان يجلدها اذا ثبت ذلك عنده •
فان زنت ثم تزوجت لم يكن لسيدها ايضا ان يجلدها لحق الزوج • اذ قد يضره ذلك • وهذا
مذهب الامام مالك • اذا لم يكن الزوج ملكا للسيد • فلو كان جاز للسيد ذلك • لان حقها حقه •

[illegible]

[illegible] وان تصبروا خير لكم

[illegible] خير لكم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] والله غفور رحيم [illegible]

[illegible] يريد الله ليبين لكم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وقال الشاعر [illegible]

[illegible]

[illegible] وضعف الزجاج هذا القول وقال لو كانت اللام بمعنى ان لدخلت عليها

لام اخرى كما تقول جئت لكي تكرمني ثم تقول جئت لكي تكرمني وانشد ٥

اردت

اردت لكيما يعلم الناس انها ٭ سراويل قيس والوفود شهود ٭
قال والتقدير ارادته ليبين ٭ قال بعضهم وزاد الامر على هذا حتى سماها بعض القرا لام
أن ٭ وقيل معناه يريد الله انزال هذه الايات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم
شرعكم ومصالح اموركم ٭ وقيل يبين لكم ما يقربكم منه ٭ وقيل يبين ان الصبر عن نكاح
الاما خير لكم ويهديكم اى ويرشدكم سنن الذين من قبلكم اى شرايع من قبلكم فى تحريم
الامهات والبنات والاخوات ٭ فانها كانت محرمة على من قبلكم ٭ وقيل معناه يرشدكم الى
ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم ٭ وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية ٭ وهى
ملة ابرهيم عليه السلام ويتوب عليكم يعنى ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ٭ ويرجع
بكم من المعصية التى كنتم عليها الى طاعته ٭ وقيل لما بين لنا امر الشرايع والمصالح وارشدنا
الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه ٭ فلا جرم انه تعالى قال
ويتوب عليكم والله عليم يعنى بمصالح عباده فى امر دينهم ودنياهم حكيم يعنى فيما دبر من
امورهم والله يريد ان يتوب عليكم قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل مكروه
الى ما يحب ويرضى ٭ وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التى يغفر لكم بها ما سلف
من ذنوبكم ٭ وقيل معناه ان وقع منكم تقصير فى دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم ويريد الذين
يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما قيل المراد بهم اليهود والنصارى ٭ وقيل هم
اليهود خاصة ٭ لانهم يقولون ان نكاح الاخت من الاب حلال ٭ وقيل هم المجوس ٭ لانهم
يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة ٭ فلما حرمهن الله تعالى قالوا انكم تحلون بنت الخالة
وبنت العمة ٭ والخالة والعمة عليكم حرام ٭ فانكحوا بنات الاخ وبنات الاخت ٭ فنزلت هذه
الآية ٭ وقيل هم الزناة ٭ يريدون ان تكونوا مثلهم ٭ وقوله ان تميلوا يعنى يريد هولا
انكم تميلوا عن الحق وقصد السبيل بالمعصية ٭ ميلا عظيما ٭ باتيانكم ما حرم الله عليكم ٭
يريد الله ان يخفف عنكم يعنى يسهل عليكم احكام الشرايع ٭ فهو عام فى كل احكام الشرع
وجميع ما يسره لنا ويسهله علينا ٭ احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ٭ ولم يثقل
التكاليف علينا كما ثقلها على بنى اسرايل ٭ فهو كقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ٭

وقوله مما جعل عليكم في الدين من حرج • وكما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت
بالحنفية السمحة السهلة • وقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا يعني في قله الصبر
عن النسا فلا صبر له عنهن • وقيل انه لضعفه يبتميله هواه فهو ضعيف العزم عن
قهر الهوى • وقيل هو ضعيف في اصل الخلقه • لانه خلق من مامهين • وروى عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قرا وخلق الانسان ضعيفا • اي وخلق الله الانسان ضعيفا اي لا صبر
على النسا • وقال ابن المسيب لقد اتى علي ثمانون سنة ذهب احدى عيني وانا اعشو بالاخرى
وصاحبي اعمى اصم يعني ذكره • وانا اخاف من فتنة النسا • وروى نحوه عن عبادة بن الصامت
رضي الله عنه قال الا ترون اني لا اقوم الا رافدا ولا آكل الا ما لوق لي • اي ليّن وسخن • ومات
صاحبي منذ زمان • قال يحيى يعني ذكره • وما يسرني اني خلوت بامراة لا تحل لي وان لي ما
طلعت عليه الشمس • مخافة ان يا تيني الشيطان فتحرك علي انه لا سمع له ولا بصر • والله اعلم
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم قال العلما المراد من قوله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل يعني
بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا • والقمار • والغصب • والسرقة • والخيانة • وشهادة
الزور • واخذ المال باليمين الكاذبة • ونحو ذلك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يشتري
من الرجل الثوب فيقول ان رضيت اخذته والا رددته ورددت معه درهما • قال العلما
وانما خص الله تعالى الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة
على وجه الباطل • لان معظم المقصود من الاموال الاكل • وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه
بالباطل ومال غيره • اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي • واما اكل مال غيره
فقد تقدم معناه • وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة • ومن
اكل المال بالباطل بيع العربان • اي بيع العربون • وهو ان ياخذ منك السلعة او يكتري
منك الدابة • ويعطيك درهما فما فوقه • على انه ان اشتراها او ركب الدابة فهو من ثمن
السلعة او كرا الدابة • وان ترك ابتياع السلعة او كرا الدابة فما اعطاك فهو لك
فهذا لا يصلح • ولا يجوز عند جماعة فقها الامصار من الحجازيين والعراقيين • لانه

سوتكم الى قوله ليس عليكم جناح ان ياكلوا جميعا او اشتاتا. وكان الرجل الغنى يدعوا
الرجل من اهله الى طعامه فيقول فيقول انى لاجنح ان آكل منه. والتجنح هو الحرج. ويقول
المسكين احتو منى. فاحل فى ذلك ان ياكلوا مما ذكر اسم الله عليه. واحل طعام الاهل. والله اعلم.
قال العلما لو ان رجلا دخل السوق واراد ان يشترى شيا فقال له صاحبه قبل الشرا
ذق وانت فى حل. فانه لا ياكل منه. لان اذنه فى الاكل انما هو لاجل الشرا. فربما لا يقع بينها
بيع فيكون ذلك الاكل فيه شبهه. ولكن لو وصف لك صفة فاشتريته فلم تجده على تلك
الصفة فانت بالخيار. والله اعلم. وجمهور العلما على جواز الغبن فى التجارة. مثل ان يبيع
ماله الكثير بالتافه اليسير. وهذا مما لا خلاف فيه من العلما اذا عرف قدر ذلك. كما يجوز
الهبة لو وهب. واختلفوا فيه اذا لم يعرف قدر ذلك. فقال قوم هو جايز. عرف قدر
ذلك او لم يعرف. اذا كان رشيدا حرا بالغا. وقالت فرقة ان الغبن اذا تجاوز الثلث مردود
وانما ابيح منه المتقارب المتعارف فى التجارات. واما الغبن المتفاحش الفادح فلا.
وقال ابن وهب من اصحاب الامام مالك الاول اصح. لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث
الامة الزانيه فليبعها ولو بظفير. ولقوله لعمر لا تبتعه وان اعطاكه بدرهم واحد.
ولقوله صلى الله عليه وسلم دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض. ولقوله صلى الله عليه وسلم
لا يبيع حاضر لباد. وليس فيها تفصيل بين القليل والكثير من ثلث ولا غيره. والله اعلم. وقوله
عن تراض منكم. اى عن رضى. واختلف العلما فى التراضى. فقالت طايفة تمامه وجزمه
بافتراق الابدان بعد عقد البيع. او بان يقول احدهما لصاحبه اختر. فيقول قد اخترت.
وذلك بعد العقد ايضا فيجزم ايضا وان لم يتفرقا. وهذا قول جماعة من الصحابة والتابعين
وبه قال الامام الشافعى. والثورى. والاوزاعى. والليث بن سعد. وابن عيينه. واسحق وغيرهم.
قال الاوزاعى هما بالخيار ما لم يتفرقا. الا ان يبيعه عايلانه. بيع السلطان المغانم. والشركة
فى الميراث. والشركة فى التجارة. فاذا صافقه فى هذه الثلاثة فقد وجب البيع. وليس فيه
بالخيار. قال وحد الفرقة ان تتوارى كل واحد منهما عن صاحبه. وهو قول اهل الشام.
وقال الليث بن سعد حد التفرق ان يقوم احدهما. وكان الامام احمد بن حنبل يقول هما بالخيار

ابدًا مالم يتفرقا بابدانهما. وسوا قالا اختر او لم يقولا حتى يفترقا بابدانهما من مكانهما.
وهو قول الامام الشافعي ايضا. وهذا القول مروى عن ابن عمر وابى برزة وجماعة من العلماء.
وقال الامام ابو حنيفه والامام مالك تمام التراضي هو ان يعقد البيع بالالسنة فينجزم
العقد بذلك ويرتفع الخيار. وقال محمد بن الحسن معنى قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
البيّعان بالخيار مالم يتفرقا. ان البايع اذا قال بعتك فله ان يرجع مالم يقل المشترى قد
قبلت وهو قول الامام ابى حنيفة. ونصّ مذهب الامام مالك. حكاه بعض اصحابه. وقيل ليس
له ان يرجع. وقد مضى في سورة البقره. واحتج الاولون بما ثبت من حديث سمرة بن جندب.
وابى برزة. وابن عمر. وعبد الله بن عمرو بن العاص. وابى هريرة. وحكيم بن حزام. وغيرهم عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال البيعان بالخيار مالم يتفرقا. ويقول احدهما لصاحبه اختر
رواه ايوب عن نافع عن ابن عمر. فقوله صلى الله عليه وسلم في هذه الرواية او يقول احدهما
لصاحبه اختر هو معنى الروايه الاخرى. الا بيع الخيار. وقوله الا ان يكون بيعهما عن
خيار. ونحوه ان يقول احدهما بعد تمام البيع لصاحبه انفاذ البيع او فسخه. فان اختار
امضا البيع تمّ البيع بينهما وان لم يتفرقا. وكان ابن عمر وهو راوى الحديث اذا بايع احدا
واحب ان ينفذ البيع مشى قليلا ثم رجع. وذكر في الاصول ان من روى حديثا فهو اعلم
بتاويله. لاسيما الصحابة رضى الله عنهم اذ هم اعلم بالمقال. واقعد بالحال. وقد روى ابو
داود والدارقطني عن ابى الوضى. قال كنا في سفر في عسكر فاتى رجل معه فرس فقال له رجل
منا اتبيع هذا الفرس بهذا الغلام قال نعم. فباعه ثم بات معنا. فلما اصبح قام الى فرسه
فقال له صاحبه مالك وللفرس اليس قد بعتنيها. قال مالى في هذا البيع من حاجة. قال
مالك ذلك لقد بعتنى فقال لهما القوم هذا ابو برزه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتياه. فقال لهما اترضيان بقضا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالا نعم. فقال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار مالم يتفرقا. وانّى لا اراكما افترقتما. ٥
فهذان صحابيان قد علما مخرج الحديث وعملا بمقتضاه. بل هذا كان عمل الصحابة
قال سالم قال ابن عمر كنا اذا تبايعنا كان كل واحد منا بالخيار مالم يتفرق المتبايعان.

قال

قال تبايعت انا وعثمان فبعته مالى بالوادى بمال له بخيبر. فلما بعته طفقت انكص القهقرى خشية ان يرادنى عثمان البيع قبل ان افارقه اخرجه الدارقطنى. ثم اهل اللغة فرقوا بين فوكد فرقت مخففا. وفرقت مثقلا. فجعلوه بالتخفيف فى الكلام. وبالتثقيل فى الابدان. قال احمد بن يحيى ثعلب اخبرنى ابن الاعرابى عن المفضل قال يقال فرقت بين الكلامين مخففا فافترقا. وفرقت بين اثنين مشددا. فتفرقا. فجعل الافتراق فى القول. والتفرق بالابدان. واحتج اصحاب الامام مالك بما تقدم بيانه فى آية الدين. وبقوله تعالى اوفوا بالعقود. وهذا ان قد تعاقدا. وفى هذا الحديث ابطال الوفاء بالعقود. قالوا وقد يكون التفرق بالقول. كعقد ووقوع الطلاق الذى قد سماه الله فراقا. قال الله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته. وقال تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا. وقال النبى صلى الله عليه وسلم لتفترق امتى. ولم يقل بابدانها. وروى الدارقطنى وغيره عن عمرو بن شعيب قال سمعت شعيبا يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايما رجل ابتاع من رجل بيعة فان كل واحد منهما بالخيار حتى يفترقا من مكانهما الا ان تكون صفقة خيار. ولا يحل لاحدهما ان يفارق صاحبه مخافة ان يقيله. قالوا فهذا يدل على انه قد تم البيع بينهما قبل الافتراق. لان الاقالة لا تصح الا فيما قد تم من البيوع. قالوا ومعنى قوله المتبايعان بالخيار. او المتساومان بالخيار. ما لم يعقدا. فاذا عقدا بطل الخيار فيه. والله اعلم. وروى الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق الامين المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة. ويكره للتاجر ان يحلف كثر وج السلعة وتزينها. او يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم عند عرض سلعته. وهو ان يقول صلى الله على محمد ما اجود هذا. ويستحب للتاجر ان لا تشغله تجارته عن ادا الفرايض. فاذا جا وقت الصلاه ينبغى ان يترك تجارته. حتى يكون من اهل هذه الآية. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. وسانى بما مه ان شا الله. قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم وقرا الحسن ولا تقتلوا انفسكم على التكثير. واجمع اهل التفسير على ان المراد بهذه الايه ان يقتل بعض الناس بعضا. ثم لفظها تناول ان

تقتل الرجل نفسه تقصد منه لقتلها وذلك لاجل الحرص على طلب الدنيا وطلب المال بان
تحمل نفسه على الغرر المودى الى التلف ويحتمل ان تقال ولا تقتلوا انفسكم في حال ضجر
او غضب فهذا كله تناوله النهي وقد احتج عمرو بن العاص رضي الله عنه بهذه الاية حين
امتنع من الاغتسال بالماء البارد حين اجنب في غزوة ذات السلاسل خوفا على نفسه منه
فقرره النبي صلى الله عليه وسلم احتجاجه وضحك عنده ولم يقل له شيا اخرجه ابو داود وسائي
وقال بعضهم انما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم
رقاب بعض وقيل هذا نهي للانسان عن قتل نفسه لما روي في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم
يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار
جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجى بها في
بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا قوله يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال
الى اسفل وقوله يتوجا تقال وجاته بالسكين اذا ضربته بها وهو يتوجا بها اي يضرب
بها نفسه وفي الصحيحين ايضا عن جندب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت
عليه الجنة وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز
بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة
وعن ابي قلابة ان ثابت بن الضحاك اخبره انه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذبا متعمدا فهو
كما قال ومن قتل نفسه بشي عذب به يوم القيامة وليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن
المومن كقتله ومن رمى مومنا بكفر فهو كقتله ومن ذبح نفسه بشي عذب به يوم القيامة
رواه البخاري وغيره وقيل في معنى قتل الانسان نفسه انه لا يفعل شيا يستحق به القتل
مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم

هذه الامة • وقال السدى الكبايرما نهى الله عنه من الذنوب الكبار • والسيآت مقدماتها
وتوابعها التى يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة • واللمسة • والقبلة • واشباه ذلك •
وروى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن
ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة • العينان زناهما النظر • والاذنان زناهما الاستماع •
واللسان زناه الكلام • واليد زناها البطش • والرجل زناها الخطا • والقلب يهوى ويتمنى •
ويصدق ذلك الفرج او يكذبه • وقيل الكبايرالشرك وما يودى اليه • وما دونه فهو من
السيات • وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الكبايرعشرون الشرك بالله • وعقوق الوالدين •
وقتل المومن • والقنوط من رحمة الله • والامن من مكرالله • والاياس من روح الله • والسحر •
والزنا • والربا • والسرقة • واكل مال اليتيم • وترك الصلاه • ومنع الزكوه • وشهادة الزور • وقتل
الولد خشيه ان ياكل معك • والحسد • والكبر • والحيف فى الوصية • وتحقير المسلمين • والغلول •
وشرب الخمر • وترك ما افترض الله • ونقض العهد • وقطيعه الرحم • وهذه زيادة على العشرين
رواها بعضهم • وروى عن ابى مالك قال ذكروا الكبآير عند عبدالله • فقال عبدالله افتحوا
سورة النسآء • فكل شى نهى الله عنه حتى يتلاث وتلا بين اية فهو كبيره • ومصداق ذلك قوله تعالى
ان تجتنبوا كبآير ما تنهون عنه الآية • وقال ابن عباس ايضا كل شى عصى الله عزوجل فيه فهو
كبيره • فمن عمل منها شيا فليستغفرالله • فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا راجعا
عن الاسلام • او جاحدا فريضة • او مكذبا بقدر • وقال وكيع كل ذنب اصر عليه العبد
فهو كبيره • وليس من الكبايرما تاب عنه العبد واستغفر • والله اعلم • وقوله تعالى نكفر
عنكم سياتكم • يعنى سترها عليكم حتى تصير بمنزله ما لم تعمل • لان اصل التكفير الستر والتغطية •
فصغار الذنوب تكفر بالحسنات • ولا تكفر كبارها الا بالتوبة او الاقلاع عنها • كما ورد فى
الصحيح عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة
الى الجمعة كفارات لما بينهن • زاد فى رواية ما لم تغش الكبآير • وزاد فى رواية اخرى ورمضان
الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكبايرا خرجه مسلم • وروى ابو حاتم البستى فى صحيح
مسنده عن ابى هريره وابى سعيد الخدرى رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

جلس على المنبر ثم قال والذى نفسى بيده ثلاث مرات ثم سكت واكبت كل رجل منا يبكى حزنا
ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ما من عبد يودى الصلوات الخمس ويصوم رمضان
ويجتنب الكبآير السبع الا فتحت له يمانيه ابواب الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم يلى
ان يجتنبوا كبايرما ينهون عنه نكفر عنكم سيآتكم والله اعلم فقد تعارض الكتاب والسنة
ستكفر الصغآير قطعا كالنظرة والغمزة والقبلة وما اشبه ذلك وبينت السنة ان المراد
بتجتنبوا ليس هو كل الاجتناب لجميع الكبايرواله اعلم واما اهل الاصول فقالوا لا
يجب على القطع بتكفير الصغآير باجتناب الكبايرانما يحمل ذلك على غلبة الظن وقوة الرجآء
والمشية بابته ودل على ذلك انا لو قطعنا لمجتنب الكبايرومتمثل الفرايض بتكفير
صغايره قطعا لكانت له فى حكم المباح الذى يقطع بان لا تبعة له فيه وذلك نقض لعرى
الشريعة ولا صغيرة عندنا قال القشيرى والصحيح انها كبايرولكن بعضها اعظم وقعا
من بعض والحكمة فى عدم التمييز ان يجتنب العبد جميع المعاصى قلنا وايضا ان من
نظر الى نفس المخالفة كما قال بعضهم لا تنظر الى صغر الذنب ولكن انظر من عصيته كانت
الذنوب بهذه النسبة كلها كبآير وعلى هذا النحو يخرج كلام الاستاذ ابى اسحق الاسفرايني
وابى الطيب وابى المعالى والقشيرى وغيرهم فانهم قالوا انما يقال لبعضها صغيره بالاضافة
الى ما هو اكبر منها كما تقال الزنا صغيرة باضافته الى الكفر والقبلة المحرمة صغيره بالنسبة
الى الزنا قالوا ولا ذنب عندنا يغفر باجتناب ذنب آخر فان كل ذلك كبيره ومرتكبه فى المشية
غير الكفر لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء واحتجوا
بقراءة من قرا ان تجتنبوا كبير ما تنهون عنه على التوحيد وكبير الاثم هو الشرك قالوا واما
على قرآءة الجمع فالمراد اجناس الكفر والآية التى قيدت الحكم ترد اليها هذه المطلقات كلها
وهى قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء واحتجوا بما رواه مسلم وغيره عن ابى امامة
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله
له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله وان كان شيا يسيرا قال وان كان
قضيبا من اراك فقد جآء الوعيد الشديد على اليسير كما جآء على الكثير والله اعلم وروى عن

ولا تختلفوا فتفشلوا وتذهب ريحكم

جميعا. فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكر النسآء. نخشى ان لا يكون فينا خير ولا لله فينا
حاجة. فانزل الله عز وجل هذه الاية وقوله ان المسلمين والمسلمات الى اخرها. وقوله
انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى. وقوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن
فلنحيينه حياة طيبة. وقال لما جعل الله للذكر مثل حظ الاسيين من الميراث قالت
النسآء نحن احق واحوج الى الزيادة من الرجال. لانا ضعفآء وهم اقوى واقدر على طلب المعاش
منا. فانزل الله عز وجل هذه الآية. وقال قتادة والسدى لما نزل قوله تعالى للذكر مثل
حظ الاسيين قال الرجال انا لنرجوا ان نفضل على النسآء فى الحسنات فى الاخرة فنكون لنا اجرنا
على ضعف اجر النسآء كما فضلنا عليهن فى الميراث. وقالت النسآء انا لنرجوا ان يكون الوزر
علينا نصف ما على الرجال كما لنا فى الميراث النصف من نصيبهم. فنزلت هذه الآية. والله اعلم
بمراده. وقوله ولا تتمنوا. قال العلما اصل التمنى ارادة الشى وتشهى حصول ذلك الامر
المرغوب فيه. ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون. وقيل التمنى تقدير الشى فى
النفس وتصويره فيها. وذلك قد يكون عن تخمين وظن. وقد يكون عن رويه. واكثر
التمنى تصور ما لا حقيقة له. وقيل التمنى عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون.
وقال بعضهم ايضا التمنى نوع من الارادة يتعلق بالمستقبل. كالتلهف نوع منها تتعلق
بالماضى. فنهى الله سبحانه المومنين عن التمنى. لان فيه تعلق البال وشيا ان الاجل. والمتمنى
على قسمين احدهما ان يتمنى الانسان ان يحصل له مال غيره مع زوال ذلك النعمة عن ذلك
الغير. فهذا القسم هو الحسد. وهو مذموم. لان الله تعالى يفيض نعمه على من شآء
من عباده. وهذا الحاسد يعترض على الله فيما يفعل. وربما اعتقد فى نفسه انه احق بتلك
النعمة من ذلك الانسان ايضا. فهذا اعتراض على الله ايضا. وهو مذموم. القسم الثانى
ان يتمنى مثل مال غيره ولا يحب ان يزول ذلك المال عن الغير. وهذا هو الغبطة. وهذا
ليس بمذموم. ومن الناس من منع منه ايضا. قال لان تلك النعمة ربما كانت مفسدة فى
حقه فى الدين او الدنيا. قال الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان. ولا تدرى لعل
هلاكك فى ذلك المال. فليعلم العبد ان الله عز وجل اعلم بمصالح عباده فليرض بقضايه.

ولتكن امنيته الزيادة من عمل الآخرة ۰ وليقل اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي
ومعادي ۰ وقال بعضهم ايضا ۰ اختلفوا هل يدخل في هذا النهي يعني قوله ولا يتمنوا الاية ۰
الغبطة وهي ان يتمنى الرجل ان يكون له حال صاحبه وان لم يتمن زوال حاله ۰ فالجمهور على
اجازة ذلك ۰ وهو المراد عند بعضهم في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل
آتاه الله القران فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ۰ ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل
وآناء النهار ۰ فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد ۰ اي لا غبطة اعظم وافضل من الغبطة
في هذين الامرين ۰ وقد بوب البخاري على هذا المعنى حيث بوب على هذا الحديث باب
الاغتباط في العلم والحكمة ۰ قال المهلب بين الله سبحانه في هذه الاية ما لا يجوز تمنيه ۰ وذلك
ما كان من عرض الدنيا واسبابها ۰ قال ابن عطية واما التمني في الاعمال الصالحة فذلك هو
الحسن ۰ واما اذا تمنى المرء على الله من غير ان يقرن امنيته بشيء مما قدمنا ذكره فذلك جايز ۰
وذلك موجود في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وددت اني احيا ثم اقتل ۰ وهذا الحديث
هو الذي صدر به البخاري كتاب التمني في صحيحه ۰ وهو يدل على تمني الخير وافعال البر والرغبة
فيها ۰ وفيه فضل الشهادة على سايرانواع البر ۰ لانه صلى الله عليه وسلم تمناها دون
غيرها ۰ وذلك لترفيع منزلتها وكرامة اهلها ۰ فرزقه الله اياها ۰ ويدل على ذلك قوله
في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعادني ۰ الآن اوان قطعت ابهري ۰ وفي رواية فهذا اوان
وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم ۰ يعني به الشاة المسمومة التي اهديت له بخيبر فاكل منها
مضغة ۰ ثم اخبرته الشاة انها مسمومة ۰ فلا زال السم يعمل فيه حتى قطع ابهره فمات شهيدا
صلوات الله عليه ۰ مع ما اكرمه الله به من النبوة والرسالة ۰ وفي الصحيح ان الشهيد يقال له تمن ۰
فيقول اتمنى ان ارجع الى الدنيا حتى اقتل في سبيلك مرة اخرى ۰ وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتمنى ايمان عمه ابي طالب ۰ وعمه ابي لهب ۰ وصناديد قريش ۰ مع علمه بان ذلك لا
يكون ۰ وكان صلوات الله عليه يقول واشوقاه الى اخواني الذين يجيئون من بعدي يودون
لي ولم يروني ۰ وهذا كله يدل على ان التمني لا ينهى عنه اذا لم يكن داعيه الى الحسد والتباغض ۰
والتمني المنهي عنه في الآية من هذا القبيل ۰ فيدخل فيه ان يتمنى الرجل حال الآخر من دين

ودنيا على ان يذهب ما عند الآخر • وسواء منيت مع ذلك ان يعود اليك اولا • وهذا هو الحسد
بعينه • وهو الذي ذمه الله تعالى بقوله ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله • ويدخل
فيه ايضا خطبة الرجل على خطبة اخيه • وسعه على بيعه • فانه داعية الحسد والمقت • وقد
كره بعض العلماء الغبطة • وانها داخلة في التمني • والصحيح جوازها على ما بينا • وبالله توفيقنا •
وقال الضحاك لا يحل لاحد ان يتمنى مال احد • الم تسمع الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون •
الى ان قال واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس حين خسف به وبداره واموله • لولا ان من الله علينا
لخسف بنا • وقال الكلبي لا يتمنى الرجل مال اخيه • ولا امرأته • ولا خادمه • ولا دابته • ولكن ليقل
اللهم ارزقني مثله • وهو كذلك في التوراة • وكذلك ايضا هو في القرآن • وهو قوله تعالى واسألوا الله من
فضله • وقال ابن عباس رضي الله عنهما نهى الله سبحانه ان يتمنى الرجل مال فلان واهله • وامر
عباده المؤمنين ان يسألوه من فضله • ومن الحجة للجمهور قول النبي صلى الله عليه وسلم انما
الدنيا لاربعة نفر • رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه
حقا فهذا بافضل المنازل • ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا • فهو صادق النية • يقول لو
ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان • فاجرهما سواء • ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما • فهو
يخبط في ماله بغير علم • لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا • فهذا بأخبث المنازل •
الحديث الى آخره وقد تقدم • اخرجه الترمذي وصححه • وقال الحسن لا
تتمنى احدكم المال ومايدريه لعله هلاكه فيه • وهذا انما يصح اذا تمناه للدنيا • واما اذا
تمناه للخير فقد جوزه الشرع فيتمناه العبد ليصل به الى الرب ويفعل الله ما شاء • وقوله
تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قال ابن عباس يعني مما ترك
ترك الوالدان والاقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الانثيين • وقيل هذا الاكتساب في
الاجر يعني ان الرجال والنساء في الاجر في الاخرة سواء • لان الحسنة بعشر امثالها والسيئة بمثلها •
ستوى في ذلك الرجال والنساء • وان فضل الرجال في الدنيا على النساء • وقيل للرجال نصيب مما
اكتسبوا من امر الجهاد • وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الازواج وحفظ الفروج ٥
واسألوا الله من فضله قال ابن عباس رضي الله عنه يعني من رزقه • وقيل من عبادته • وهو سؤال
التوفيق للعبادة • وقيل لم يأمر الله عباده بالمسألة الا ليعطيهم • وفيه تنبيه على ان العبد
لا يعين شيئا في الدعاء والطلب • ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته •

وقل لما تمنى النسآء ان يكن رجالا وان تكون لهن مثل ما للرجال فنهاهن الله عن ذلك وامرهن
ان يسالونه من فضله فانه اعلم بمصالح عباده • وروى الترمذي عن عبد الله رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسال • وافضل العباده
انتظار الفرج • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله
يغضب عليه • وعن عائشة رضي الله عنها قالت سلوا ربكم حتى الشسع • فانه ان لم ييسره الله
عز وجل لم تيسر • فهذا يدل على ان الامر بالسوال لله واجب • وقد اخذ بعض العلما هذا
فنظمه • وقال فيه ٥

الله يغضب ان تركت سوآله • وبني آدم حين يسأل يغضب •

وانشد احمد بن المعدل رحمه الله

التمس الارزاق عند الذي • مادونه ان سيل من حاجب •
من يبغض التارك تسآله • جودا ومن يرضى عن الطالب •
ومن اذا قال جرى قوله • بغير توقيع الى كاتب •

وقال سعيد بن جبير واسالوا الله من فضله يعني العباده • ليس من امر الدنيا • وقيل سلوه
التوفيق للعمل بما يرضيه • وقال سفين بن عيينه لم يامر الله تعالى بالسوال الا ليعطى • وقرا
الكسائي وابن كثير وسَلُوا الله بغير همز في جميع القران • وقرا الباقون بالهمز الا انه حذف
الهمزة للتخفيف • والله اعلم • وقوله تعالى ان الله كان بكل شي عليما يعني انه تعالى عليم بما يكون
صلاحا للسايلين • فليقتصر السايل على المجمل في الطلب • فان الله عليم بما يصلحه • فلا يتمنى غير الذي
قدر له • قوله تعالى ولكل جعلنا موالي يعني من الرجال والنسآء جعلنا موالي يعني ورثة من بني عم واخوة
وساير العصبات مما ترك الوالدان والاقربون يعني يرثون مما ترك الوالدان والاقربون
من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الذين يرثون • سقط

وقيل ان قوله موالي مما ترك يعني ممن تركهم الميت • ثم فسر الموالي فقال الوالدان والاقربون •
فعلى هذا الوالدان والاقربون هم الوارثون • والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثه ممن تركهم • وهم
والداه واقربوه • والقول الاول اصح لانه مروي عن ابن عباس وغيره والذين عاقدت ايمانكم

في سورة الانفال ح

والجمعة والجماعات والامامة ولان منهم الانبيا والخلفا والايمة يعني الرجال ومنها
ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب
في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده النكاح والطلاق والرجعة واليه الاسباب
فكل هذا يدل على فضل الرجال على النسا ثم قال تعالى وبما انفقوا من اموالهم يعني وبما
اعطوا من مهور النسا والنفقة عليهن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو كنت آمرا احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد لزوجها اخرجه
الترمذي وفهم بعض العلما من قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم انه متى عجز الزوج عن
نفقة زوجته لم يكن قواما عليها واذا لم يكن قواما عليها فلها فسخ العقد لزوال المقصود
الذي شرع لاجله النكاح وفيه دلالة ظاهرة من هذا الوجه على ثبوت فسخ النكاح عند
الاعسار بالنفقة والكسوة وهذا مذهب الامام مالك والامام الشافعي وقال الامام ابو
حنيفة لا يفسخ لقول الله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وقوله تعالى فالصالحات
يعني المحسنات العاملات بالخير قانتات اي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله
حافظات اي لفروجهن وقوله للغيب اي في غيبة ازواجهن ليلا يلحق الزوج العار بسبب
زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله
وما يجب على المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قيل يا رسول الله اي النسا خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه
في نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النسائي ورواه البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النسا امراة ان نظرت اليها سرتك وان
امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النسا
الاية وقوله تعالى بما حفظ الله يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم
باداء المهر والنفقة اليهن وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم استوصوا بالنسا فان المراة خلقت من ضلع وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان
ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنسا وقيل في معنى الاية بما

حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن
حيث امرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان **فصل فيما يجب من**
حق احد الزوجين على صاحبه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول كلكم راع ومسؤل عن رعيته الامام راع ومسول عن رعيته والمراة راعية فى بيت
زوجها ومسوله عن رعيتها والرجل راع فى اهله ومسول عن رعيته والخادم راع فى مال سيده
ومسول عن رعيته وكلكم راع ومسول عن رعيته رواه البخارى ومسلم وعن ابى هريرة رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا وخياركم خياركم
لنسايهم رواه الترمذى وعن عايشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله رواه الترمذى والحاكم ٥
وعنها رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وانا خيركم
لاهلى رواه ابن حبان وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان المراة خلقت من ضلع فان اقمتها كسرتها فدارها تعش بها رواه ابن حبان ايضا ٥
وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا فان المراة
خلقت من ضلع وان اعوج ما فى الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم تزل اعوج
فاستوصوا بالنسا رواه البخارى وغيره وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يفرك مومن مومنة ان كره منها خلقا رضى منها آخر وعن ام سلمة رضى الله
عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة
رواه ابن ماجة وغيره وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
صلت المراة خمسها واحصنت فرجها واطاعت بعلها دخلت من اى ابواب الجنة شاءت رواه
ابن حبان وعن عايشة رضى الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس اعظم
حقا على المراة قال زوجها قلت فاى الناس اعظم حقا على الرجل قال امه رواه البزار
والحاكم رحمهما الله والاحاديث فى هذا المعنى كثيرة ثم قال عز وجل **واللاتى تخافون** اى تعلمون
وقيل تظنون **نشوزهن** اى تعلمون وتيقنون واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة

صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر
فى الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنسآء خيرا فانهن عوان عندكم ليس تملكون
منهن شيا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن
ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذى بزيادة فيه قوله
عوان جمع عانية اى اسيرة شبه المراة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب
المبرح هو الشاق وفى رواية مسلم من حديث جابر الطويل ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم
احدا تكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ومعناه لا يدخلن منازلكم احدا
ممن يكرهونه من الاقارب والنسآء الاجانب وقوله فى الحديث الاول الذى رواه الترمذى
الا ان ياتين بفاحشة مبينة يريد لا يدخلن من يكرهه ازواجهن ولا يعصينهن وليس
المراد بذلك الزنا فان ذلك محرم ويلزم عليه الحد وقال النبى صلى الله عليه وسلم اضربوا
النسآء اذا عصينكم فى معروف ضربا غير مبرح قال عطا قلت لابن عباس ما الضرب غير المبرح
قال بالسواك ونحوه وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضرب امراته فعدل فى ذلك
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسال الرجل فيم ضرب اهله وعن حكيم
ابن معوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه قال ان تطعمها
اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت اخرجه
ابو داود قوله لا تقبح اى لا تقل قبحك الله وفى الصحيحين عن عبد الله بن زمعة رضى
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امراته جلد العبد ثم لعله
يجامعها او قال يضاجعها من آخر اليوم وعن اياس بن عبد الله بن ابى ذباب رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا النسآء فجآء عمر الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ذيرن النسآء على ازواجهن فرخص فى ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه
وسلم نسآء كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نسآء
كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم اخرجه ابو داود اياس بن عبد الله هذا قد
اختلف فى صحبته وقال البخارى لا يعرف له صحبة وقوله ذيرن يقال ذيرت المراة

على زوجها اذا نشزت واجترات عليه • واطاف بالشئ احاط به • ففي هذه الاحاديث دليل
على ان الاولى ترك الضرب للنساء • فان احتاج الى ضربها لتاديب فلا تضربها ضربا شديدا •
وليكن ذلك مفرقا • ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها • وليتق الوجه • لانه مجمع
المحاسن • ولا يبلغ بالضرب عشرة اسواط • وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمنديل واليد •
ولا يضرب بالسوط والعصا • وبالجملة فالتخفيف ما بلغ شئ اولى في هذا الباب • واختلف
العلماء فقال بعضهم حكم الآية مشروع على الترتيب • فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع الا ان
مجرى الآية يدل على الترتيب • قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه يعظها بلسانه • فان انتهت فلا
سبيل له عليها • فان ابت هجر مضجعها • فان ابت ضربها • فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم •
وقال اخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز • اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع
بين الكل • وقيل ان له ان يعظها عند خوف النشوز • وهل له ان يهجرها • فيه احتمال ذلك •
وله عند ظهور النشوز ان يعظها • وان يهجرها او يضربها • ويدل عليه حديث عمر المتقدم
لا يسال الرجل فيم ضرب امراته • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دعى الرجل امراته الى فراشه فابت ان يجي فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى
تصبح • وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعوا
امراته الى فراشه فتابى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها • وفي رواية
اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح • وفي اخرى حتى يرجع • وعن طلق
ابن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعى الرجل امراته الى حاجته
فلتاته وان كانت على التنور اخرجه الترمذي • وله ايضا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من
الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله • فانما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا • وله ايضا
عن ام سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها
راض عنها دخلت الجنة • وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم
عند هذا التاديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني فلا تظلموا عليهن الضرب والهجران على

سبيل التعنت والايذآء وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن ان الله كان عليا كبيرا قال العلما العلى فى صفة الله تعالى معناه هو الرفيع الذى يعلو عن وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلى بالاطلاق الذى يستحق جميع صفات المدح والكبير هو المستغنى عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة والكبريآء وكبر الشان الذى يصغر كل احد لكبريآيه وعظمته والمعنى ان الله متعاليا من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه ۞ وقيل ان النسآء وان ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله على كبير قادر ان ينتصف لهن ممن ظلمهن من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريآيه يقبل توبة العاصى اذا تاب ويغفر له فاذا تابت المراة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم احق بالعفو عمن جنى عليكم اذا ثبت هذا فاعلم ان الله جل وعز لم يامر فى شى من كتابه بالضرب صراحا الا فى هذا الموضع وفى الحدود العظام فساوى سبحانه معصيتهن بازواجهن بمعصية الكبايرو ولى الارواح ذلك دون الائمة وجعله لهم دون القضاة بغير شهود ولا بينات ايمانا من الله تعالى للارواح على النسآء قال المهلب انما جوز ضرب النسآء من اجل امتناعهن على ازواجهن فى المباضعة واختلف فى وجوب ضربها فى الخدمة والقياس يوجب انه اذا جاز ضربها فى المباضعة جاز فى الخدمة الواجبة للزوج عليها بالمعروف قال بعضهم والنشوز يسقط النفقة وجميع حقوق الزوجية ويجوز معه ان يضربها الزوج ضرب الادب غير المبرح والوعظ والهجر حتى ترجع عن نشوزها فاذا رجعت عادت حقوقها وكذلك كلما اقتضى الادب فجايز للزوج تاديبها ويختلف الحال فى ادب المراة الرفيعة والدنية فالرفيعة بالعذل والدنية بالسوط وروى داود بن على عن ابيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال علق السوط حيث يراه اهل البيت وفى رواية رحم الله امرا علق سوطه وادب اهله وقال صلى الله عليه وسلم واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وفى رواية فانه ضراب للنسآء وعن اسمآء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنها قالت كنت رابع

اربحة نسوة عند الزسر من العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره
عليها. والله اعلم قوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما قال العلما معناه وان علمتم وتيقنتم
وقيل معناه الظن اى ظننتم شقاق بينهما يعنى بين الزوجين. واصل الشقاق المخالفة.
وكون كل واحد من المتخالفين فى شق غير شق صاحبه. او يكون اصله من شق العصا. وهو
ان تقول كل واحد من الزوجين ما شق على صاحبه سماعه. وذلك انه اذا ظهر من الزوجين
شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك
الزوجة لا تودى الحق ولا الفدية وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا بعث الحكم. قال الله
عزوجل فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اختلف العلما فى المخاطبين بهذا ومن المامور
بعثة الحكمين. فقيل المخاطب بذلك هو الامام او نايبه. لان سفيد الاحكام الشرعيه اليه.
وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحى الامة. لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع. وليس حمله
على البعض اولى من حمله على البقية. فوجب حمله على الكل. فعلى هذا يجب ان يكون امرا لآحاد
الامة. سوا وجد الامام او لم يوجد. فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها.
وايضا فهذا يجرى مجرى دفع الضرر. فلكل احد ان يقوم به. وقيل هو خطاب للزوجين.
فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يعنى
الحكمين. وقيل الزوجين يوفق الله بينهما يعنى بالصلاح والالفة. قال العلما قسمت هذه
الاية النسا بقسما عقليا. لانهن اما طايعة واما ناشز. والناشز اما ان ترجع الى الطواعيه
اولا. فان رجعت الى الطواعية تركا. وهذا كما رواه النساى ان عقيل بن ابى طالب رضى الله عنه
تزوج فاطمة بنت عتبه بن ربيعة. فكان اذا دخل عليها يقول يا بنى هاشم والله لا تحبكم قلبى
ابدا اين الذين اعناقهم كاباريق الفضة ترد انوفهم قبل شفاههم اين عتبه بن ربيعة اين
شيبة بن ربيعة فسكت عنها حتى دخل عليها يوما وهو برم. فقالت له اين عتبة بن ربيعة
فقال على يسارك فى النار اذا دخلت. فنشرت عليها ثيابها فحاث عثمان بن عفان. فذكرت ذلك
له. فارسل ابن عباس ومعويه. فقال ابن عباس لافرقن بينهما. وقال معوية ما كنت لافرق
بين شخصين من بنى عبد مناف. فاتياهما فوجداهما قد سد عليهما ابوابهما واصلحا امرهما.

الزوجان واحدا لاجزا. وهو بالجواز اولي اذا رضيا بذلك. وانما خاطب الله تعالى بالارسال
الحكام دون الزوجين. فان ارسل الزوجان حكمين وحكما نفذ حكمهما. وفي هذه الاية
دليل على اثبات التحكيم. وليس كما يقول الخوارج انه ليس التحكيم لاحد سوى الله. وهذه كلمة
حق ولكن يريدون بها الباطل. والله اعلم. وقوله ان الله كان عليما خبيرا يعني انه تعالى
يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين. وفيه وعيد شديد للزوجين
والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق. وقوله عز وجل واعبدوا الله اي وحدوه
واطيعوه. وعبادة الله تعالى عبارة عن كل فعل ما تى به العبد مجردا لله تعالى. ويدخل
فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح. وقوله ولا تشركوا به شيا يعني واخلصوا له
العباده ولا تجعلوا له في الربوبيه والعبادة شريكا. لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله
غير الله فقد اشرك به ولا يكون مخلصا. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال
كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير. فقال يا معاذ هل تدري ما
حق الله على عباده وما حق العباد على الله. قلت الله ورسوله اعلم. قال فان حق الله على العباد
ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا. وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيا. فقلت
يا رسول الله افلا ابشر الناس. قال لا تبشرهم فيتكلوا. وقوله هل تدري ما حق الله على
عباده. معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم. ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه
ولا يشركوا به شيا. وقوله وما حق العباد على الله. انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه
عليهم. لا لانهم يستحقون عليه شيا. ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب
اي متاكد قيامي به. وقوله افلا ابشر الناس الى آخره. انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه
صلى الله عليه وسلم راى ذلك اصلح لهم. واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل
الذي يرفع لهم به الدرجات في الجنة. وقال الحكما العبودية ترك الاختيار وملازمة
الذلة والافتقار. وقيل العبودية اربعة اشيا الوفا بالعهود والحفظ للحدود والرضى
بالموجود والصبر عن المفقود. واجمع العلما على ان هذه الاية من المحكم المتفق عليه ليس
منها شي منسوخ. وكذلك هي في جميع الكتب. ولو لم يكن كذلك لعرف من جهة العقل وان

لم ينزل به الكتاب • وقد مضى معنى العبودية • وهي التذلل والافتقار • لمن له الحكم والاختيار •
فامر الله عباده بالتذلل له والاخلاص في عبادته • والآية اصل في خلوص الاعمال
لله تعالى • وتصفيتها من شوايب الريا وغيره • قال الله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا • حتى لقد قال بعض العلما انه من تظهر لاجل
التبرد • او صام لاجل حمية معدته • ونوى مع ذلك التقرب لم يجزه ذلك • لانه مزج في
نيته التقرب نيه دنياوية • وليس لله الا العمل الخالص • كما قال تعالى الا لله الدين الخالص •
والدين الطاعة والعبادة • وقال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين • وكذلك
اذا كان في الصلاه واحس باسان داخل وهو في حالة الركوع وهو امام لم ينتظره • لانه
يخرج بركوعه بانتظاره عن كونه خالصا لله تعالى • وفي صحيح مسلم عن ابي هريره رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركا عن الشرك • من
عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه • وروى الدار قطني عن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجا يوم القيامة بصحف مختمه فتنصب بين
يدي الله تعالى • فيقول الله تعالى للملايكه القوا هذا واقبلوا هذا • فتقول الملايكة وعزتك
ما راينا الا خيرا • فيقول الله عز وجل وهو اعلم ان هذا كان لغير وجهي • ولا اقبل اليوم من العمل
الا ما ابتغي به وجهي • وروى ايضا عن الضحاك بن قيس الفهري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول انا خير شريك • فمن اشرك معي شريكا فهو
لشريكي • يا ايها الذين آمنوا اخلصوا اعمالكم لله تعالى • فان الله تعالى لا يقبل الا ما خلص له •
ولا تقولوا هذا لله وللرحم • فانها للرحم • وليس لله منها شي • ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم • فانها
لوجوهكم • وليس لله تعالى منها شي **مسئله** قال علما السنة اذا ثبت هذا فاعلم ان الشرك
على ثلاث مراتب • وكله محرم • واصله اعتقاد شريك لله تعالى في الوهيته • وهذا هو الشرك
الاعظم • وهو شرك الجاهليه • وهو المراد بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به • ويليه في الرتبه
اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل • وهذا قول من قال ان موجودا ما غير الله تعالى يستقل
باحداث فعل وايجاده • وان لم يعتقد كونه الها • كالقدرية مجوس هذه الامة • وقد تبرا

رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله فى رضى الوالد وسخط الله فى سخط الوالد رواه الترمذى وعنه رضى الله عنه قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال انى اذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة فقال هل لك من امّ قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها رواه الترمذى ايضا وعن ابى اسيد مالك بن ربعة الساعدى رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال يا رسول الله هل بقى من برّ ابوىّ شئ ابرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما واكرام صديقهما رواه ابو داود وعن ابى بكرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين رواه البخارى ومسلم والترمذى رحمهم الله وقوله تعالى وبذى القربى اى واحسنوا الى ذى القرابة وهم ذوو رحمه من قبل ابيه وامه ويدل عليه ما روى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سرّه ان يبسط له فى رزقه وينسأ له فى اثره فليصل رحمه ومعنى ينسأ له فى اثره يوخر له فى اجله وعمره وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله رواه البخارى ومسلم وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال بتته رواه ابو داود رحمه الله وقوله تعالى والتامى والمساكين اى واحسنوا الى التامى والمساكين قال العلماء انما امر سبحانه بالاحسان اليهم لان اليتم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والمسكين هو الذى ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتم فى الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا رواه البخارى وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعى على الارملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله واحسبه

قال وكالقآيم لا يفتر وكالصآيم لا يفطر • وعن عمرو بن مالك القشيري رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ضم يتيما من بين ابوين مسلمين الى طعامه وشرابه
حتى يستغني وجبت له الجنة • رواه الامام احمد • وعن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم شيطان • رواه الطبراني •
وعن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مسح على راس يتيم لم يمسحه
الا لله كان له في كل شعرة مرت عليها يده حسنات • ومن احسن الى يتيمة او يتيم عنده كنت
انا وهو في الجنة كهاتين • وفرق بين اصبعيه السبابة والوسطى • رواه الامام احمد • وعن
ابي الدرداء رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه • قال ان تحب
يلين قلبك وتدرك حاجتك • ارحم اليتيم وامسح راسه • واطعمه من طعامك يلين قلبك •
وتدرك حاجتك • وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قسوة قلبه • فقال امسح راس اليتيم • واطعم المسكين • رواه الامام احمد رحمه الله • وقوله
والجار ذي القربى والجار الجنب اي واحسنوا الى الجار ذي القربى • وهو الذي قرب جواره
منك • والجار الجنب هو الذي بعد جواره منك • وقيل الجار ذي القربى هو القريب والجار
الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة • وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه • رواه
البخاري ومسلم • وعن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما
اهدي • قال الى اقربهما منك بابا • رواه البخاري • وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك • وفي رواية
قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر اهل بيت
من جيرانك فاصبهم منها بمعروف • رواه مسلم • وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال والله لا يومن • والله لا يومن • والله لا يومن • قيل من يا رسول الله قال
الذي لا يامن جاره بوايقه • رواه البخاري ومسلم • وفي رواية اخرى لمسلم لا يدخل الجنة من لا
يامن جاره بوايقه • البوايق الغوايل والشرور • وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم يانسآ المومنات لاتحقرن جاره لجارتها ولوفرسن شاة • معناه ولو
ان تهدى لها فرسن شاة • وهو الظلف • واراد به الشئ الحقير • رواه البخارى ومسلم • وعنه
ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يوذى جاره •
ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه • ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فلىقل خيرا
اوليسكت • وعن رافع بن خديج رضى الله عنه عن ابيه عن جده رضى الله عنهم • قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم التمسوا الجار قبل الدار • والرفيق قبل الطريق • وعن ابى هريرة رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لايومن • والله لايومن • والله لايومن • قيل
مَن يارسول الله • قال الذى لايامن جاره بوايقه • وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من آذى جاره فقد آذانى • ومن اذانى فقد آذى الله • ومن حارب
جاره فقد حاربنى • ومن حاربنى فقد حارب الله • رواه ابن حبان • وعن عبد الله بن عمرو رضى الله
عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاه فقال لاتصحبنا اليوم من آذى جاره •
فقال رجل من القوم انا بلت فى اصل حايط جارى • فقال لاتصحبنا اليوم • رواه الطبرانى •
وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى اعوذ بك
من جار السوء فى دار المقامة • فان جار البادية يتحول • رواه ابن حبان • وعن ابى هريره رضى الله
عنه قال قال رجل يارسول الله ان فلانه تذكر من كثره صلاتها وصدقتها وصيامها غير
انها توذى جيرانها بلسانها • قال هى فى النار • قال يارسول الله فان فلانه تذكر من قله صيامها
وصلاتها وانها تصدق بالاثوار من الاقط ولا توذى جيرانها • قال هى فى الجنه • رواه الامام
احمد وغره • وروى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضى الله عنهم • عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال من اغلق بابه دون جاره مخافة على اهله وماله فليس ذلك بمومن • وليس
بمومن من لم يامن جاره بوايقه • اتدرى ماحق الجار • اذا استعانك اعنته • واذا
استقرضك اقرضته • واذا افتقر عدت عليه • واذا مرض عدته • واذا اصابه خير هنيته •
واذا اصابته مصيبة عزيته • واذا مات اتبعت جنازته • ولا تستطل عليه بالبنآ فتحجب عنه
الريح الا باذنه • ولا توذيه بقتار ريح قدرك الا ان تغرف له منها • واذا اشتريت فاكهة

فاهدِ له • فان لم تفعل فادخلها سرا • ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده • رواه الخرايطي •
وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بي من بات
شبعان وجاره جايع الى جنبه وهو يعلم • رواه الطبراني • وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المومن الذي يبيت شبعانا وجاره جايع الى
جنبه • وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من جار متعلق
بجاره يقول يا رب سل هذا لم اغلق عني بابه ومنعني فضله • رواه الاصبهاني • وعن عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى
خيرهم لصاحبه • وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره • رواه الترمذي • وعن مطرف يعني
ابن عبد الله • قال كان يبلغني حديثا عن ابي ذر رضي الله عنه • وكنت اشتهي لقاءه • فلقيته •
فقلت يا اباذر كان بلغني عنك حديث كنت اشتهي لقاءك • قال لله ابوك قد لقيتني • فهات
قلت بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثك • قال ان الله تعالى يحب ثلاثة ويبغض
ثلاثة • قال فما اخالني اكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال قلت فمن هولاء الثلاثة
الذين يحبهم الله عز وجل • قال رجل غزا في سبيل الله عز وجل صابرا محتسبا فقاتل حتى قتل •
وانتم تجدونه مكتوبا عندكم في كتاب الله • ثم تلا ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كانهم بنيان مرصوص • قلت ومن • قال رجل كان له جار سوء يوذيه فصبر على اذاه حتى يكفيه
الله اياه بحياة او موت • وذكر تمام الحديث • رواه الطبراني وغيره • وعن رجل من الانصار قال
خرجت مع اهلي اريد النبي صلى الله عليه وسلم • واذا به قايم • فاذا رجل مقبل عليه • وظننت
ان لهما حاجة • فجلست • فوالله لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلت ارثي له
من طول القيام • ثم انصرف فقمت اليه • فقلت يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى
جعلت ارثي لك من طول القيام • قال اتدري من هذا • قلت لا • قال جبريل • ما زال يوصيني
بالجار حتى ظننت انه سيورثه • اما انك لو سلمت عليه لرد عليك السلام • رواه الامام احمد •
وعن مجاهد ان عبد الله بن عمرو ذبحت له شاة في اهله • فلما جا قال اهديتم لجارنا
اليهودي • اهديتم لجارنا اليهودي • سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما زال جبريل

جماعة من ص

والصاحب بالجنب

فلا تحرمني نائلا عن جنابة ۞ فاني امرؤ وسط القباب غريب ۞

وقال الاعشى ۞

اتيت حريثا زائرا عن جنابة ۞ وكان حريث عن عطائي جامدا ۞

وقرا الاعشى والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون وهما لغتان ۞

قال العلما والاحسان قد يكون بمعنى المواساة وقد يكون بمعنى حسن العشرة وكف الاذى

والمحاماة دونه ۞ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلاثة ۞ فجار له

ثلاث حقوق ۞ وجار له حقان ۞ وجار له حق واحد ۞ فاما الجار الذي له ثلاث حقوق

فالجار القريب المسلم ۞ له حق الجوار ۞ وحق القرابة ۞ وحق الاسلام ۞ واما الجار الذي له حقان

فهو الجار المسلم ۞ فله حق الاسلام ۞ وحق الجوار ۞ واما الجار الذي له حق واحد فهو الكافر ۞

له حق الجوار ۞ فينبغي للمؤمن ان يحذر اذى جاره ۞ ويشتهي عما نهى الله ورسوله عنه ۞ ويرغب

فيما رضياه ۞ وحفظ العباد عليه ۞ واختلف العلما في حد الجيرة ۞ فقال الاوزاعي وجماعة

اربعون دارا من كل ناحية ۞ لما روي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول

الله اني نزلت محلة قوم وان اقربهم الي جوارا اشدهم لي اذى ۞ فبعث رسول الله صلى الله

عليه وسلم ابا بكر وعمر وعليا رضي الله عنهم يصيحون على ابواب المساجد الا ان اربعين دارا

جار ۞ ولا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوايقه ۞ وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من سمع

الندا فهو جار ۞ وقالت فرقة من سمع اقامة الصلاة فهو جار ذلك المسجد ۞ وقالت فرقة

من ساكن رجلا في محلة او مدينة فهو جار ۞ قال الله تعالى لئن لم ينته المنافقون الى قوله

ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ۞ فجعل سبحانه اجتماعهم في المدينة جوارا ۞ والجيرة

على مراتب بعضها الصق من بعض ادناها الزوجة ۞ قال الشاعر ۞

ايا جارتا رحلي فانك طالقه ۞

ومن اكرام الجار ايضا ما رواه مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك ۞ فحض صلى الله عليه وسلم على

مكارم الاخلاق لما يترتب عليها من المحبة وحسن العشرة ودفع الحاجة والمفسدة فان

الجار قد تاذى بقتار قدر جاره وربما يكون له ذريه فتهيج من صعفايهم الشهوه
ويعظم على القايم عليهم الالم والكلفه لاسيما ان كان القآيم ضعيفاً وارمله فتعظم المشقه
وتشتد منهم الالم والحسرة قال العلمآ ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا طبخت مرقة
فاكثر مآها ينبه بذلك على تيسير الامر على البخيل بنبيها لطفا وجعل الزيادة فيما ليس له
ثمن وهو المآ ولذلك لم يقل اذا طبخت مرقه فاكثر لحمها اذ لا يسهل ذلك على احد ٥
ولقد احسن القايل حيث قال ٥

قدرى وقدر الجار واحدة ٭ واليه قبلى ترفع القدر ٭

قال العلمآ ولا يهدى النزر اليسير المحتقر لقوله صلى الله عليه وسلم ثم انظر اهل بيت من
جيرانك فاصبهم منها بمعروف اى شى يهدى عرفا فان القليل قد لا يقع ذلك الموقع
فان لم يتيسر الا القليل فليهده ولا يحتقره وعلى المهدى اليه قبوله لقوله صلى
الله عليه وسلم يا نسآ المسلمات لا تحقرن احداكن لجارتها ولو كراع شاة محرق رواه
الامام مالك فى الموطا وفى رواية لمسلم لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة والله اعلم
ومن اكرام الجار ايضا ان لا يمنع خشبة فى جدار جاره لقول النبى صلى الله عليه
وسلم لا يمنع جار جاره ان يغرز خشبه فى جداره ثم يقول ابو هريره مالى اراكم عنها معرضين
والله لارمين بها بين اكتافكم بالتآ واكتافكم بالنون ومعنى قوله لارمين بها اى بالكلمة والقصة
قال العلمآ وهل يقضى بهذا الحديث على الايجاب او على الندب اختلف العلمآ فيه فذهب
الامام ابو حنيفه والامام مالك واصحابهما الى ان معناه الندب الى بر الجار والتجاوز له
والاحسان اليه وليس ذلك على الوجوب بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ
مسلم الا عن طيب نفس منه قالوا ومعنى قوله لا يمنع جار جاره مثل معنى قوله اذا
استاذنت احدكم امراته الى المسجد فلا تمنعها وهذا معناه عند الجميع الندب على ما
يراه الرجل من الصلاح والخير فى ذلك وذهب الامام الشافعى والامام احمد بن حنبل
واسحق وابو ثور وجماعة اهل الحديث الى ان ذلك على الوجوب قالوا ولولا ان ابا هريرة
فهم فيما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم معنى الوجوب لما كان يوجب عليهم غير واجب وهو

مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه قضى على محمد بن مسلمة للضحاك بن خليفه في الخليج
ان يمر به في ارض محمد بن مسلمة. فقال محمد بن مسلمة لا والله. فقال عمر والله ليمرن به.
ولو على بطنك. فامر عمر ان يمر به. ففعل الضحاك. رواه الامام مالك في الموطا. وزعم
الامام الشافعي رحمه الله في كتاب الردّ ان مالكا رحمه الله لم يرو عن احد من الصحابة خلاف
عمر في هذا الباب. وانكر على الامام مالك انه رواه وادخله في كتابه ولم ياخذ به. وردّهُ
برايه. قال ابن عبد البر وليس كما زعم الامام الشافعي. لان محمد بن مسلمة كان رايه في ذلك خلاف
راى عمر. ورأي الانصار كان خلافا لراى عمر وعبد الرحمن بن عوف في قصة الرَّبيع وتحويله.
والرَّبيعُ الساقية. واذا اختلف الصحابة وجب الرجوع الى النظر. والنظر يدل على ان
دمآ المسلمين واموالهم واعراضهم بعضهم على بعض حرام الا ما تطيب به النفس خاصة. فهذا
هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم. ويدل على الخلاف في ذلك قول ابي هريره رضي الله عنه ما
لي اراكم عنها معرضين. والله لارمين بها. هذا ونحوه. اجاب الاولون فقالوا ان
القضا بالرفق خارج بالسنة على معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا
عن طيب نفس منه. لان هذا معناه التمليك والاستهلاك. وليس الموفق من ذلك. لان النبي
النبي صلى الله عليه وسلم قد فرق بينهما في الحكم. فغير واجب ان يجمع بين ما فرق رسول الله
صلى الله عليه وسلم. وحكى الامام مالك انه كان بالمدينة قاض يقضي به يسمى المطلب. ٥
واحتجوا ايضا من الاثر بحديث الاعمش عن انس رضي الله عنه. قال استشهد منا غلام يوم احد
فجعلت امه تمسح التراب عن وجهه وتقول ابشر هنيا لك الجنة. فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يدريك. لعله كان يتكلم بما لا يعنيه. ومنع ما لا يضره. قال والاعمش لا يصح له
سماع من انس. والله اعلم. قال العلما والاحاديث في اكرام الضيف جآت مطلقه غير مقيده
حتى الكافر كما بين في الخبر انهم قالوا يا رسول الله انطعمهم من لحوم النسك. قال لا تطعموا
المشركين من نسك المسلمين. وهذا النهي عن اطعام المشركين من نسك المسلمين محمول على
النسك الواجب في الذمة الذي لا يجوز للناسك ان ياكل منه ولا ان يطعمه الاغنيا. فاما
غير الواجب فيجوز ان يطعم منه اهل الذمة. لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة عند تفريق

ملكت أيمانكم

وسلم قال فى حجة الوداع ارقآوكم ارقاوكم اطعموهم مما تاكلون واكسوهم مما تلبسون
فان جاوآ بذنب لا تريدون ان تغفروا فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم رواه الامام احمد
وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العبيد ان احسنوا فاقبلوا
وان اساوا فاعفوا وان غلبوكم فبيعوا رواه الترمذى وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم بركة على اهلها والابل عز لاهلها والخيل معقود
فى نواصيها الخير والعبد اخوك فاحسن اليه وان رايته مغلوبا فاعنه رواه الاصبهانى
وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وشرابه
وكسوته ولا تكلف الا ما تطيق فان كلفتموهم فاعينوهم ولا تعذبوا عباد الله خلقا امثالكم
رواه ابن حبان وعن عمرو بن حريث رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خففت
عن خادمك من عمله كان لك اجرا فى موازينك رواه ابو يعلى وعن على بن ابى طالب رضى الله
عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم
رواه ابو داود وعن عبد الله بن عمر وجآه فخر ما ذا له فقال له اعطيت الرقيق قوتهم قال لا
قال فانطلق فاعطهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يحبس عمن يملك
قوتهم رواه مسلم وعن كعب بن مالك رضى الله عنه قال عهد الى نبيكم صلى الله عليه وسلم
قبل وفاته بخمس ليال فسمعته يقول انه لم يكن نبى الا وله خليل من امته وان خليلى ابو بكر
ابن ابى قحافة وان الله اتخذ صاحبكم خليلا الا وان الامم قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم
مساجد وانى انهاكم عن ذلك اللهم هل بلغت بلاث مرات ثم قال اللهم اشهد بلاث مرات
واومى عليه هنيهة ثم قال الله الله فيما ملكت ايمانكم اشبعوا بطونهم واكسوا ظهورهم
والينوا القول لهم رواه الطبرانى وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال جآ رجل الى
النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم اعفوا عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة
رواه ابو داود والترمذى وفى رواية له ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله ان خادمى يسىء ويظلم افاضربه قال تعفوا عنه كل يوم سبعين مرة وعن عائشة
رضى الله عنها قالت جآ رجل فقعد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لى مملوكين

يكذبونني ويخونونني ويعصونني واشتمهم واضربهم فكيف انا منهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يحتسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم
فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم فوق
ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما تقرا قول الله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيا وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين فقال الرجل يا رسول الله ما اجد لي ولهولا خيرا من
مفارقتهم اشهدانهم كلهم احرار رواه الامام احمد والترمذي وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضرب سوطا اقتص منه يوم القيامة رواه البزار
وعن ام سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ستي وكان بيده سواك
فدعى وصيفة له اولها حتى استبان الغضب في وجهه وخرجت ام سلمة الى الحجرات فوجد
الوصيفة وهي تلعب ببهيمة فقال الا اراك تلعبين بهذه البهيمة ورسول الله يدعوك
فقالت لا والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما سمعتك فقال رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا خشية القود لاوجعتك بهذا السواك وفي رواية لضربتك بهذا السواك رواه ابو يعلى
وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه نشر الله عليه
كنفه وادخله جنته رفق بالضعيف وشفقة على الوالدين واحسان الى المملوك رواه
الترمذي وقال حديث غريب والاحاديث في هذا المعنى كثيرة وفيما ذكرنا كفاية والله ولي التوفيق
والعناية ثم قال عز من قايل ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا قال العلما نفى الله سبحانه
محبته ورضاه عن من هذه صفته اي لا يظهر عليه آثار نعمه في الآخرة وفي هذا ضرب من
التوعد والمختال هو المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس والفخور هو الذي
يفخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه وقيل هو الذي يفخر على عباد
الله بما اعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وانما ختم الله هذه الاية بهذين الوصفين
المذمومين لان المختال والفخور يانف من اقاربه الفقرا ومن جيرانه الضعفا فلا يحسن
اليهم ولا يلوي بنظره عليهم ولان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس

عز

عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى
من جر ثوبه خيلاء رواه البخارى ومسلم وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا وعنه رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرجل راسه يختال فى مشيته
اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة وعن ابن عمر رضى الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم بجر ازاره من الخيلآء خسف
به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيامة رواه البخاري وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلآء فى الفدادين من اهل الوبر والسكينة
فى اهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب الابل والبقر المستكثرون منها
المتكبرون على الناس بها وعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى اوحى الى ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغى احد على احد رواه
مسلم وغيره وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله
رواه الترمذى وغيره وعن يصح الحبشى عن ذكر المصرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع فى غير منقصة وذل فى نفسه من غير مسالة وانفق مالا جمعه
فى غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن طاب كسبه
وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق
الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله رواه الطبرانى وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله
فى اعلا عليين ومن يكبر على الله درجة يضعه الله درجة حتى يجعله فى اسفل سافلين
وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من آدمى الا وفى
راسه حكمة بيد ملك فاذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته واذا تكبر قيل للملك ضع حكمته
رواه الطبرانى والبزار وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

تواضع لاخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله رواه الطبرانی وعن عبد الله
ابن عمر رضی الله عنهما عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه قال ایاکم والکبر فان الکبر یکون فی الرجل
وان کان علیه العباءة رواه الطبرانی ایضا وعن ابی سعید وابی هریرة رضی الله عنهما قالا قال رسول
الله صلی الله علیه وسلم یقول الله عز وجل الکبریاء ردائی والعظمة ازاری فمن نازعنی واحدا منهما
القیته فی النار رواه ابن ماجة وعن حذیفة رضی الله عنه قال کنا مع رسول الله صلی الله علیه
وسلم فی جنازة فقال الا اخبرکم بشر عباد الله الفظ المستکبر الا اخبرکم بخیر عباد الله الضعیف
المستضعف ذو الطمرین لا یؤبه له لو اقسم علی الله لابره رواه الامام احمد وعن ابی سعید
الخدری رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال احتجت الجنة والنار فقالت النار
فی الجبارون والمتکبرون وقالت الجنة فی ضعفاء المسلمین ومساکینهم فقضی الله بینهما انک
الجنة ارحم بک من اشاء وانک النار عذابی اعذب بک من اشاء ولکلیکما علی ملؤها رواه رحمتی ص
النسای وغیره وعن عبد الله بن سلام رضی الله عنه انه مر فی السوق وعلیه حزمة من حطب
فقیل له ما یحملک علی هذا وقد اغناک الله من هذا قال اردت ان ادمغ الکبر سمعت رسول الله
صلی الله علیه وسلم یقول لا یدخل الجنة من فی قلبه خردلة من کبر رواه الطبرانی وغیره وعن
عبد الله بن مسعود رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال لا یدخل الجنة من کان فی قلبه
مثقال ذرة من کبر فقال رجل ان الرجل یحب ان یکون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال ان الله
جمیل یحب الجمال الکبر بطر الحق وغمط الناس رواه مسلم والترمذی وفی روایة وغمص الناس
وهو احتقارهم وازدراؤهم وعن ابی سعید الخدری رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله
علیه وسلم بینما رجل ممن کان قبلکم خرج فی بردین اخضرین یختال فیهما اعجبه الله تعالی الارض
فاخذته فهو یتجلجل فیها الی یوم القیامة رواه الامام احمد وروی عن کریب قال کنت
اقود ابن عباس رضی الله عنهما فی زقاق ابی لهب فقال یا کریب بلغنا مکان کذا وکذا قلت
انت عنده الآن فقال حدثنی العباس بن عبد المطلب قال بینما انا مع رسول الله صلی الله
علیه وسلم فی هذا الموضع اذ اقبل رجل یتبختر بین بردین وینظر الی عطفیه قد اعجبته نفسه
اذ خسف الله به الارض فی هذا الموطن فهو یتجلجل فیها الی یوم القیامة رواه ابو یعلی ص

دعس

فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فقال الله عز وجل هذه الآية وقيل ان حكمه
يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع المال لان البخل في كلام العرب منع السائل
من فضل ما لديه وامساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه
واذا كان ذلك يكون حملا على منع المال ومنع العلم ويكتمون ما آتاهم الله من فضله يعني
اليهود كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنياء
الذين كتموا الغنى واظهروا الفقر وبخلوا بالمال والبخل المذموم في الشرع هو الامتناع
من اداء ما اوجب الله تعالى عليه وقد مضى في سورة آل عمران القول في البخل وحقيقته
والفرق بينه وبين الشح مستوفى واعتدنا للكافرين يعني الجاحدين نعمة الله عليهم عذابا
مهينا يعني في الآخرة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
قوله عز وجل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس يعني للفخار والسمعة وليس الى
ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله تعالى روى مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه واختلفوا فيمن نزلت
هذه الآية فقيل نزلت في اليهود وقيل في المنافقين لان الرياء ضرب من النفاق وقيل
نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر يعني ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال
انه كائن ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله
فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا لهم
على طاعة الشيطان والمعنى من عمله بما سول له الشيطان فبئس العمل عمله وقيل
هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع كل كافر شيطان في سلسلة
في النار ثم وبخهم الله وعيرهم على ترك الايمان فقال تعالى وماذا عليهم يعني واي شيء عليهم
واي وبال وتبعة تلحقهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي اي

يكن صح

وبال

وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وابتغآء مرضاته وكان الله بهم عليما
يعني لا يخفى عليه شيء من اعمال هؤلآء الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة ففيه
وعيد وتهديد لهم ۞ والله تعالى اعلم بمراده واسرار كلامه العظيم ۞
هذا آخر الجزو الخامس من كتاب فتح المنان في تفسير القران للعلامي
رحمه الله وعفا عنه ۞ ويتلوه في اول الجزو
السادس بتفسير قول الله عز وجل ان الله
لا يظلم مثقال ذرة والحمد لله
اولا وآخرا وظاهرا وباطنا
وسرا وعلانيه
والحمد لله وحده

وصلى الله على من لا نبي بعده سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

وحسبنا الله ونعم الوكيل

